جامعة سانت كلمنتس العالمية
فلسفة في التاريخ الحضارة الإسلامية

خيانة الأمانة في تاريخ الحضارة الإسلامية
(دراسة تاريخية قانونية)

أطروحة قدمت إلى

جامعة سانت كليمنتس العالمية وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في فلسفة في تاريخ الحضارة الإسلامية

من الطالب
عبدا لله سعدون الشمري

بأشراف

أ.د خليل حسن الزركاني
المشرف التاريخي

أ.م د حسين عبد الصاحب
المشرف القانوني

بغداد

1431هـ **2010م**

بسم الله الرحمن الرحيم

يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـواْ لاَ تَخُونُـواْ اللّـهَ وَالرَّسُـولَ وَتَخُونُـواْ أَمَانَـاتِكُمْ وَأَنـتُمْ تَعْلَمُونَ[1]

صدق الله العظيم

الإهـــــــداء . . .

---

(1) سورة الأنفال آية 27

إلى والـــدي ووالـــدتـــي
..... رحمهم الله
إلى
زوجتـــــــ

التوقيع
أ.د خاشع عيادة المعاضيدي
رئيس اللجنة

التوقيع
أ.د خليل حسن الزركاني
المشرف

التوقيع
أ.د مجيد مخلف طراد
عضو اللجنة

التوقيع
أ.م.د قتيبة مجيد محمد
عضو

التوقيع
أ.م.د صبيح محمود التميمي
عضو

التوقيع
أ.م.د خالد سلمان جواد
عضو

التوقيع
أ.م.د حسين عبد الصاحب
المشرف

صدقت الأطروحة من مجلس ( )
أ.د رئيس الجامعـــة ( )

إقـرار المـشرف

نشهد بان هذه الأطروحة الموسومة ((خيانة الأمانة في تاريخ الحضارة الإسلامية)) للطالب عبد الله سعدون عبد الحمزة الشمري و قد تمت تحت إشرافنا و هي

جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه .

الأستاذ المساعد الدكتور
حسين عبد الصاحب

الأستاذ الدكتور
خليل حسن الزركاني
كلية القانون / الجامعة المستنصرية
رئيس مركز إحياء التراث / جامعة بغداد

المشرف القانوني

المشرف التاريخي

الشكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل إلى المشرفين كل من (الأستاذ الدكتور خليل حسن الزركاني و الأستاذ المساعد الدكتور حسين عبد الصاحب) الذين بذلوا من جهد مبارك وتحملهم لي على طول الزمن الذي كتبت فيه الاطروحه وان كان هذا قليلا بحقهم ولكن من ذكر الأمر لأمر نبينا محمد صلى الله عليه واله وسلم (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)([1])

.

وأتقدم بجزيل الشكر وجميل العرفان إلى كل من أسدى لي العون خلال فترة البحث .

وفي الختام أرجو أن يلقى هذا العمل بالقبول عند الله ،وعند الناس ،وان يكون خالصا لوجهه الكريم ..... والله ولي التوفيق .

---

(1) ابن حنبل ،احمد الشيباني (ت ، 241هـ) المسند ، المكتب الإسلامي ، بيروت 1985 ، ج4 ، ص 278

الموضوع	الصفحة
المقدمة	**7-1**
الفصل الأول **خيانة الأمانة في القران والسنة النبوية**	**45-8**
تمهيد	**9**
تعريف الأمانة	**10**
المبحث الأول : خيانة الأمانة في القران الكريم	**23-12**
التنويه بأهل الأمانة في القران الكريم	**19**
جزاء خيانة الأمانة في القران الكريم	**21**
خيانة الأمانة في الحرب	**21**
المبحث الثاني : خيانة الأمانة في الحديث الشريف	**45-24**
تقوية الأمانة المالية	**27**
خلق الأمانة في النبي (صلى الله عليه و اله و سلم)	**32**
الأمانة و الخيانة في الروايات الإسلامية	**34**
الفصل الثاني **الأمانة وأنواعها**	**46**
المبحث الأول : أنواع الأمانة	**47**
الأمانة في العبادة	**47**
الأمانة في الودائع	**50**
الأمانة في الوظيفة	**51**
الأمانة في الولاية	**55**
معنى الإمامة	**57**
رعاية الإمام لرعيته ومسؤوليته عنهم	**58**
أقسام الناس في قيامهم بمسؤولياتهم تجاه أولادهم	**59**

القسم الأول : القائمون على أولادهم حق القيام	60
القسم الثاني : الذين يجلبون الشر والفساد لأبنائهم	63
القسم الثالث : مسؤولية المرأة في رعاية بيت زوجها	64
الأمانة في حفظ النعم	67
الأمانة في حفظ الجوارح	68
الجوارح كيف نحفظها و نشكر نعمتها	69
القلب بين صلاحه و فساده	71
أساس سلامة القلب	71
أساس فساد القلب	74
فساد القلب بالحسد	75
الأمانة بين الإنسان و صاحبه من الأمور الخاصة	79
فوائد حفظ السر و مضار إفشائه	82
الأمانة بين الرجل و زوجته في الأشياء الخاصة	87
الأمانة العلمية	90
الأمانة في الكلام	92
المبحث الثاني : معطيات الأمانة و الخيانة	93
دوافع الأمانة و الخيانة	98
طرق الوقاية و العلاج	100
الفصل الثالث **خيانة الأمانة في التاريخ والتراث العربي**	103
المبحث الأول :بعض صور الأمانة و الخيانة في التاريخ	104

تسليم بغداد الى هولاكو بعد خيانة ابن العلقمي	104
تبرئة العلقمي	108
مؤيدات أخرى	112
صلاح الدين الأيوبي و الخيانة	114
خيانة صلاح الدين بأولياء نعمته	115
أولاً- خيانته للخليفة الفاطمي العاضد	115
ثانياً - خيانته لولي نعمته نور الدين	118
ثالثاً- خيانته للخليفة الناصر العباسي	120
تبرئة صلاح الدين من الخيانه	128
منهج الحكمة والرحمة والوفاء	129
ساحة فكر لا ساحة معركة	130
مؤاخذة بالفعل لا بالمذهب	132
دروس للحاضر والمستقبل	133
المبحث الثاني :خيانة الأمانة في التراث العربي	134
من صور الأمانة في زمن الرسول (ص)	134
الحاكم بين الأمانة والخيانة	136
المبحث الثالث رسائل تراثية في الأخلاق و الحث على الأمانة ونبذ الخيانة	143
أولا :كتاب الخليفة علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى مالك الاشتر عندما ولاه مصر	143
ثانيا :رسالة الإمام الحسن البصري إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز في صفة الإمام العادل	158
ثالثا- وصية طاهر بن الحسين إلى ابنه عبدا لله	161
رابعا: كتاب أبو يوسف رحمه الله إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد	163

الفصل الرابع **خيانة الامانه في القانون العراقي**	**167**
المبحث الأول : خيانة الأمانة في القانون العراقي	**168**
الفرع الأول : التطور التاريخي لجريمة خيانة الأمانة	**168**
الفرع الثاني : الطبيعة القانونية لجريمة خيانة الأمانة	**169**
المبحث الثاني :أركان جريمة خيانة الأمانة	**179**
الفرع الأول : الركن الرمادي	**179**
الفرع الثاني : ركن محل الجريمة	**181**
الفرع الثالث : ركن التسليم	**181**
الفرع الرابع : الركن المعنوي القصد الجنائي	**181**
الخاتمة	**184**
التوصيات	**187**
المصادر والمراجع	**191**
المراجع الحديثة	**204**
المصادر الأجنبية	**209**
القرارات	**210**
الجرائد	**210**
المجلات	**210**
الخلاصة الانكليزية	**211**

المقدمـــــة

لم تكن الأمانة قاصرة في فهم الأوائل على أداء الأموال والوفاء بالعهود فقط, بل كانت تسع المشارق والمغارب, فهي شجرة التوحيد الوافرة, وثمرة الإيمان اليانعة, والزاد للمسافر.فهي لؤلؤةٌ نفيسة، وجوهرٌ نقيّ, ومعدنٌ أصيل في يد صائغ نبيل , وقال صلى الله عليه و اله وسلم: (الناس معادن), وقال: (إنّ الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة)([1]) وقال: (عن معادن العرب تسألونني؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)([2])،وقال: (الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة)([3]) .

والأمانة إقامة لشرع الله في حنايا النفس وفي حياة الناس (الذين إن مكنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر). فالصلاة أمانةٌ إذا ضيّعها العبد فهو لما سواها أضيع

والأمانة ثباتا على الذِّكر, ووفاءٌ لصاحب الأمر، صلى الله عليه و اله وسلم, ودوامٌ على الدين إلى آخر العمر,

والأمانة قوةٌ في حفظ الحقوق كما أجاب يوسف عليه السلام الملك لمّا قال: (إنك اليوم لدينا مكين أمين, قال: اجعلني على خزائن الأرض إنيّ حفيظٌ عليم)([4]).

والأمانة مراقبةٌ للسمع، ومحاسبةٌ للبصر, ومتابعة للفؤاد (إن السمع والفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسؤولاً), وحبسٌ للسان عن المهالك (وهل يَكبّ الناس على مناخرهم في نار جهنّم إلاّ حصائد ألسنتهم)([5])(يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون)([6]) ولو تأمّلتَ الثلاثة الذين هم أول من تُسعّر بهم النار لألفيتهم قد ضيعوا أماناتهم: القارئ (ليقال قارئ وقد قيل), والمتصدّق، (ليقال جواد وقد قيل)، والمجاهد (ليقال مجاهد وقد قيل). لأن المرائي لا يحتسب عمله ولا يرجو له جزاءً عند الله (نسوا الله فأنساهم أنفسهم). ولذلك كانت الخيانة علامة على النفاق (إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا اؤتُمِن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)[7]

والأمانة صونٌ للعلم ورعاية للرواية كما كان العلماء يقولون (إنّ هذا العلم دينٌ، فانظروا عمنّ تأخذون دينكم)([8]).

---

(1) ابن ماجه ، محمد بن يزيد القز ويني (ت275هـ) ،السنن ،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،دار الفكر بيروت ، ج2 ،ص1346 , البخاري ، محمد بن إسماعيل الجعفي ،ابو عبدا لله (ت256) ،الجامع الصحيح المختصر، ،تحقيق مصطفى ديب ،بيروت ،1407هـ - 1987م ،ج6 ،ص2596

(2) احمد بن حنبل ،أبو عبد الله لشيباني (ت241)، ،مسند احمد ،مؤسسة قرطبة ،مصر ، ج2 ،ص257

(3) أبو بكر البيهقي (ت458)سنن البيهقي ،تحقيق محمد عبد القادر عطا،مكتبة دار الباز،مكة المكرمة ،1414هـ-1994م ج9،ص19

(4) 12 ةيالا، فسوي ةروس

(5) الترمذي ،محمد بن عيسى ،ابو عيسى السلمي (ت279)، سنن الترمذي ،تحقيق احمد محمد شاكر وآخرون ،دار إحياء التراث العربي،بيروت - بلا ،عدد الأجزاء 5 ،ج5،ص11

(6)سورة النور ،الآية 24

(1)احمد بن شعيب النسائي (ت303)السنن الكبرى،تحقيق عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن،،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1411هـ-1991م،ج6،ص535

(2)مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري،(ت261)صحيح مسلم ،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،دار إحياء التراث العربي،بيروت ،بلا ،ج1،ص14

والأمانة قيامٌ بحقوق المسلمين، وتحمّلٌ لحاجات المساكين، وخدمةٌ للمحتاجين، وتلك صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم (كلاّ والله لا يخزيك الله أبداً إنّك لَتَصِل الرَّحم وتحمل الكَلَّ وتُكسِب المَعدوم وتُعِين على نوائب الحقّ). وقالت عائشة (رض): (كان خلقه القرآن)([1]) و(كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤولٌ عن رعيّته..)([2]) و(المسلمون عند شروطهم،والصلح جائز بين المسلمين)([3]).

الأمانة وفاءٌ بتكاليف الكتاب العزيز والسنة الشريفة والائتمار بأمرهما والوقوف عند حدودهما والأمانة إنصافٌ وتجرّدٌ وأن نُنزل الناس منازلهم ولا نَبخَسهم حقّهم والأمانة شهادةٌ لله، ونصيحةٌ للمسلمين, وبيانٌ للحق

كل هذه الشمائل مقترنة بالأمانة وكل الرذائل مقترنة بالخيانة ،

لقد كانت أهداف البحث قد تجسدت بمايلي:

1. دراسة خيانة الأمانة في القران الكريم والسنة النبوية الشريفة
2. التعمق في معرفة أنواع الأمانات والخيانة ضمن إطار فقهي وشرعي
3. توجيه الضوء على دراسة خيانة الأمانة في تاريخ الحضارة الإسلامية والتراث العربي الإسلامي .
4. دراسة تفصيلية للإطار القانوني لخيانة الأمانة تجريمها وعقوبتها في التشريع العراقي .

وقد احتوت الأطروحة أربعة فصول و مقدمة وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع.

احتوى الفصل الأول من الأطروحة الأمانة في القران الكريم حيث ركز المبحث على الآيات القرآنية التي تحث على الأمانة وقد تكررت كلمة الأمانة في القران الكريم 16 مرة حيث نوه المبحث إلى التنويه بأهل الأمانة وخيانة الأمانة في الحرب وجزاء الخيانة كلها مقرونة بآيات قرآنية

وفي المبحث الثاني فقد أشار إلى الأمانة في الأحاديث النبوية الشريفة

وفي المبحث الأخير ركزنا على المضمون اللغوي والأدبي لخيانة الأمانة ضمن خيانة الأمانة في اللغة والأدب

تناول الفصل الثاني أنواع الأمانة وهي كثيرة تتناول الأمانة في العبادة والودائع والوظيفة وحفظ النعم وحفظ الجوارح والأمانة العلمية .

أما الفصل الثالث فكان عنوانهما خيانة الأمانة في التاريخ والتراث العربي

---

(1) مسندأحمد ،ج6،ص91

(4) محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ،(ت 354 هـ) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان،تحقيق، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414 – 1993م،ط2،عدد الاجزاء18،ج10،ص342

(5) محمد بن عبدا لله أبو عبدا لله الحاكم النيسابوري(ت405) المستدرك على الصحيحين،تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411 – 1990، الطبعة الأولى ،ج2،ص57

فكان يتكون من ثلاث مباحث الأول هو بعض صور الأمانة والخيانة في التاريخ
وقد تم اختيار شخصيتين أثارتا اهتمام المؤرخين فأبن العلقمي كان متهما بخيانة الأمانة عند دخول هولاكو بغداد حينما كان وزيرا للخليفة المستعصم وهو أخر الخلفاء العباسين .
أما الشخصية الثانية فهو صلاح الدين الأيوبي وكان بطلا وأسطورة هكذا وصفه المؤرخون.
لقد تم في هذا المبحث دراسة هاتين الشخصيتين بين مفهوم الخيانة والأمانة ،والسؤال المهم في هذا المبحث هل ابن العلقمي خائن للأمانة ؟ وهل صلاح الدين خائن للأمانة ؟ هذه التساؤلات ستتم الإجابة عنها وفق الدلائل التاريخية التي سيقدمها الباحث
أما المبحث الثاني ،خيانة الامانه في التراث العربي الإسلامي فتضمن صور الأمانة زمن الرسول الكريم و الحاكم.. بين الأمانة والخيانة وكذلك شذرات تراثية في خيانة الأمانة .
أما المبحث الثالث فكان يتضمن رسائل تراثية في الأخلاق و الحث على الأمانة ونبذ الخيانة ، ومن ابرز هذه الرسائل أولا :كتاب الخليفة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)إلى مالك الاشتر عندما ولاه مصر وكذلك رسالة الإمام الحسن البصري إلى الخليفة عمر بن عبدا لعزيز في صفة الإمام العادل وكذلك وصية طاهر بن الحسين إلى ابنه عبدا لله وكذلك كتاب أبو يوسف رحمه الله إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد)
أما الفصل الرابع فكان عنوانه خيانة الامانه في قانون العقوبات العراقي فتطرق الى خيانة الأمانة في القوانين في العراق والدول العربية ومنها القانون المصري واللبناني والسوري، والكويتي والتونسي والسوداني واليمني والأردني ثم التطور التاريخي لجريمة خيانة الأمانة في العراق ثم دراسة الطبيعة القانونية لجريمة خيانة الأمانة ثم أركان جريمة خيانة الأمانة وهي الركن المادي و ركن محل الجريمة و ركن التسليم و القصد الجنائي و ابرز ملاحظاتنا عن الجانب القانوني يمكن إبرازها ثم الخاتمة التوصيات والمصادر والمراجع والخلاصة بالانكليزية
أما منهجية البحث الذي سار عليه الباحث فهي منهجية تقليدية وصفية تأخذ الطابع التحليلي القائم على مقارنة الإحداث والتعليق عليها.
أما الدراسات السابقة للبحث فهي كثيرة ومتنوعة حيث تأخذ الطابع الأخلاقي والإرشادي والديني والسردي أحيانا،

أما بحثنا فقد تميز عن الدراسات السابقة بما يلي:
فاتصف بالشمولية والتنوع فتنقل البحث بين القران الكريم والحديث الشريف واللغة والأدب العربي وكذلك اخذ الباحث بنظر الاعتبار جانب تاريخي وتراثي والجانب القانوني الذي تناوله البحث بشيء من التفصيل والتميز .
أما الصعوبات التي واجهتني فهي ندرة المصادر والمراجع عن طبيعة هذا الموضوع وكذلك الوضع الأمني الذي نعيشه في بغداد الذي حال دون تحركي علميا في الحصول على مصادر البحث

تحليل المصادر

لقد احتوت الأطروحة على عدد من المصادر والمراجع ونبدأ بالمصادر وأعظم هذه المصادر هي القران الكريم حيث تم الاستفادة من القران الكريم ومن آياته العظيمة في بيان أهمية خيانة الأمانة في القرن الكريم وبالأخص بالفصل الأول وكذلك تم الاستفادة من المصادر الحديثة مثل صحيح مسلم لمؤلفه مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ابو الحسن (ت261) وصحيح البخاري لمؤلفه محمد بن إسماعيل الجعفي ،ابو عبدا لله (ت256) ومسند احمد لمؤلفها حمد بن حنبل ،ابو عبد الله لشيباني (ت241)والترمذي ،محمد بن عيسى ،ابو عيسى السلمي (ت279)، في كتابه (سنن الترمذي) وسنن الدار قطني لمؤلفه على بن عمر بن احمد (ت385هـ) وتم الاستفادة من هذه المصادر في المبحث الثاني من الفصل الأول وكذلك سنن أبي داود،ابو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الازدي ،(275هـ)، في كتابه السنن ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،دار الفكر ،الطبعة بلا ،سنة الطبع بلا تم الاستفادة منه في الفصل الثاني

إما ألمجلسي ، محمد باقر (ت1111) في كتابه ، بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، فقد تم الاستفادة منه في الفصل الثاني في أنواع الأمانات أما الكليني ، ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحق (ت329هـ) في كتابه الكافي فتم الاستفادة منه في الفصل الثاني

أما المصادر التاريخية فان الفصل الثالث يتضمن الكثير منها .

فالذهبي ،محمد بن احمد بن عثمان (ت748) في كتابه العبر في خبر من غبر وكذلك كتاب الصفدي ،خليل بن أبيك (ت 764هـ ، 1362م) الوافي بالوفيات ، وكتاب ابو الفدا ء ، عماد الدين إسماعيل بن علي (ت732هـ ،1331م) المختصر في إخبار البشر ،قدم صورة عن الخيانة في التاريخ

لقد أسهبت كتب أخرى في إثبات خيانة ابن العلقمي منها ابن شاكر الكتبي، محمد (ت764هـ ،1362) في كتابه فوات الوفيات .

إما ابن الطقطقي ،محمد بن علي بن طباطبا(ت709هـ) في كتابه الفخري في الآداب السلطانية ، فقد كان ملما بالإخبار عن مرحلة سقوط الدولة العباسية وكذلك ابن كثير في كتابه البداية والنهاية .

أما سبط ابن الجوزي، شمس الدين ، ابو المظفر يوسف (ت654هـ) في كتابه مرآة الزمان في تاريخ الاعيان فقد كان متابعا للأحداث الأخيرة لعصور العباسية وكذلك كتاب ابن العماد ،ابو الفلاح عبد الحي الحنبلي ،(ت1809هـ) شذرات الذهب في إخبار من ذهب ، فقد سلك نفس اتجاه المؤرخين في نقل الحقائق التاريخية عن قصة خيانة ابن العلقمي .

أما خيانة صلاح الدين الأيوبي وبراءته فقد تعرض لها عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، المعروف بأبي شامة. (الروضتين في أخبار الدولتين)، القسم الثاني من الجزء الأول .

وكذلك المقريزي ،تقي الدين احمد بن علي (ت845هـ)في كتابه الخطط المقريزي ،المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار،
و العماد الأصفهاني ،،عماد الدين محمد بن محمد بن حامد (ت597هـ)، الفتح القسي في الفتح القدسي وكذلك ابن العديم ،كمال الدين عمر بن احمد بن جبر (ت660هـ) في كتابه بغية الطلب بتاريخ حلب ،
لقد تم الاستفادة من المصادر التاريخية في الفصل الثالث وبالأخص المبحث الأول .
أما المبحث الثاني من الفصل الثالث فقد تم الاستفادة من المصادر التراثية وهي :
القرطبي، أبي عمر يوسف بن عبدا لله بن محمد ، في كتابه بهجة المجالس وانس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس ، فقد قدم شذرات تراثية رائعة عن خيانة الأمانة وكذلك ابن قتيبة الدينوري في كتابه عيون الإخبار .
أما المراجع الحديثة قد تم الاستفادة منها في الفصلين الثالث والرابع ومنها (كتاب الدكتور سعد بن حذيفة الغامدي، في كتابه سقوط الدولة العباسية ودور الشيعة بين الحقيقة والاتهام "وكذلك كتاب حسن الأمين ، في مؤلفه (صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين) فقد تم الاستفادة منها في الفصل الثالث .

أما المراجع الأخرى فقد كانت معضمها مراجع قانونية اختص بها الفصل الرابع حصريا ومنها احمد أمين بك في كتابه شرح قانون العقوبات الأهلي ،القسم الخاص ،القاهرة ،1924 و جبرائيل البناء في كتابه شرح قانون العقوبات البغدادي وكذلك علي حسين الخلف في كتابه بحث في جريمتي السرقة وخيانة الأمانة ،بغداد ،مطبعة الزهراء ، 1967 وهناك مراجع كثيرة ومتنوعة احتوتها قائمة المصادر والمراجع .

الفصل الأول

خيانة الأمانة في القران والسنة النبوية

المبحث الأول : خيانة الأمانة في القــران الكريم
المبحث الثاني : خيانة الأمانة في الحديث الشريف

تمهيـــد

لقد كانت " الخيانة " في معناها اللغوي تصرفا غير واضح السمات، إلى أن جاء الإسلام فنقلها إلى معنى أعم وأشمل، يحدد معالم المدسوسين في الصف المسلم، ويبين مخاطرهم وطرق التعامل معهم.

ذلك أن الجذر اللغوي لها هو مادة "خان" بمعنى انتقص، يخون خونا وخيانة وخانة ومخانة. فالخاء والواو والنون أصل واحد معناه التنقص والضعف، يقال: في ظهره خون أي ضعف، والخون أن يؤتمن المرء فلا ينصح، والخيانة التفريط في الأمانة، وخانه إذا لم يف له، وخان السيف إذا نبا عن الضربة، وخانه الدهر إذا تغير حاله إلى الشر، وناقض العهد خائن لأنه كان ينتظر منه الوفاء فغدر، ومنه قوله تعالى: (وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيم)([1]) .

واختانه فهو خائن وخؤون وخوَّان وخائنة (الهاء للمبالغة مثل نسابة)، ومنه قوله تعالى:(يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) ([2])، أي ما يسارق المرء من النظر نظر ريبة إلى ما لا يحل له، وقوله صلى الله عليه وسلم: (إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين)([3]) والخيانة والنفاق شيء واحد، لكن الخيانة تقال باعتبار العهد والأمانة، والنفاق باعتبار الدين، وإن كانا يتداخلان في مواطن كثيرة.

فلما نزل القرآن نقل اللفظ " الخيانة " إلى معناها المصطلحي المتضمن للغدر والكذب وتزييف الحق وتزوير الوقائع والتجسس وكشف عورات المسلمين والمجتمع الإسلامي بالقول والعمل والإشارة والعبارة، هذا المعنى الذي يحدد معالم شخصية مريضة حاقدة مضطربة، دنيئة لئيمة، تُطْرَدُ من الصف المسلم إن تعذر تقويمها وإصلاحها.

لقد شمل لفظ " الخيانة " بذلك معاني واضحة تحدد معالم الأشرار، لا تركن إليها النفوس الحرة، ولا ترتضع ألبانها الأفواه النظيفة.

والأمانة عند أهل اللغة : من الأمن والائتمان : فيقال أمِنْتُه على كذا و أتَمَنْتُه بمعنىً وتقول: اوْتُمِن فلانٌ، على ما لم يُسمَّ فاعلُه، و اسْتأمَنَ إليه: دخل في أمانِه، وقد

---

(1) سورة الأنفال71.
(2) سورة غافر19،
(3) سنن أبي داود ص59 ،ج3

أمَّنَه و آمَنَه. و الأمانةُ: ضدُّ الـخِيانة. ويراد بها في اللغة الطَّاعة والعِبادة والوديعة والثقةِ وكل ما عهد به إلى الإنسان من التكاليف الشرعية وغيرها، ومن الأمانة : الأهل والمال .

تعريف الأمانة

في اللغة: هي طمأنينة النفس وزوال الخوف.([1])

وفي الاصطلاح: هي خلق يعفّ به الإنسان عما ليس له به حق ، ويؤدي ما عليه من الحقوق.([2])

فمن أمانة الإنسان أن يتعفف عن الأموال والأعراض التي لا تحل له ، ومن أمانته أن يؤدي ما عليه من حقوق تجاه الله والخلق أجمعين.

أما الخيانة و الخون لغة : أن يؤتمن الإنسان فلا ينصح . قال الله تعالى : { وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء } ([3]) ونقيض الخيانة الأمانة . ولا يخرج استعمال الفقهاء لهذا اللفظ عن المعنى اللغوي .

وأما الأمانة في اصطلاح الشرع تبين أن الأمانة قد استعملها الفقهاء بمعنيين : أحدهما : بمعنى الشيء الذي يوجد عند الأمين ، وذلك يكون في ثلاثة أحوال :

(1) العقد الذي تكون الأمانة فيه هي المقصد الأصلي ، وهو الوديعة وهي ، العين التي توضع عند شخص ليحفظها ، فهي أخص من الأمانة ، فكل وديعة أمانة ولا عكس .

(2) العقد الذي تكون الأمانة فيه ضمنا ، وليست أصلا بل تبعا ، كالإجارة والعارية والمضاربة والوكالة والشركة والرهن .

(3) ما كانت بدون عقد كاللقطة ، وكما إذا ألقت الريح في دار أحد مال جاره ، وذلك ما يسمى بالأمانات الشرعية .

والثاني : بمعنى الصفة وهو يكون في ثلاثة أحوال أيضا :

(1) ما يسمى ببيع الأمانة ، كالمرابحة والتولية والاسترسال (الاستئمان) وهي العقود التي يحتكم فيها المبتاع إلى ضمير البائع وأمانته .

(2) في الولايات سواء كانت عامة كالقاضي ، أم خاصة كالوصي وناظر الوقف.

(3) فيمن يترتب على كلامه حكم كالشاهد .

وقد اتفق العلماء على وجوب المحافظة على الأمانة عامة، وديعة كانت أو غيرها، والحفظ يكون بحسب كل أمانة ، فالوديعة مثلا يكون حفظها بوضعها في حرز مثلها .

---

(1) أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة بتحقيق وضبط،عبد السلام هارون، طبعة اتحاد الكتاب العرب 2003، 133/1

(2)الميداني أبو الفضل أحمد ، مجمع الأمثال، تحقيق: سعيد اللحام، عدد الأجزاء: 2، سنة النشر: 2002، الناشر: دار الفكر، (645/1)

(3) سورة الأنفال ، 58

والعارية والشيء المستأجر يكون حفظهما بعدم التعدي في الاستعمال المأذون فيه ، وبعدم التفريط . وفي مال المضاربة يكون بعدم مخالفة ما أذن فيه للمضارب من التصرفات وهكذا .
وكذلك اتفقوا على وجوب الرد عند الطلب ووجوب الضمان بالجحود أو التعدي أو التفريط . وسقوطه إذا تلفت الأمانة دون تعد أو تفريط. عدا العارية فالشافعية والحنبلية يوجبوا الضمان فيها مطلقا.
ولعل الحديث عن معنى الأمانة في الشريعة يجرنا إلى الحديث عن حكم الحلف بالأمانة : فيرى جمهور الفقهاء أن من حلف بالأمانة مع إضافتها إلى اسم الله سبحانه وتعالى فقال : وأمانة الله لأفعلن كذا ، فإن ذلك يعتبر يمينا توجب الكفارة . أما الحلف بالأمانة فقط دون إضافة إلى لفظ الجلالة ، فإنه يرجع فيه إلى نية الحالف ، فإن أراد بالأمانة صفة الله تعالى فالحلف بها يمين ، وإن أراد بالأمانة ما في قوله تعالى : { إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض }([1]) أي التكاليف التي كلف الله بها عباده فليس بيمين . ويكون الحلف بها غير مشروع لأنه حلف بغير الله ، واستدل لذلك بحديث : { من حلف بالأمانة فليس منا }([2]) .

المبحث الأول
خيانة الأمانة في القران الكريم

الامانه هي أداء ما ائتمن عليه الإنسان من الحقوق، وهي ضد (الخيانة). وهي من أنبل الخصال، وأشرف الفضائل، وأعز المآثر، بها يحرز المرء الثقة والإعجاب، وينال النجاح والفوز.وكفاها شرفا أن الله تعالى مدح المتحلين بها، فقال: ((والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون))([3]) وضدها الخيانة، وهي: غمط الحقوق واغتصابها، وهي من أرذل الصفات، وأبشع المذام، وأدعاها إلى سقوط الكرامة، والفشل والإخفاق.لذلك جاءت الآيات والأخبار حاثة على التحلي بالأمانة، والتحذير من الخيانة،

كان تنويه القرآن الكريم على الأمانة تنويه عظيم دل على عظم منزلة الأمانة عند الله تعالى و ذلك في آيات كثيرة من الذكر الحكيم منها قوله تعالى : (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا([4]) و الأمانة في الآية الكريمة هي كل ما يؤتمن عليه المرء من أمر و نهي و شأن دين و دنيا و الشرع كله أمانة كما قال الحسن البصري و غيره من السلف رحمهم الله تعالى.

---

(1) سورة الأحزاب ، 72
(2)البيهقي ،سنن البيهقي ،ج10،ص30
(3)سورة المؤمنون:8
(4) سورة الأحزاب آية 72

العديد من الآيات الكريمة أمرت بأداء الأمانة و منها : (فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّـــــذِي اؤْتُمِـــــنَ أَمَانَتَـــــهُ وَلْيَتَّـــــقِ اللّـــــهَ رَبَّـــــهُ)([1])
و قد كان تحذير القرآن الكريم من الخيانة شديداً في آيات كثيرة منها: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)([2])

و قد بين القرآن الكريم ما للخيانة من أثر في الدنيا و الآخرة في آيات كثيرة منها : (إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ)([3]) و قد قرن الله تعالى هذه الصفة بالكافرين و المنافقين فقال : (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ)([4]) و قال تعالى : (وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا) ([5]) .ويقول الله عزوجل (وَالَّذِينَ هُمْ لأماناتهم وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ)([6]). إن هذه الآية تتحرّك من خلال بيان أوصاف المؤمنين الحقيقيين وضمن تبشيرهم بالفلاح والنجاة في الآخرة، وبعد بيان أهميّة الصلاة والابتعاد عن اللغو والكلام لفارغ وأداء الزكاة ، والملفت للنظر أنّ (الأمانات) الواردة في هذه الآية ذكرت بصورة الجمع وهي إشارة إلى أنّ الأمانة لها أنواع وأشكال مختلفة والكثير من المفسّرين ذكروا أنّ مفهوم الأمانة في هذه الآية لا يقتصر على الأمانة المالية بل يشمل الأمانات المعنوية كالقرآن الكريم والدين الإلهي والعبادات والوظائف الشرعية وكذلك النعم الإلهية المختلفة على الإنسان في حركة الحياة المادية والمعنوية. ومن هنا يتّضح أنّ المؤمن الواقعي والإنسان الذي يتمتع باللّياقة الكاملة هو الذي يتحرّك في سلوكه من موقع مراعاة الأمانة بصورها المختلفة ويهتم بالحفاظ عليها من موقع المسؤولية وأداء الوظيفة.

أمّا عطف الوفاء بالعهد على حفظ الأمانة فيبيّن هذه الحقيقة، وهي أنّ هذين المفهومين يعودان إلى جذر واحد ويشتركان في الأصل، لأنّ نقض العهد يعتبر نوع من الخيانة في العهد والميثاق، ورعاية الأمانة نوع من الوفاء بالعهد والميثاق أيضاً.

وتعبير (راعون) مأخوذ من مادة (رعاية) وهي من مادة (رعى) التي يراد بها رعي الأغنام ومراقبتها في عملية سوقها إلى حيث الماء والكلاء في الصحراء، وهذا إنّما

---

(1) سورة البقرة آية 283
(2) سورة الأنفال آية 27

(1)سورة الأنفال آية 5

(2)سورة الحج آية 38

(3)سورة النساء آية 107

(4)سورة المؤمنون، الآية 8

يدلّ على أنّ المقصود من هذه العبارة في الآية الكريمة هو أكثر من أداء الأمانة في مفهومها الظاهري، أي النظر والمحافظة والمراقبة للشيء من جميع الجوانب.

وبديهي أنّ الأمانة تارة تكون ذات بعد فردي وتسلّم بيد شخص معين (كالأمانات المالية التي يودعها الإنسان لدى الآخرين) وتارة أخرى لها بعد جماعي مثل حفظ القرآن الكريم من التحريف والدفاع عن الإسلام والمحافظة على كيان الدول الإسلامية، فهي كلّها أمانات وضعت بيد المسلمين وعليهم أن يتحرّكوا بصورة جماعية ويتكاتفوا فيما بينهم من أجل حفظ وصيانة هذه الأمانات الإلهية.

و في قوله تعالى : (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)([1]) أن الله عزو جل يتحدث عن أمرين مهمين :

الأول: يتحدّث عن أداء الأمانة.

الثاني: يتحدّث عن الحكم بالعدل

ومع أنّ مسألة الحكومة العادلة أو التحكيم الصحيح والسليم بين الناس له مكانة سامية في نظر القرآن الكريم، ولكن في نفس الوقت ورد الأمر بأداء الأمانة قبله وهذا يبيّن الأهميّة العظيمة للأمانة وأنّ لها مفهوم عام يستوعب في مضمونه التحكيم بين الناس من موقع العدل وأنّه أحد مصاديق أداء الأمانة، لأنّ الأمانة بمفهومها العام تشمل جميع المقامات والمناصب الاجتماعية التي تعتبر أمانات إلهية، وكذلك أمانات بشرية من قبل الناس بيد أصحاب المناصب هذه.

والتأكيدات الواردة في ذيل الآية الشريفة تقرّر من جهة أنّ الأمر بالأمانة والعدالة ما هي إلاّ موعظة إلهية حسنة للناس، ومن جهة أخرى تحذّر الجميع بأنّ الله تعالى يراقب أعمالكم وسلوكياتكم، وهذا يعطي أهميّة مضاعفة على هذين المفهومين وهما رعاية الأمانة والعدالة.

ونقرأ في التفسير الكبير للفخر الرازي أنّ الأمانة لها ثلاث موارد وفروع:

الأمانة الإلهية، وأمانة الناس، وأمانة النفس، ثم يتطرّق الفخر الرازي إلى شرح كل واحدة من هذه الفروع والأغصان للأمانة بالتفصيل ومن جملتها أداء الواجبات وترك المحرمات حيث يعتبرها من موارد الأمانات الإلهية، ويقسّمها إلى تقسيمات عديدة، منها أمانة اللسان، أمانة العين والإذن (أي أنّ الإنسان يجب أن لا يتحرّك بالمعصية، والعين لا تنظر بنظر الخيانة، والإذن لا تسمع الكلام المحرّم).

---

(1)سورة ،النساء،الآية ،58

أمّا الأمانات البشرية فهي من قبيل الودائع التي يضعها بعض الناس لدى البعض الآخر وكذلك ترك التطفيف في الميزان وترك الغيبة ورعاية العدالة من جهة الحكّام والأمراء من موقع التعصّب للباطل وأمثال ذلك، أمّا أمانة الإنسان بالنسبة إلى نفسه فيرى الفخر الرازي أنّ على الإنسان أن يختار لها خير الدين والدنيا ولا يستسلم لدوافع الشهوة والغضب وما يترتب عليهما من ذنوب وآثام.([1])

إنّ سعة مفهوم الأمانة وشمولها لكثير من الوظائف المهمّة والنعم الكثيرة قد ورد في الكثير من التفاسير المهمّة، منها تفسير (أبو الفتوح الرازي) و(القرطبي) وتفسير (في ظلال القرآن) وتفسير (مجمع البيان) وغيرها من التفاسير الأخرى.

أما الأمانة الإلهية العظيمة التي عجزت السماوات والأرض والجبال عن حملها وحفظها ولكن الإنسان حملها لوحده وتقول: (إِنَّا عَرَضْنَا الأمانة عَلَى السَّمَوَاتِ والأرض وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنسان إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولا)([2]).

فما هي هذه الأمانة العظيمة التي خشيت السماوات مع عظمتها والأرض مع سعتها والجبال مع صلابتها أن يحملنها في حين أنّ الإنسان الضعيف والصغير جدّاً قد حملها؟

ولقد أورد المفسّرون من القدماء والمعاصرين احتمالات كثيرة في تفسير هذه الآية، ولكنّ ما يقرب للنظر هو أنّ المقصود من الأمانة الإلهية الكبيرة هذه هو المسؤولية والتكليف الملقى على عاتق الإنسان حيث لا يتيسّر ذلك إلاّ بوجود العقل والحرية والإرادة.

أجل فإنّ التكليف والمسؤولية أمام الله تعالى والناس والنفس هي وظيفة ثقيلة لا يكاد يتحملها ولا يليق بحملها أي موجود آخر سوى الإنسان، ويتبع ذلك فقد جعل الله تعالى العقل والحرية والإرادة في عملية الانتخاب هي الثواب والعقاب، ومجموع هذه الصفات الثلاث تبيّن عظمة الإنسان بين المخلوقات بحيث أختاره الله لمقام الخلافة الإلهية وميزه على سائر المخلوقات الأخرى في عالم الوجود.

ولكن هذا الإنسان الظلوم والجهول لم يقدّر هذا المقام الرفيع وتورّط في منزلقات

الشهوة والأهواء الرخيصة وبذلك ظلم نفسه وحرمها من نيل السعادة العظيمة التي تنتظره في حركته التكاملية نحو الحق والانفتاح على الله.

---

(1)الرازي ،أبو بكر محمد زكريا ،تفسير فخر الرازي،تحقيق محمد رضوان الداية ،ط1،الناشر دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع ،1990 ج10، ص139

(2) سورة الأحزاب آية 72

وعلى هذا الأساس فكون الإنسان ظلوماً وجهولاً إنّما هو لم يكن بسبب قبول هذه الأمانة الإلهية، لأنّ قبولها علامة العقل وسبب الافتخار، ومن دون ذلك لا يصل إلى مقام الخلافة الإلهية، بل كونه ظلوماً وجهولاً بسبب عدم حفظ هذه الأمانة وسلوكه طريق الخيانة في أداء هذه المسؤولية الكبيرة.

أجل فإنّ الأمانة التي من شأنها أن توصله إلى ذروة السعادة الحقيقية في حال حفظها، فإنّ خيانتها يتسبب كذلك في سقوط هذا الإنسان في مستنقع الذلّة والمسكنة والشقاء حتى أنّه يكون مصداق (بَل هُم أضَلُ مِنَ الأنعامِ والدّوابِ).

وبعبارة أخرى: أنّ السموات والأرض والجبال مع عظمتها وسعتها ليست لها القابلية على قبول هذه الأمانة الإلهية، وأعلنت عدم صلاحيتها لذلك بحالتها التكوينية وبلسان حالها، ولكن الإنسان وبسبب وجود هذه القابلية والقوى الكريمة التي منحه الله تعالى إيّاها أصبح لائقاً تكوينياً لقبول هذه المنحة والأمانة الإلهية، وهذا بحدّ ذاته افتخار عظيم للإنسان من بين المخلوقات.

ولكن بما أنّ أكثر الناس لم يراعوا حق هذه الأمانة الإلهية ولم يتحرّكوا في سبيل حفظها وأدائها فلذلك استحقوا عنوان الظلوم والجهول، لأنّهم ظلموا أنفسهم أشدّ الظلم بحرمانها من نيل هذا الافتخار العظيم الذي منحه الله تعالى للإنسان وعاشوا الغفلة عن هذه الموهبة الإلهية العظيمة وتركوها وراء ظهورهم.

أنّ الخيانة في الأمانة إنّما تنشأ من الظلم والجهل، وهذا هو ما نسعى لتحقيقه وتقريره في هذا البحث الأخلاقي، أجل فانّ حفظ الأمانة يدل على العقل والعدالة، بينما الخيانة هي دليل على الظلم والجهالة.

وممّا تقدّم آنفاً يتّضح جيداً أنّ المراد من كون الإنسان ظلوماً وجهولاً هم الأشخاص الذين يعيشون حالة الكفر أو الذين يعيشون ضعف الإيمان والتقوى، وإلاّ فإنّ أولياء الله تعالى والصالحين من العباد الذين يتحرّكون في سلوكهم الأخلاقي والاجتماعي تبعاً للأنبياء والأولياء فإنّهم يراعون حق هذه الأمانة ويسعون لأدائها والقيام بهذه المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتقهم، وفي الحقيقة إنّ هؤلاء يمثّلون الهدف الأسمى من وجود عالم الخليقة ووجود الإنسان.

ومن مجموع ما ورد من الآيات أعلاه يتّضح جيداً أهميّة حفظ الأمانة (سواءً الأمانات الإلهيّة أو الإنسانية) وجعله من علامات العقل والإيمان والعدالة.

و قوله تعالى : (وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) ([1]) و مما يترتب على الخيانة أن الله تعالى يحبط أعمال الخائنين و تدابيرهم

---

(1) سورة الأنفال آية 71

كما قال جل و علا : (وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)([1]) .

إن الخيانة بهذا الاعتبار أربعة أصناف: خيانة لله عز وجل، وخيانة لرسوله صلى الله عليه وسلم، وخيانة للأمانة، وخيانة للنفس.

لقد حذر سبحانه وتعالى رسوله الكريم من أهل الخيانة تحذيرا صريحا لا لبس فيه فقال: (إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا)([2]) .

وبما أن الدعوة الإسلامية شهادة على الناس كما قال تعالى (لِتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً)([3]) فلا يجوز أن ينضم إليها خائن ولا خائنة، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا زان ولا زانية ولا ذي غمر على أخيه)([4]) .

وفي رواية ابن ماجه:(لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا محدود في الإسلام ولا ذي غمر على أخيه ([5]).

التنويه بأهل الأمانة في القرآن الكريم

نال القائمون بالأمانة على وجهها عظيم الثناء من الله سبحانه و تعالى و جزيل إكرامه. أما الملائكة فكلهم قائم بأدائها على وجهها الكامل لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون و قد خص الله سبحانه و تعالى جبريل عليه السلام بالثناء عليه بها لما هو منوط به من مهمة و هي السفارة بين الله تعالى و رسله عليهم الصلاة و السلام فقد قال تعالى : "نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ"([6]) و قال تعالى : "إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ"([7]) .

أما الأنبياء و الرسل فهم أمناء الله في أرضه على شرائعه و دينه لذلك كانت الأمانة واجبة لهم كما قال هود عليه السلام : "أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ"([8]) و كما قال يوسف عليه السلام :"إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ" و كما قالت ابنة شعيب عليه السلام في وصف موسى عليه السلام حيث قالت : "قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ"([9]) .

---

(2) سورة يوسف آية 52
(3) سورة النساء الآية، 105
(4) سورة البقرة الآية ، 143
(5) علي بن عمر أبو الحسن الدار قطني البغدادي(ت 385هـ) سنن الدار قطني ،تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت، 1386 – 1966،ج4،ص244، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي،(ت، 275هـ) سنن أبي داود،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر،ج3،ص306
(6) ابن ماجه، ،السنن ، ج2،ص792
(1)سورة الشعراء ، الآية 194
(2) سورة التكوير 19-21
(3) سورة الأعراف –68
(4)سورة القصص آية 8

أما المؤمنون فقد بين الله تعالى ما نالوه جزاء الأمانة و غيرها من الأخلاق الكريمة فقد قال تعالى : "وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ "([1]) .
إنّ «الأمانة» وردت في القرآن الكريم مرّات متعددة بصورة مفردة أحياناً وبصورة جمع أحياناً أخرى.والأمانة أصل مهم في أداء المسؤولية ، قال الله تعالى : (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ([2]) يعني إحدى ابنتي شعيب وتعني بذلك موسى عليه الصلاة والسلام ، وأخرج أبو جعفر ابن جرير الطبري في هذه الآية من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال عن شعيب : فأحفظتْه الغيرة أن قال : وما يدريك ماقوَّته وأمانته؟ قالت : أما قوته فما رأيت منه حين سقى لنا ، لم أر رجلا قط أقوى في ذلك السقي منه، وأما أمانته فإنه نظر حين أقبلت إليه وشخصت له ، فلما علم أني امرأة صوَّب رأسه فلم يرفعه، ولم ينظر إلي حتى بلَّغتُه رسالتك، ثم قال: امشي خلفي وانعتي لي الطريق، ولم يفعل ذلك إلا وهو أمين ، فسُرِّيَ عن أبيها وصدَّقها وظن به الذي قالت.

وان الأمانة من صفات وخلق جبريل عليه السلام حامل رسالة السماء إلى النبي الأمين ، فقد قال تعالى : { وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين }([3]).

وكذلك نجد الأمانة صفة جميع رسل الله تعالى فقد جاؤوا برسالة الله وبلغوها بأمانة لأقوامهم وبينوا لهم أنهم أمناء عليها فنوح ،وهود وصالح ولوط وشعيب من هؤلاء الأنبياء قد خاطبوا أقوامهم كما جاء في سورة الشعراء بقولهم متفقين على جملة واحدة : { إني لكم رسول أمين } وهذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي عرف بالأمانة خلقا وسلوكا وسمي لذلك بالأمين حتى قبل ألبعثه قد أمر بهذا الخلق الرفيع وحث على هذه الخصلة السامية في كثير من أحاديثه الشريفة فهو يعد الأمانة ضمن أخلاق أخرى تدخل الجنة فقال (صلى الله عليه وسلم):اضمنوا لي ستا من أنفسكم اضمن لكم الجنة : أصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا وعدتم وأدوا أذا اؤتمنتم ، وغضوا أبصاركم ، واحفظوا فروجكم ، وكفوا أيديكم)([4]).

وقد وردت الخيانة في القرآن الكريم حوالي 16 مره .

جزاء خيانة الأمانة في القران لكريم

---

(5) سورة المؤمنون آيات من 9-11
(6)سورة القصص ، الآية ، 26
(1)الطبري ، ،محمد بن جرير بن يزيد (ت310هـ)، جامع البيان في تفسير القران ،دار الفكر بيروت ،1405هـ -1984م عددالاجزاء63/2

(2) محمد بن حبان،صحيح بن حبان،ج1،ص506

عندما نرجع إلى القرآن الكريم والروايات نرى توكيدًا كبيرًا على الحياة الأخروية، (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ)([1]).
ومن يفشي سراً فهو خائن للأمانة وهو وإن شعر باللذة بهذا الفعل إلا أنه سيعذب في عالم الآخرة بعذاب شديد، وقد يبقى في جهنم مئات السنين لإفشائه السر، مع أنّ الإنسان لا يحتمل عذاب نار الدنيا فكيف يطيق البقاء في عذاب الآخرة، الذي عبر عنه القرآن، (لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى)([2])، وعبر عنه، (وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ)([3])(كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ)([4]) ، وهذا يبين لنا أهمية عالم الآخرة إذ أنه العالم الذي سنؤول إليه، (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)([5])، فالإنسان في الدنيا لن يلبث إلا فترة زمنية محدودة، والمصير عالم الآخرة، إذ هي الحياة الخالدة التي يطمح إليها الإنسان.

خيانة الأمانة في الحرب

ومن الآيات الواردة في التنديد بخيانة الأمانة قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ)، فهي تتحدث عن الغلول ومعناه خيانة الجنود في المعركة، فعندما ينتصرون ويستولون على أموال العدو، لا يسوغ لهم التصرف في هذه الأموال دون إذن من القائد، نعم هناك قسمة عامة، للفارس سهمان وللراجل سهم، غير أنّ بعض الجنود يأخذ كل ما يستولي عليه من المعركة دون الاكتفاء بنصيبه المعين له، فالغلول خيانة للأمانة وأخذ لحقوق الآخرين دون مسوغ شرعي. والله تعالى أمر النبي ﷺ بقسمة المال والتصرف فيه طبقًا للموازين الشرعية، والأنبياء لا يعتدون على قوانين الله، بل، هم الأدق تطبيقًا لهذه القوانين، لكونهم قد انصهروا في بوتقة عبودية الله تعالى. ومن يخرج إلى سوح الحرب لا ينبغي له أن يتعدى حدود الله، (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .
إنّ الإسلام حين يأمر المسلمين بالتحلّي بصفة الأمانة، يدرك أنّ الأمين هو الذي يلتزم طاعة ربّه، والخائن هو الذي ينحرف ويعصي الله؛ لأنّه يتخلى عن العهد وينقض الميثاق اللّذين يربطانه بالله الواحد القهّار .

قد وعد الله تبارك وتعالى الملتزمين بالأمانة، أمانةِ الطّاعة خيراً وجّناتِ عدن ":الذّين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق... جنّاتُ عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذريا تهم والملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدّار)([6]).

---

(1) سورة الرعد، الآية، 26
(2)سورة الأعلى، الآية ،13
(3) سورة الحج، الآية ،21
(4)سورة النساء الآية، 56
(5) سورة ،العنكبوت، الآية 64
(1) سور الرّعد، الآية ،20 – 23

فالله تبارك وتعالى عدّد صفات المؤمن الموفي بالعهد، المحافظ على الميثاق، بعد أن ذكر الأمانة والعهد. فيفهم من هذا أنّ الفرد لن يكون مؤمنًا حقّ الإيمان، ولن ينال الأجر الكبير، ولن يدخل حنّات عدن، ويكرم معه أهله...حتّى يكون أمينًا، ملتزمًا بشرع الله التزامًا شاملا، من دون نقصان .من جهة أخرى عدّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم الخيانة علامة بارزة من علامات النّفاق، فقال : " آية المنافق ثلاث، إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان. وإن صام وصلّى زعم أنّه مسلم " وقال أيضًا: " إذا ضُيّعت الأمانة فانتظر السّاعة ." ولقد كانت الأمانة من أبرز أخلاق الرّسل صلوات الله وسلامه عليهم، وكانت الشّرط الأساس في اصطفائهم واختيارهم لحمل الرّسالات وتبليغها إلى النّاس. قال تعالى حكاية عن رسله : نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وغيرهم في سورة الشّعراء : " إنّي لكم رسول أمين ".

وقال الملك ليوسف عليه السّلام حين كلّمه ..." :إنّك اليوم لدينا مكين أمين قال اجعلني على خزائن الأرض إنّي حفيظ عليم ([1])" وقال هود لقومه عاد: " قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكنّي رسول من ربّ العالمين أبلّغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصحٌ أمين([2]) .

وجاء على لسان عفريت من الجّن لمّا سأل سليمان عليه السّلام، أيّكم يأتيني بعرش بلقيس قبل أن يأتيني قومها مسلمين: (... أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنّي عليه لقوّي أمين)([3]) . وذكر القرآن ما قالته إحدى ابنتي شعيب حين طلبت من أبيها أن يستأجر موسى عليه السّلام في العمل في رعي أغنامه : (قالت إحداهما يا أبت استأجره إنّ خير من استأجرت القوّي الأمين)([4]) ولقد كان الرّسول صلّى الله عليه وسلّم منذ صباه وقبل البعثة مثلاً للأمانة والصدق والوفاء، وكان قومه يلقّبونه بالصادق الأمين؛ حتى إنّه كان مستودع الأمانات. وقد كان الحكم في وضع الحجر الأسود في مكانه، في الحادث المشهور. وبفضل أمانته جنّب القبائل العربية فتنة هوجاء، قالوا فيه " هذا الأمين ارتضيناه حكما من هنا، ومن خلال هذه الآثار تتّضح لنا عظم الأمانة وأهميتها في حياة النّاس، وتبرز ضرورتها في بناء العلاقات بين أفراد المجتمع على أسس ثابتة، وقواعد راسخة. فقد ربط الله كلّ الفضائل والمكارم

---

(1) سورة ،يوسف الآية، 54،55

(2) سورة الأعراف ، الآية ،67، 68

(3)سورة النمل ، الآية ، 39

(4) سورة القصص ، الآية،26

والأخلاق الفاضلة بالأمانة، ربط بينها وبين النّصح، والصّدق والقوّة والمكانة الرّفيعة وغيرها؛ ممّا يبيّن حقيقة الإسلام، وأنّه أمانة لا غير.

المبحث الثاني

خيانة الأمانة في الحديث الشريف

واقتداء بصاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، حذيفة رضي الله عنه إذ قال في الحديث المتفق عليه: (كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني)([1]).

والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كان يحذر منها بقوله: (لا تخن من خانك)([2])، ويستعيذ بالله منها في دعائه: (وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة)([3]).

لقد شمل لفظ " الخيانة " بذلك معاني واضحة تحدد معالم الأشرار، لا تركن إليها النفوس الحرة، ولا ترتضع ألبانها الأفواه النظيفة، معاني تركس الأخلاق الفردية والجماعية في الخلل والفساد، من أقصى المعاملات الذاتية والفردية إلى أقصى نظم الحكم والسياسة والاقتصاد والاجتماع:

- فمن لم يهذب نفسه ولم ينتفع بعقله فقد خان نفسه.
- ومن استسلم لحلاوة المال أو الجاه أو القوة فقد خان نفسه.
- ومن عشي بصره عن عيوبه، ومَرِضَ قلبه بالهوى فقد خان نفسه.
- ومن غرته المطامع وأعمته الأماني فقد خان نفسه.
- ومن غُلَّ عقله بالغضب والشهوة فقد خان نفسه.
- ومن مدحك بما ليس فيك فقد خانك.
- ومن ستر عنك الرشد إتباعا لما تهوى فقد خانك.
- ومن ساترك عيبك فقد خانك.

---

(1) نعيم بن حماد المروزي أبو عبد الله، كتاب الفتن،تحقيق سمير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد، لقاهرة، 1412هـ،ج1،ص35
(2) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري(ت، 463هـ) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ,محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387هـ،ج20،ص159
(3) أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي(ت، 303هـ) المجتبى من السنن،تحقيق ، عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1406 – 1986م ،ج8،ص263

- **ومن كان معك في أمر جامع واستبد برأيه عليك فقد خانك**

إن الخيانة تفوق خطورتها جل الكبائر المرتكبة، لأنها تضمها كلها، ولها تعلق بالنفاق والغش والخداع وترك النصيحة وارتكاب الفواحش والنميمة والكفر والشرك وسفك الدم الحرام...الخ

فالنفاق خيانة كله، وآية المنافق كما وردت في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان([1])، وإخلاف الوعد خيانة، وانتقاص الأمانة خيانة؛ والكذب خيانة لأنه تزوير وقلب للحقائق، بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم عد الكذب على المؤمنين أكبر خيانة بقوله (كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب([2]).

والغش والمكر والخديعة خيانة لأن فيها انتقاصا لحقوق المسلمين وإضرارا بهم وغدرا لهم، ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم:

- **(المكر والخديعة والخيانة في النار ([3]).**
- **(من غشنا فليس منا والمكر والخداع في النار ([4]) .**
- **(من غش المسلمين فليس منهم ([5]).**

وترك النصيحة خيانة، لأن تركها غمط لحق المؤمنين فيها وخيانة لهم، قال صلى الله عليه وسلم: (من أشار على أخيه بأمر يعلم الرشد في غيره فقد خانه)([6]) .

والغلول خيانة، لأنه بمثابة سرقة المال العام، وهو من الكبائر بإجماع، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: (لا تغلوا فإن الغلول نار وعار على أصحابه في الدنيا والآخرة([7])، وقال: (بئس العبد يختل الدنيا بالدين ([8]).

---

(1) أبو بكر البيهقي، سنن البيهقي ،ج6،ص288
(2) للبخاري ،الأدب المنفرد ،تحقيق ،محمد فؤاد عبد الباقي ،دار البشائر الاسلامية ،بيروت ،ط3 ،1409هـ-1989م 142/1
(3) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين ، ج4،ص650
(4) محمد بن حبان ، صحيح ابن حبان ، ج 2، ص326
(5) علي بن أبي بكر الهيثمي(ت، 807 هـ) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الريان للتراث ,دار الكتاب العربي، القاهرة , بيروت، 1407هـ،ج 4ص79، الطبراني ، ابو القاسم سليمان بن احمد بن أيوب (ت360)، المعجم الكبير ،تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ،مكتبة العلوم والحكم ،الموصل ،ط2 ،1404هـ 1983م ، 359/2
(6) الأزدي ، سنن أبي داود،ج 3 ص321
(7)احمد بن حنبل ، مسند أحمد ج 5ص326
(8) الترمذي ، (سنن الترمذي) ، ج4،ص632

وترك الالتزام بأمر الجماعة خيانة، سواء كان اشتراكها في تجارة أو فلاحة أو صناعة، أو كان في الدعوة والجهاد، لأن في ذلك نقضا للعهد وطعنا في الظهر ومدعاة لتخلي الله تعالى عن الخائن، وهو ما يشير إليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (يقول الله عز وجل: أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه، فإذا خان خرجت من بينهما ([1])أي حجبت مدافعة الله تعالى عن الاثنين معا، واختصت بالصادق المظلوم منهما.

وارتكاب الفواحش خيانة، فالسارق خائن لأنه ينتقص أموال الناس بغير حق، والزاني خائن لأنه ينتهك أعراض الخلق وينتقصها، والقاتل خائن لأنه يسلب المقتول حق الحياة، والجاسوس خائن... والمغتاب خائن... والنمام خائن...الخ

إن الخيانة رأس كل خطيئة وعنوان كل جريمة مهما دقت أو جلت، والأمين لا يخون أبدا، لا يخون مسلما ولا كافرا ولا خائنا، وفي الحديث (أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك)([2])، ولذلك قال بعض السلف الصالح: (لم يخنك الأمين ولكن ائتمنت الخائن)، وقال الإمام علي رضي الله عنه:(أد الأمانة إلى البر والفاجر فيما جل أو قل).

لقد حذر سبحانه وتعالى رسوله الكريم من أهل الخيانة تحذيرا صريحا لا لبس فيه فقال: (إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا)،([3]) ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: (يطبع المؤمن على كل شيء إلا الخيانة والكذب) ([4]).

ولئن كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد كفاه الله تعالى مكر الخائنين وغدرهم فقال: (وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)([5]) ، وأرشده عز وجل إلى خير أسلوب للتعامل مع الخونة بعد أن شبههم بشر الدواب بقوله (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ)([6])، فإنه صلى الله عليه وسلم تعليما لنا وإرشادا وتحذيرا، كان لا يستعين مطلقا بمن يتوسم فيهم ملامح الخيانة؛ فعن أبي موسى قال: انطلقت مع رجلين إلى النبي صلى

---

(1) سنن أبي داود256/3، سنن الدار قطني 35/3

(2) سنن أبي داود290/3 ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد (ت 597هـ) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، طبعة دار الكتب العلمية لعام 1403هـ 159/20

(3) سورة النساء ،الآية ،50

(4) احمد بن علي العسقلاني (ت852هـ) فتح الباري تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،ومحب الدين الطائي ،دار المعرفة ،بيروت 1379هـ ،ج 10،ص508،

(5) سورة الأنفال ، الآية ،71

(6) سورة الأنفال ، الآية ،57،56،55

الله عليه وسلم، فتشهد أحدهما ثم قال: جئنا لتستعين بنا، وقال الآخر مثل قول صاحبه، فقال صلى الله عليه وسلم: (إن أخونكم عندنا من طلبه)، فاعتذر أبو موسى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: لم أكن أعلم لما جاءا له، فلم يستعن بهما على شيء حتى مات ([1]).وبما أن الدعوة الإسلامية شهادة على الناس كما قال تعالى (لِتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً)([2]) ، فلا يجوز أن ينضم إليها خائن ولا خائنة، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا زان ولا زانية ولا ذي غمر على أخيه)([3])، وفي رواية ابن ماجه:(لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا محدود في الإسلام ولا ذي غمر على أخيه)([4]).

إن علاج الصف المسلم من هذه الآفة هو المناصحة والمودة بين جميع أعضائه، مهما تباعدت ديارهم وأبدانهم، والحذر من أن يتحول أعضاؤه إلى مجموعة من الغششة المتخاونين، يتنافسون على المال والجاه والمنصب، ولا يرعون في مؤمن إلا ولا ذمة.

تقوية الأمانة المالية:

وحيث أن من أهم الأمانات اللازمة في كل من عين في المنصب الإداري؛ الأمانة المالية، ومن أصعب أنواع الرقابة، الرقابة على الاختلاسات المالية اليسيرة، والتعدي على الممتلكات العامة. وهذا من خيانة الأمانة وقد قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ }([5]) ، وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلولا، ففي صحيح مسلم عن عدي بن عميرة رضي الله عنه أن رسول الله عليه وسلم قال:(من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطا فما فوقه كان ذلك غلولا يأتي به يوم القيامة وفي الحديث الآخر:" من استعملناه على عمل، فرزقناه رزقا، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول"([6]).

وفي المقابل فإن المتصف بالأمانة له أجر عظيم، فقد قال الله تعالى صفات أهل الأيمان:" والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون" ([7]) ، و قال صلى الله عليه وسلم:" الخازن الأمين الذي يؤدي ما أمر به طيبة نفسه، أحد المتصدقين("[8]). وفي الحديث الآخر:" العامل بالحق على الصدقة كالغازي في سبيل الله عز وجل حتى يرجع إلى بيته"([9]) . وهذه حوافز إيمانية تجعل العامل يتفانى في عمله ويجتهد فيه وهو مليء

---

(7) - الأزدي ،سنن أبي داود، ج 3،ص130

(1) سورة البقرة ، الآية ،143
(2) الأزدي ، سنن أبي داود ج3،ص306
(3) القز ويني ، سنن ابن ماجه ،ج2 ،ص792
(4) سورة الأنفال ، الآية ،27
(5) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين . ج1،ص563
(6) محمد بن احمد بن أبي بكر(ت671هـ)تفسير القرطبي ،تحقيق احمد عبد العليم البردوني ،دار الشعب ،القاهرة 1372هـ،ج12،ص107
(7)ا لبخاري ، صحيح البخاري . [8]ج2،ص789
(1)مسند احمد ،ج4،ص143

بسعادة غامرة لأنه في عبادة ما دام في عمله، وكل ما يؤديه لبيت المال فكأنه متصدق به.

أما في سيرته العطرة صلى الله عليه وسلم وسنته المشرفة فقد كانت الأمانة من أهم مميزات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل كان يشهد بها أعداءه فقد سموه الصادق الأمين، وقد طمأنته أم المؤمنين خديجة عليها السلام عندما نزل عليه صلى الله عليه وسلم الوحي عندما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم : { إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد والله خشيت أن يكون هذا أمرا }. قالت : معاذ الله. ما كان الله ليفعل بك. فوا لله أنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث)([1]).

فقد ورد الكثير من الأحاديث التي تحث على الأمانة، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم، نهى عن المعاملة بالمثل في عدم الأمانة خاصة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال(أد الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك ([2]))

كما اعتبر النبي صلى الله عليه وسلم مجرد الحديث، وعدم الإيصاء بكتمانة أمانة يجب حفظها وعدم كشفها لأحد، فقال صلى الله عليه وسلم (إذا حدث الرجل بالحديث ثم التفت فهي أمانة)([3])

وأخبر الرسول الأكرم صلوات الله عليه وسلامه أن ضياع الأمانة من علامات فساد الزمان فعن حذيفة قال : { حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين، قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا : أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة، ثم حدثنا عن رفع الأمانة قال : ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل

الوكت، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا، وليس فيه شيء ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله، فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة، حتى يقال إن في بني فلان رجلا أمينا، حتى يقال للرجل ما أجلده ما أظرفه ما أعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان }([4]) .

وغير هذا الكثير من نصوص الكتاب والسنة التي تبين وتدل على أن الأمانة عظيمة القدر في الدين ، ومن عظيم قدرها أنها تقف على جنبتي الصراط ولا يمكن من الجواز إلا من حفظها ، كما رواه مسلم في صحيحه ، فليس هناك أدل على عظم قدر الأمانة من كونها تكون بجوارك على الصراط يوم القيامة.

والأمانة تكون في الأعيان كما ذكرنا، وتكون كذلك في غيرها فكلمة الحق أمانة،

---

(2)احمد بن علي الشافعي ،(ت852هـ)الإصابة،تحقيق على محمد البجاوي ،دار الجيل ،بيروت 1412هـ،1992م ،ج6،ص608

(3)محمد بن عيس الترمذي ،(ت279هـ)سنن الترمذي ،تحقيق احمد محمد شاكر وآخرون ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت،ج3،ص564

(4) احمد بن حجر الشافعي (ت852هـ)فتح الباري ،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الطائي،دار المعرفة ،بيروت ،1379هـ،ج11،ص82

(4) مسلم ، صحيح مسلم ، ج 1،ص127

وإتقان العمل وأداؤه بالشكل المتفق عليه أمانة، فمن ترك عمله فهو خائن للأمانة، ومن قصر فيما طلب منه فهو خائن للأمانة.
فالأمانة هي الالتزام بكل ما شرع من الدين، والالتزام بكل ما اتفق عليه بين الناس من العقود والأعمال، وإذا طبق المسلمون خلق الأمانة سوف يتغير الحال إلى خير حال.
فسنجد كل إنسان يتقن عمله، ويحافظ على كلامه، ويخدم مجتمعه ووطنه، وسوف يظهر هذا في قوة المجتمع وتقدمه وازدهاره على نحو يفخر به كل من انتسب إلى هذا الدين.
نسأل الله أن يرزقنا الأمانة، وأن يجملنا بأحسن الأخلاق في الدنيا والآخرة، إن ولي ذلك والقادر عليه.
عن حذيفة؛ قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال. ثم نزل القرآن. فعلموا من القرآن وعلموا من السنة". ثم حدثنا عن رفع الأمانة قال:"

أما منزلة الأمانة فإنها عظيمة وعالية في الدين ، ومما يدل على ذلك ماجاء في حديث أهوال يوم القيامة واعتذار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن الشفاعة وفيه " فيأتون محمدًا صلى الله عليه وسلم فيقوم فيؤذن له ، وتُرسَل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا" أخرجه مسلم بن الحجاج من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما([1]). وإذا كانت الأمانة بهذه المنزلة فهل يجوز الحلف بها ؟

لايجوز الحلف بالأمانة كما أخرج أبو داود من حديث بريدة الأسلميِّ رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من حلف بالأمانة فليس منـــا([2]"). وعن جبلة بن سحيم قال : أقبلت مع زياد بن حدير من الجابية فقلت في كلامي : لا والأمانة ، فجعل زياد يبكي ويبكي ، فظننت أني أتيت أمرا عظيما ، فقلت له : أكان يُكرَهُ هذا؟ قال: نعم ، كان عمر بن الخطاب ينهى عن الحلف بالأمانة أشد النهي ([3]).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " المستشار مؤتمن([4])"

فالإشارة في غاية الأهمية ، لأنها تُبنَى عليها الثقة والطمأنينة وعليها يقوم العمل ، فلابد أن يكون المستشار أمينا ليؤدي مشورته بإخلاص وأمانة لأن نجاح العمل يتوقف على ذلك .

---

(1)أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت676هـ)شرح النووي على صحيح مسلم ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،1392هـ،ج3،ص57

(2) أبو بكر البيهقي ،سنن البيهقي ،ج10،ص30
(3)ابن كثير ،إسماعيل بن عمر القرشي ، ابو الفداء(ت774) تفسير القران الكريم العظيم ،دار إحياء الكتب العربية ،مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ج3،ص547
(4)القزويني ،سنن ابن ماجة ،ج2،ص1233

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيان ضرورة توافر الأمانة في تحمُّل المسؤولية " الخازن المسلم الأمين الذي ينفذ ما أمِر به كاملا موفَّرا طيبا به نفسه فيدفعُه إلى الذي أمر له به أحدُ المتصدقين"([1])

فقد عدَّ النبي صلى الله عليه وسلم الأمانة أحد الشروط التي بها يستحق الخازن أن يكون من المتصدقين ، والخازن هو الذي يكون واسطة بين الأغنياء والفقراء فيجمع الأموال من الأغنياء ويعطيها لمستحقيها .

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن الإمارة بأنها أمانة ، وذلك فيما أخرجه مسلم رحمه الله من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال قلت : يارسول الله ألا تستعملني ؟ قال : فضرب بيده على منكبي ثم قال : " يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها ([2])".

وقوله صلى الله عليه وسلم " يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة " دليل على لزوم توافر القوة عند من يقوم بالولاية ، لأنه لايستطيع أداء الأمانة كاملة إلا بذلك .

وقوله " وإنها يوم القيامة خزي وندامة " بيان لمن دخل فيها وهو غير أهل لها أو جارَ فيها، أما من كان أهلا لها وعدل فيها فإن له أجر عظيما كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم " سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ([3]).

وقوله " إن المقسطين عند الله على منابر من نور ، عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وماولوا([4]) ". وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خيانة الأمانة وبيَّن بأن ذلك من صفات المنافقين كما جاء في قوله: " آية المنافق ثلاث : إذا حدَّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان([5])"

كما بين أن خيانة الأمانة من صفات ضعفاء الإيمان وذلك فيما أخرجه أبو عبد الله البخاري رحمه الله من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم – قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا – ثم إن بعدكم قوما يشهدون

---

(5)النيسابوري ،صحيح مسلم ،ج2،ص710
(2)ابو بكر البيهقي،سنن البيهقي الكبرى ،ج10،ص95
(3)صحيح البخاري ، ج1،ص234

(3)النووي ،شرح النووي على صحيح مسلم ،ج12،ص211

(4)صحيح البخاري ، ج3،ص1010

ولايستشـــهدون ، ويخونـــون ولا يؤتمنـــون ، وينـــذرون ولايفـــون ، ويظهـــر فـــيهم السمن".([1])

خلق الأمانة فى النبى (صلى الله عليه و اله و سلم)

عرف النبي صلى الله عليه و سلم بالأمانة و الصدق حتى لقب بالصادق الأمين و كانوا إذا ذهب أو جاء يقولون جاء الأمين و ذهب الأمين و يدل على ذلك قصة الحجر الأسود عند بناء الكعبة المشرفة بعدما تنازعهم في استحقاق شرف رفعه ووضعه في محله حتى كادوا يقتتلون لولا اتفاقهم على تحكيم أول من يدخل المسجد الحرام فكان الداخل هو محمد صلى الله عليه و سلم فلما رأوه قالوا : "هذا الأمين رضينا هذا محمد" فلما أخبروه الخبر قال صلى الله عليه و سلم : "هلم إلي ثوباً" فأتى به فأخذ الركن فوضعه بيده الطاهرة ثم قال : " لنأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده الشريفة ثم بني عليه قال ابن هشام : "وكانت قريش تسمي رسول الله صلى الله عليه و سلم قبل أن ينزل الوحي : الأمين"

كانت ثقة أهل قريش بالنبي صلى الله عليه و سلم كبيرة فكانوا ينقلون إلى بيته أموالهم و نفائسهم وديعة عنده و لم يزل ذلك دأبهم حتى بعد معاداته بسبب دعوته لهم إلى الإيمان بالله تعالى و ترك عبادة الأوثان كما دل على ذلك تركه صلى الله عليه و سلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مكة بعد هجرته صلى الله عليه و سلم ليرد ودائع الناس التي كانت عنده صلى الله عليه و سلم فأقام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه و أرضاه بمكة ثلاث ليال و أيامها حتى أدى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم الودائع التي كانت عنده للناس حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله صلى الله عليه و سلم شهد بأمانة الرسول صلى الله عليه و سلم أعدائه قبل أصدقائه و صحابته فها هو أبو سفيان زعيم مكة قبل إسلامه يقف أمام هرقل ملك الروم و يعجز عن نفي صفة الأمانة عن النبي صلى الله عليه و سلم رغم حرصه عندئذ أن يطعن فيه و لكن ما أن سأله هرقل عن ما يدعو إليه النبي صلى الله عليه و سلم فأجاب أبو سفيان : "يأمر بالصلاة و الصدق و العفاف و الوفاء بالعهد و أداء الأمانة" أما أصدقائه و صحابته فلم يختلف أحد على أمانته صلى الله عليه و سلم و من أمثلة ذلك ما قالته عنه خديجة رضي الله عنها عند بداية نزول الوحي عليه صلى الله عليه و سلم : "...فوالله إنك لتؤدي الأمانة و تصل الرحم و تصدق الحديث.." و ما قاله جعفر بن أبي طالب

(1) الهيثمي علي بن أبي بكر (ت807هـ)مجمع الزوائد ،دار الريان للتراث ،دار الكتاب العربي ،القاهرة ،بيروت ،1407هـ،ج10،ص19

للنجاشي ملك الحبشة رضي الله تعالى عنه حين سأله عن الدين الذي اعتنقوه فأجاب : "حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه و صدقه و أمانته و عفته.." ([1])

و لا غرو أن النبي صلى الله عليه و سلم كان مثالاً للأمانة و كيف لا و قد ائتمنه الله تعالى على رسالته الخاتمة فكان خير من أدى هذه الأمانة إلى حد الكمال فقد قال تعالى : " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا"([2])

من أقوال النبي صلى الله عليه و سلم في الأمانة وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ـ قال: حدثنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حديثين قد رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر، حدثنا "أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن، فعلموا من القرآن، وعلموا من السنة "

عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: "ما خطب رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ الناس إلا قال: لا إيمان لمن لا أمانة له" ([3])

فمن اتَّصف بكمال الأمانة فقد استكمل الدين، ومن فقد صفة الأمانة فقد نبذ الدين كلَّه، كما روى الطبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له)) ([4]) ، ولهذا كانت الأمانة صفة المرسلين والمقربين، قال تعالى عن نوح وهود وصالح عليهم السلام: ((إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ))([5]) .

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت و هو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة([6])

وقوله لأبي ذر" يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها"([7])

---

(1) الدكتور أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد، من كتاب أخلاق النبي (ص)في القران والسنة بيروت ،بلا ،ص35

(2) سورة المائدة آية 3

(1) أبو القاسم سليمان الطبراني (ت360هـ)المعجم الوسيط ،تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني،دار الحرمين ،القاهرة ،1415هـ،ج2،ص303

(2) احمد بن المثنى أبو يعلى(ت307هـ) ،مسند أبو يعلى ،تحقيق ،حسين سليم،دار المأمون للتراث ،دمشق ،1404هـ، 1984م ،ج4،ص343

(5) سورة الشعراء، الآية :107، 108

(4)عبدا لله بن عبدا لرحمن أبو محمد الدرامي،(ت،255هـ) سنن الدرامي،تحقيق فواز أحمد زمرلي , خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ،ج2،ص417

(5)أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي،(ت،235هـ) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار،تحقيق، كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ، 1409هـ،ج6،ص419

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن خيانة الأمانة من صفات المنافقين فقال "آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب, وإذا وعد أخلف, وإذا أؤتمن خان" متفق عليه ([1]) قال النبي صلى الله عليه وسلم لما روى أبو هريرة رضي الله عنه حين سأل الأعرابي رسول الله صلى الله عليه وسلم :متى الساعة؟ قال: (إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة) قال: وكيف إضاعتها؟ قال: (إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)([2])لمن سأله عن الساعة: "فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة"([3]) قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها" و في رواية "ثم ينشر أحدهما سر صاحبه"([4]) وقال صلى الله عليه وسلم في الأمر بردها : " أد الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك"([5])

الأمانة والخيانة في الروايات الإسلامية:

أمّا ما ورد من الأحاديث الشريفة عن النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله و سلم) والأئمّة المعصومين(عليهم السلام) فإنّه يحكي عن الأهميّة البالغة لهذه المسألة حيث وردت الأمانة تارة بعنوان أنّها من الأصول والمبادئ الأساسية المشتركة بين جميع الأديان السماوية، وتارة أخرى بعنوان أنّها علامة للإيمان، وثالثة بعنوان أنّها سبب نيل الرزق والثروة والثقة والاعتماد لدى الناس وسلامة الدين والدنيا والغنى وعدم الفقر وأمثال ذلك، وفيما يلي نختار من هذه الروايات الشريفة ما يتضمّن هذه المعاني والمفاهيم العميقة:

ورد في حديث عن رسول الله(صلى الله عليه وآله و سلم) أنّه قال للإمام علي(عليه السلام): «يا أبا الحَسَنِ أدِّ الأمانَةَ لِلبرِّ والفاجِرِ فِي ما قلَّ وَجَلَّ حتّى فِي الخَيطِ وَالمَخِيطِ»([6]).ويقول الإمام علي(عليه السلام) أنّ النبي قال لي ذلك في الساعة الأخيرة من حياته وكررها عليّ ثلاث مرّات.

---

(1) .النسائي ،السنن الكبرى ، ج6،ص329

(7) محمد بن حبان التميمي البستي ،(ت345هـ)صحيح ابن حبان ،تحقيق شعيب الارنؤط،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،1414هـ،1993م ج1،ص307

(3) صحيح البخاري ،ج5،ص2382

(2) عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد،(ت 656هـ) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف،تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت،1417هـ،ج3،ص61

(3)علي بن عمر الدار قطني البغدادي ،(ت385هـ)سنن الدار قطني ،تحقيق عبد الله المدني ،دار المعرفة ،بيروت 1386هـ،1966م ،ج3،ص35

(4) المجلسي ،محمد باقر (1111هـ)، بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار ،دار نداء الإسلام ،قم 1411، ج21، ص124

وفي حديث آخر عن النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله و سلم) أنّه قال: «لا إيمانَ لِمَنْ لا أمانَةَ لَهُ»([1]).

وفي حديث آخر عن الإمام الصادق أنّه قال: «إنّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَم يَبعَثْ نَبيّاً إلاّ بصِدق وفي حديث آخر عن الإمام الصادق أنّه قال: «إنّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَم يَبعَثْ نَبيّاً إلاّ بصِدق الحَدِيثِ وَأداءِ الأمانَةِ إلىَ البرِّ وَالفاجِرِ»([2]).وهذا التعبير يوضّح أنّ جميع الأديان السماوية قد جعلت الصدق والأمانة جزءً مهمّاً من تعليماتها الدينية والإنسانية ومن الأصول الثابتة في الأديان الإلهية.

ورد عن الإمام علي عليه السلام أيضاً على مستوى امتحان إيمان الناس أنّه قال: «لا تَنظُروا إلى طُولِ رُكُوعِ الرَّجُلِ وَسُجُودِهِ فإنَّ ذلِكَ شَيءٌ أعتاده فلَو تَرَكَهُ أستوحش لِذلِكَ وَلَكِنْ أنظُرُوا إلى صِدق حَدِيثِهِ وَأداءِ أمانَتِهِ»([3]).

ومثل هذا المعنى ورد عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) تعبير شديد حيث قال: «لا تَنظُروا إلى كَثْرَةِ صَلاتِهِم وَصَومِهِم وَكَثْرَةِ الحَجِّ وَالمَعرُوفِ وَطنطَنَتِهِم بالَّليلِ وَلَكِنْ أنظُرُوا إلى صِدق الحَدِيثِ وَأداءِ الأمانَةِ»([4]).والهدف من هذا التعبير ليس هو أنّ هؤلاء لا يهتمّون بصلاتهم وصومهم أو يستخفّون بحجّتهم وإنفاقهم بل الهدف هو أنّ هذه الأمور ليست هي العلامة الوحيدة لإيمان الفرد بل هناك ركنان أساسيان لدين الشخص أي الصدق والأمانة. وورد عن الإمام زين العابدين(عليه السلام) في هذا المجال تعبير عجيب حيث يقول لشيعته: «عَلَيكُم بأداءِ الأمانَةِ فوالَّذي بَعَثَ مُحَمَّداً(صلى الله عليه وآله) بالحَقِّ نَبيّاً لَو أنَّ قاتِلَ أبي الحُسَينِ ابنِ عَلَيٍّ(عليه السلام) ائتَمَنَنِي عَلَى السَّيفِ الَّذِي قتَلَهِ بهِ لأدَّيتُهُ إلَيهِ»([5]).

ومثل هذا المعنى ولكن بتعبير آخر ورد عن الإمام الصادق(عليه السلام) أيضاً: «إنَّ ضاربَ عَلِيٍّ بالسَّيفِ وَقاتِلَهُ إذا ائتمنني وَاستَنصَحَنِي وَاستِشارَنِي ثُمَّ قبلتُ ذلِكَ مِنهُ لأدَّيتُ إلَيهِ الأمانَةَ»([6]).

وفي حديث آخر عن الإمام أيضاً يستفاد أنّ الوصول إلى المقامات السامية حتّى للأئمّة المعصومين(عليهم السلام) مثل الإمام علي(عليه السلام) يتم عِبر صدق الحديث وأداء الأمانة، حيث يقول الإمام الصادق لأحد أصحابه ويدعى (عبد الله بن أبي يعفور): «أنظُر ما بَلَغَ بهِ عِندَ رَسُولِ اللهِ(صلى الله عليه وآله) فَألزَمَهُ» ثم قال: «فإنَّ

---

(1) الدهلوي ،فخر الحسن(ت911هـ) ،شرح سنن ابن ماجة ،قديمتي كتب خانة ،كراتشي،ج1،ص234

(1) الكليني ، محمد بن يعقوب الكليني((ت328هـ) ، أصول الكافي ج2 طهران 1403هـ، ص104
(3) المصدر نفسه، ص105، ح13.
(3) ألمجلسي ، بحار الأنوار، ج10 ، ص181،
(5) المصدر نفسه ، ح19،ص62
(6) المصدر نفسه ،ج20، ص341

عَلِيّاً(عليه السلام) إنّما بَلَغَ ما بَلَغَ عِندَ رَسُولِ الله(صلى الله عليه وآله)بصدق الحَدِيثِ وَأداءِ الأمانَةِ»([1]).

ونقرأ في حديث آخر بالنسبة إلى الآثار والنتائج الدنيوية المهمّة للأمانة والخيانة فقد ورد عن علي(عليه السلام) أنّه قال: «الأمانة تَجُرُّ الرِّزقَ وَالخِيانَةُ تَجُرُّ الفَقرَ»([2]).

وفي حديث مختصر وعظيم المعنى عن هذا الإمام(عليه السلام) أيضاً أنّه قال: «رَأسُ الإسلامُ الأمانَةُ»([3])

وورد شبيه لهذا الحديث مع اختلاف يسير عن لقمان الحكيم حيث أنّه قال: «يا بُنَيَّ أدِّ الأمانَةَ تَسلُمُ لَكَ الدُّنيا وَآخِرَتُكَ وَكُنْ أمِيناً تَكُن غَنِيّاً»([4]).

وهناك حديث شريف آخر عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنّه قال: «لا تَزَالُ أُمَتِي بِخَيرٍ ما تَحابُوا وَتَهادُّوا وَأدُّوا الأمانَةَ وَاجتَنَبُوا الحَرامَ وَوَقَّرُوا الضَّيفَ وَأقامُوا الصَّلاةَ وَآتوا الزَّكاةَ فإذا لَم يَفعَلُوا ذَلِكَ ابتلوا بالقَحطِ وَالسِّنِينَ»([5]).

هذه الروايات والأحاديث ما هي إلاّ موارد مختارة من المصادر الإسلامية الواردة في باب الأمانة وتوضّح جيداً أن هذا المفهوم الأخلاقي على درجة عالية من الأهمية من بين التعليمات الإسلامية، وكذلك الصفة التي تقع في مقابل الأمانة أي الخيانة ومدى إضرارها بدين الإنسان وشخصيته من موقع تخريب الإيمان وأنّها تورث الشقاء والبعد عن الله تعالى، وكل واحدة من هذه الروايات المذكورة آنفاً تشير إلى أحد الأبعاد والآثار البنّاءة للأمانة أو الأبعاد والنتائج السلبية والمخربّة للخيانة، بحيث إنّ الإنسان عند مطالعتها والتأمل والتدبّر فيها يستوحي الكثير من المفاهيم الإسلامية والقيم الأخلاقية والاجتماعية المهمّة والبنّاءة في حركة الحياة والمجتمع.

الأمانةِ في زمن الرسول الكريم (صلى الله عليه و اله وسلم)

وبعد : فما زال حديثنا عن الحث على لزوم الأمانة والتحذير من الخيانة ، ومما جاء في لزوم الأمانة والتحذير من الخيانة ما أخرجه الشيخان من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : "حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين رأيت أحدهما وأنا انتظر الآخر ، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ، ثم علموا من القرآن

---

(1) الكليني ،أصول الكافي، ج2، ص104،
(2) المجلسي ،بحار الأنوار، ج13، ص60.
(3) السيّد حسين شيخ الإسلامي التويسركاني، هداية العلم في تنظيم غرر الحكم،قم ،1389،ص32
(4) المجلسي ، بحار الأنوار، ج11، ص117.
(5) المجلسي ،بحار الأنوار، ج19، ص115.

، ثم علموا من السنة ، وحدثنا عن رفعها ، قال : ينام الرجل النومة فتُقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها ، ثم ينام النومة فتقبض فيبقى فيها أثرها مثل أثر المجْل ، كجمر دحرجْتَه على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شيء ، ويصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة ، فيقال : إن في بني فلان رجلا أمينا ، ويقال للرجل : ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ، ولقد أتى عليَّ زمان ولا أبالي أيكم بايعت ، لئن كان مسلما رده علي الإسلام ، وإن كان نصرانيا رده علي ساعيه ، وأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلانا وفلانا "([1]).

فهذا الحديث فيه بيان عظم الأمانة وأثر تطبيقها في استقامة المجتمع ، وأثر إهمالها في انحرافه وتخريب عمرانه .

وقوله " حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين " يعني عن نزول الأمانة وعن رفعها ، وهما في هذا الحديث ، فبدأ بالحديث الأول فقال : " حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال " الجذر بفتح الجيم وكسرها هو الأصل ، يعني أن الناس خلقوا على الفطرة وهي السلامة من الانحراف، قال: " ثم نزل القرآن ، فتعلموا من القرآن وعلموا من السنة " وهما يأمران بالاستقامة ومن ذلك لزوم أداء الأمانة وذلك فيما يتعلق بحق الله تعالى ، بفعل أوامره واجتناب نواهيه ، وما يتعلق بحقوق الناس بحفظهم في نفوسهم وأعراضهم وأموالهم .

قال : " وحدثنا عن رفعها يعني مايطرأ على الناس من ضعف الإيمان الذي يترتب عليه الوازع الديني ، وبالتالي فساد الفطرة ، ومن ذلك اتصاف الناس بالخيانة وعدم الأمانة ، وهذا هو الحديث الثاني الذي ذكر حذيفة رضي الله عنه أنه ينتظره .

---

(1)صحيح البخاري ،ج6،ص2596

" قال : ينام الرجل النومة فتُقبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرها مثل الوكت" أي يصير أثرها مثل الوكت وهو السواد في اللون " ثم ينام النومة فتقبض فيبقى فيها أثرها مثل أثر المَجْل" وهو أثر العمل في اليد "كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شيء " أي انتفخ فصار عاليا وليس فيه جمر بل هو رماد ، فهذا مثل الأمانة حينما ترفع من قلب الإنسان فلا يبقى إلا أثرها، ولعل في هذا تعبيرا عما يقوم به المسلم من التقلب في هذه الحياة والاغترار بنعيمها الزائل، والابتعاد عن سماع المواعظ والعبر ، فتتضخم في عينه الدنيا ، وتتضاءل في عينه الآخرة ، ويتقلص اتصافه بالإيثار ، ويمتد تخلقه بالأثرة والأنانية شيئا فشيئا ، ويعظم في قلبه الحقد والحسد ، فيقل عنده الوازع الديني ، وبالتالي يضعف إيمانه فيصبح شكلا بلا مضمون ، ويحتفظ باسم الإيمان ولكنه ليس الإيمان الحي المتحكِّم في السلوك ، بل يَخلُفه في هذا التحكُّم الهوى المنحرف ، وبالتالي فإنه يزدري الأمانة ، ويتجاسر على الخيانة .

قال : " ويصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة ، ويقال : إن في بني فلان رجلا أمينا ، ويقال للرجل : ما أعقله وما أظرفه وما أجلده ومافي قلبه مثقال حبة خردل من إيمان" وهذا تعبير عن ضعف الإيمان وقلة الوازع الديني عند المسلمين ، حيث يحل الغش والخيانة والغدر مكان الأمانة والوفاء والصدق ، ويبقى الرجال الذين يطمحون نحو الكمال ويحملون عناصر السيادة محل إعجاب الناس بحسن تدبيرهم وسياستهم لدنياهم ، ولكن مستوى الإيمان قد تضاءل جدا في قلوبهم ، فهم قد حققوا أحد عنصري التأهيل لحمل المسؤولية وهو الكفاءة في العمل ولم يحققوا العنصر الآخر وهو الأمانة ، وقد ذكر الله سبحانه هذين العنصرين في خبر موسى عليه الصلاة والسلام مع شعيب وذلك في قوله عن ابنة شعيب (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ)([1]) وقد كانت القوة هي الكفاءة في ذلك العمل ، كما ذكرهما على لسان يوسف عليه الصلاة والسلام في قوله لملك مصر (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ

---

(1) سورة القصص ،الآية 26

الأرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) ([1])، فالحفظ هو الأمانة ، والعلم هو الكفاءة وذلك بالبصيرة والمعرفة فالذين يفقدون عنصر الأمانة لايصلحون لحمل المسؤولية وإن حازوا على إعجاب الناس بكفاءتهم في أعمالهم ، كما أن الذين يفقدون الكفاءة لاينجحون في أعمالهم .

قال حذيفة : " ولقد أتى عليَّ زمان ولا أبالي أيكم بايعت ، لئن كان مسلما رده علي الإسلام، وإن كان نصرانيا رده علي ساعيه ، وأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلانا وفلانا" يعني أنه في زمان حذيفة الماضي كان الناس يتمتعون برادعين يردعانهم عن الخيانة ، أحدهما الدين بالنسبة للمسلمين ، فالصحابة رضي الله عنهم لدينهم القوي يتحلون بالأمانة ولا يحتاجون إلى رادع من السلطان يردعهم عن الخيانة ، والثاني الرادع السلطاني فيما إذا كانت المعاملة مع نصراني أو يهودي ، لأنهم كانوا يعيشون في دولة الإسلام ، ودولة الإسلام في عصر الخلفاء الراشدين كانت قوية وعادلة بحيث لايستطيع أحد أن يتجرأ على الخيانة وإن كان غير مسلم .

ولقد عدَّ النبي صلى الله عليه وسلم ضياع الأمانة من علامات الساعة ، يعني من العلامات الصغرى حيث يقول : " إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة ، قال – أي الأعرابي الذي سأله عن الساعة - : كيف إضاعتها يارسول الله ؟ قال : إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة".([2])

وهكذا عدَّ النبي صلى الله عليه وسلم إسناد الأمر إلى غير أهله من تضييع الأمانة ، وأن ذلك من علامات الساعة ، وإسناد المسؤوليات إلى غير الأكفاء من أهم عوامل الفشل وعدم نجاح العمل ، لأن التفاصيل الدقيقة للعمل في واد ومن أسند إليه العمل في واد آخر ، فتصبح تصرفاته سلبية إن لم تكن مناقضة لمصلحة العمل .

---

(1)سورة يوسف ، الآية، 55

(1) الشيباني ،مسند احمد ،ج2،ص361.

عندما نتحدّث عن الأمانة فإنّ أغلب الناس يتبادر إلى أذهانهم الأمانة في الأمور المالية، ولكن كما تقدّم في تفسير الآيات الواردة عن الأئمّة المعصومين(عليهم السلام) أنّ الأمانة لها مفهوم واسع جدّاً بحيث تستوعب جميع المواهب الإلهيّة والنعم الربانيّة على الإنسان.

هذه النعم الإلهيّة المندرجة في مفهوم الأمانة تشتمل على مصاديق لا تعد، فهي ترد بالنسبة إلى القرآن الكريم والإسلام والإيمان والولاية وحتّى إلى أقل النعم والمواهب المادية والمعنوية.

الأحاديث الشريفة التي تؤكد على أنّ الأمانة تورث الغنى، وأنّ الخيانة تورث الفقر ناظرة إلى الأمانة المالية والمادية، ولكنّ الآية الشريفة وبعض الروايات التي تشير إلى عرض الأمانة على السموات والأرض لا تقصد الأمانة المادية والمالية قطعاً بل تمتد أبعد من ذلك وتنظر إلى الأمانات المعنوية.

ونقرأ في حديث عن الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) عندما يحين وقت الصلاة فإنّ حاله يتغيّر وعندما سئل عن ذلك قال: «جَاءَ وَقتُ الصَّلاةِ، وَقتُ أمانَة عَرضَهَا اللهُ عَلَى السَّمواتِ وَالأرضِ فأبَينَ أنْ يَحمِلنَها وأشفقنَ مِنها»([1]).

وفي حديث آخر عن الإمام الصادق(عليه السلام) أنّه قال: «إنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالى خَلَقَ الأرواحَ قَبلَ الأجسَادِ بألفَي عام فَجَعَلَ أعلاها وَأشرَفَها أرواحَ مُحَمَّد وَعَليٍّ وَفاطِمَةَ وَالحَسَنِ والحُسَينِ وَالأئِمَةَ بَعدَهُم صَلَواتُ اللهِ عَلَيهِم فَعَرضَها عَلى السَّمواتِ والأرضِ وَالجِبالِ... إلى أن يقول: فولايَتُهُم أمانَةٌ عِندَ خَلقِي»([2]).

إن الأسرار من الأمانات ، وهي كذلك من العهود التي يجب الحفاظ عليها ، ويجب التغليظ على من يفشونها ، فيخونون الأمانة ، وينقضون العهد ، وتعزير من يستحق التعزير منهم .

والأسرار تتفاوت فيما بينها من حيث التغليظ في إفشائها إذ منها ما يكون ضرره عاما وعظيما كإفشاء سر إلى الكفار يكون به هزيمة المسلمين أو فوات النصر عليهم وهو ما يصطلح عليه حديثا باسم الخيانة العظمى ومنها ما هو دون ذلك من مثل ما يكون ضرره خاصا، إلا أن كلّها تشترك في كونها خيانة للأمانة وإخلافا للعهد . وإذا كان الحفاظ على السر واجبا فإن إفشاء السر حرام .

---

(1) الشيخ عبد علي بن جمعة الحويزي، تفسير نور (ت، 1112هـ) طهران ،بلا ج4، ص313

(2)نفس المرجع ،ج4 ،ص312

وقد أسرَّ النبي صلى الله عليه وسلم إلى عائشة وحفصة بحديث وائتمنهما عليه ، فأظهرتا سرَّه صلى الله عليه وسلم ، فعاتبهما الله تعالى على ذلك .

قال تعالى : { وإذ أسرَّ النبي إلى بعض أزوجه حديثا فلمَّا نبأت به وأظهره الله عليه عرَّف بعضه وأعرض عن بعض فلمَّا نبأها به قالت مَن أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير([1])

ثم قال تعالى : { إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير([2]) فاعتزل النبي صلى الله عليه وسلم أزواجه شهرا من أجل الحديث الذي أفشته حفصة لعائشة ([3]) قال ابن حجر رحمه الله عن هذا الحديث (وَفِيهِ الْمُعَاقَبَة عَلَى إِفْشَاء السِّرّ بِمَا يَلِيق بِمَنْ أَفْشَاهُ .

وفي السنة النبوية نجد الترهيب من الاطلاع على أسرار الغير وكذلك الترهيب من نشر ما لا ينبغي نشره من الأسرار .

فمن ذلك : التغليظ على من أراد الاطلاع على عورات الآخرين : ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا اطَّلَعَ عَلَيْكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ فَخَذَفْتَهُ بِحَصَاةٍ فَفَقَأْتَ عَيْنَهُ مَا كَانَ عَلَيْكَ مِنْ جُنَاحٍ ([4])

قال ابن حجرفي شرح الحديث : (وَوَقَعَ عِنْد مُسْلِم مِنْ وَجْه آخَر عَنْ أَبِي هُرَيْرَة بِلَفْظِ " مَنْ اِطَّلَعَ فِي بَيْت قَوْم بِغَيْرِ إِذْنهمْ فَقَدْ حَلَّ لَهُمْ أَنْ يَفْقَئُوا عَيْنه " وَوَرَدَ مِنْ وَجْه آخَر عَنْ أَبِي هُرَيْرَة أَصْرَحُ مِنْ هَذَا عِنْد أَحْمَدَ وَابْن أَبِي عَاصِم وَالنَّسَائِيِّ وَصَحَّحَهُ اِبْن حِبَّان وَالْبَيْهَقِيُّ ... بِلَفْظِ " مَنْ اِطَّلَعَ فِي بَيْت قَوْم بِغَيْرِ إِذْنهمْ فَفَقَئُوا عَيْنه فَلا دِيَة وَلا قِصَاص " وَفِي رِوَايَة مِنْ هَذَا الْوَجْه " فَهُوَ هَدَر .

ومثله أيضا : الوعيد في حق من تسمَّع لأسرار غيره ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ... وَمَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ صُبَّ فِي أُذُنِهِ الآنُكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ([5])

---

(1)سورة التحريم ، الآية ،3

(2)سورة التحريم، الآية 4

(3) الهيثمي ،مجمع الزوائد ،ج4،ص316

(4)صحيح البخاري ،ج3،ص1283

(1)الطبراني ،المعجم الوسيط ،ج4،ص103 والآنك هو الرصاص المذاب.

ومن الترهيب من نشر ما لا يحل نشره ما جاء في ذمٍّ من نشر سر الزوجية ، وجعله من أشر الناس عند الله منزلة .

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم " : إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه ثم ينشر سرَّها ([1])."

وفي رواية أخرى([2]) : " إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها " . ومعنى " من أعظم الأمانة " أي : من أعظم خيانة الأمانة .

ومن وصايا العرب للعروس : ولا تفشي له سرّاً ، فإنك لو أفشيتِ سرَّه ، أوغرتِ صدرَه .

وأسرار البيوت لا ينبغي أن تُفشى ، وقد كان العقلاء وأهل الدِّين يوصون صاحب السرِّ بعدم إفشائه ، فعن ثابت عن أنس قال : أتى عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب مع الغلمان ، قال : فسلَّم علينا ، فبعثني إلى حاجة فأبطأتُ على أمي ، فلمَّا جئتُ قالت : ما حبسك ؟ قلت : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة ، قالت : ما حاجته ؟ قلت : إنها سر ، قالت : لا تحدثنَّ بسرِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً .

قال أنس : والله لو حدثتُ به أحداً لحدثتك يا ثابت ([3])وإفشاء الأسرار من علامات النفاق ، إذ إنه يدخل في خيانة الأمانة .

عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " أربع مَن كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ، ومَن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا ائتُمِن خان ، وإذا حدَّث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر ([4])

وليس من شرط الأمانة أن يخبر المتكلمُ السامعَ بأن هذا الكلام سرٌّ فلا تخبر به أحدا ، بل يكفي أن تدلَّ القرينة على ذلك كما لو أخذه بعيدا عن الناس ليحدِّثه ، أو جعل يحدِّثه وهو يتلفَّت خوفا من أن يسمع الناس حديثه ، وقد روى الترمذي([5]) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ

---

(2)صحيح مسلم ،ج2،ص1060

(3) أبي عوانه الاسفرائيني (ت316هـ)مسند أبي عوانه ،تحقيق أيمن الدمشقي ،دار المعرفة ،بيروت ،1998،ج3،ص87

(3) المناوي ،عبد الرؤوف ،فيض القدير،المكتبة التجارية الكبرى ،مصر،1356هـ،ج1،ص430

(2) صحيح البخاري ،ج1 ،ص21 .

(3) إسماعيل محمد العجلوني ،(ت1162هـ)كشف الخفاء ،تحقيق احمد القلاش ،بيروت ،1405هـ،ج2 ،ص260

اللَّهِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ . حسنه الألباني في صحيح الترمذي . قال في "تحفة الأحوذي : " ثُمَّ اِلْتَفَتَ) أَيْ يَمِينًا وَشِمَالا اِحْتِيَاطًا) فَهِيَ أَمَانَةٌ)([1]) أَيْ عِنْدَ مَنْ حَدَّثَهُ أَيْ حُكْمُهُ حُكْمُ الأَمَانَةِ فَيَجِبُ عَلَيْهِ كَتْمُهُ . قَالَ اِبْنُ رَسْلانَ : لأَنَّ اِلْتِفَاتَهُ إِعْلامٌ لِمَنْ يُحَدِّثُهُ أَنَّهُ يَخَافُ أَنْ يَسْمَعَ حَدِيثَهُ أَحَدٌ وَأَنَّهُ قَدْ خَصَّهُ سِرَّهُ , فَكَانَ الاِلْتِفَاتُ قَائِمًا مَقَامَ أَكْتُمْ هَذَا عَنِّي أَيْ خُذْهُ عَنِّي وَاكْتُمْهُ وَهُوَ عِنْدَك أَمَانَةٌ

.

الفصل الثاني

الأمانة وأنواعها

المبحث الأول : أنواع الأمانة

المبحث الثاني :معطيات الخيانة و الأمانة

---

(1)محمد عبدا لرحمن المباركفوي ،(ت1353هـ)تحفة الاحوذي ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ج7،ص73

الفصل الثاني
الأمانة وأنواعها

المبحث الأول :أنواع الأمانة:

الأمانة :وهي ضد الخيانة ، والأمانة كلمة واسعة المفهوم ، يدخل فيها أنواع كثيرة ، منها :

1- الأمانة في العبادة: فمن الأمانة أن يلتزم المسلم بالتكاليف، فيؤدي فروض الدين كما ينبغي، ويحافظ على الصلاة والصيام وبر الوالدين، وغير ذلك من الفروض التي يجب علينا أن نؤديها بأمانة لله رب العالمين.والأمانة تشمل كل ما استودعك الله أمره وأمرك بحفظه، فيدخل فيها حفظ جوارحك عن كل ما لا يرضي الله. وحفظ ما ائتمنت عليه من حقوق الناس، والأمانات تعم أيضًا جميع الواجبات على الإنسان سواء كان واجبًا عليه ابتداء، وهو ما يتساوى فيه الناس من حقوق الله -تعالى- على عباده كالصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها، أو كان واجبًا لسبب من الأسباب من حقوق الله -تعالى- كالكفارات والنذور. وعن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (خمس من جاء بهن يوم القيامة مع إيمان دخل الجنة: من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن، وأعطى الزكاة من ماله طيّب النفس بها - وكان يقول - وأيم الله، لا يفعل ذلك إلا مؤمن، وأدّى الأمانة، قالوا:([1]) يا أبا الدر داء وما أداء الأمانة؟ قال -رضي الله عنه-: الغسل من الجنابة، فإن الله -تعالى- لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيره .([2])

ولا تنافي بين تفسيرنا للأمانة بالتكليف، وبين ما روي عن بعض السلف في تفسير الأمانة ببعض الواجبات كما روي عن بعضهم أنه قال: الأمانة الغسل من الجنابة.

---

(1) المقريزي ،احمد علي ،(ت845هـ)مختصر كتاب الوتر تحقيق إبراهيم محمد علي ،محمد عبدا لله،مكتبة المنار ،الأردن ،1413،ج1،ص32

(2) الطبراني ، المعجم الكبير ،3ج ص56

وقال بعضهم: الأمانة ثلاثة: الصلاة والصوم، والاغتسال من الجنابة، وقال بعضهم: الأمانة هي الفرائض، وقال آخرون: هي الطاعة، وقال بعضهم: الأمانة: الدين والفرائض والحدود.

وقال ابن مسعود -رضي الله عنه-: الأمانة أداء الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، وصدق الحديث، وقضاء الدين، والعدل في المكيال والميزان، وأشد من هذا كله الودائع.

وقال مجاهد الأمانة: الفرائض وحدود الدين.

وقال أبو العالية ما أمروا به ونهوا عنه.

وقال زيد بن أسلم هو الصوم، والغسل من الجنابة، وما يخفى من الشرائع.

وقال بعضهم: هي أمانات الناس، والوفاء بالعهود.

وهذه الأقوال لا تنافي بينها، بل هي متفقة وراجعة إلى أنها التكليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها، وهو أنه إن قام بذلك أثيب، وإن تركها عوقب، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه إلا من وفقه الله .

أما أمانة العبادات فهي كل ما افترض الله على العبادة، كالصلاة والزكاة والصيام والطهارة وغيرها من العبادات. وهي كذلك تشمل الانتهاء عما نهى الله عباده عن اقتحامه من المحرمات، فالبصر أمانة لا يجوز إطلاقه في محارم الله، والسمع أمانة لا يسمع به ما حرم الله، والقلب أمانة لا يودع فيه من العلم إلا ما يرضي الله كما قال تعالى: 'إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا' ([1])هذه هي أمانة العبادات التي كلف الله عباده بحملها وأدائها، فمن أداها فله الكرامة، ومن قصر فيها استحق الغرامة!وأعظم أمانة هي أمانة الإيمان والتَّوحيد لله عزَّ وجل، فقضية التَّوحيد هي المحور الَّذي تتمركز عليه عقيدة الإنسان وتدور حوله التكاليف جميعها، وتحت هذه الأمانة تندرج كلُّ أمانات الإنسان مع محيطه، ومنها: أمانة العلم، فالعلم لديه أمانة وهو مسؤول عنه ومؤاخذ عليه من قِبَل الله تعالى إن لم يعلّمه للناس.

عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من سُئِلَ عن علمٍ فكتمه ألجمه الله بلجامٍ من نار يوم القيامة»([2]) .

---

(1) سورة الإسراء ، الآية ،36

(2) سنن ابن ماجه ،ج1،ص98

وإن الحواسَّ الَّتي جعلها الله وسائل تسهم في تزويد عقولنا بالمعارف أمانة، ونحن مسئولون عنها وعن تنمية عقلنا بالعلم والمعرفة، قال تعالى: {إن السَّمعَ والبصرَ والفؤادَ كلُّ أولئك كان عنه مسؤولا}([1]) وقال أيضاً: {أفلم يسيروا في الأرض فتكونَ لهم قلوبٌ يعْقلون بها أو آذانٌ يسمعونَ بها فإنَّها لا تَعمى الأبصارُ ولكن تعمى القلوبُ الَّتي في الصُّدور}([2]) وجسدُنا أمانة وعلينا أن نطعمه ونغذِّيه حلالاً طيِّباً، وبالقدر الَّذي أمرنا به الله تعالى بقوله: {وكلوا واشربوا ولا تُسرفوا إنَّه لا يحبُّ المسرفين} ([3]) .

2-الأمانة في الودائع:

ومن الأمانة حفظ الودائع وأداؤها لأصحابها عندما يطلبونها كما هي، مثلما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع المشركين، فقد كانوا يتركون ودائعهم عند الرسول صلى الله عليه وسلم ليحفظها لهم؛ فقد عُرفَ الرسول صلى الله عليه وسلم بصدقه وأمانته بين أهل مكة، فكانوا يلقبونه قبل البعثة بالصادق الأمين، وحينما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، ترك الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) ليعطي المشركين الودائع والأمانات التي تركوها عنده .

أن الأمانة المالية، وهي الودائع التي تعطى للإنسان ليحفظها لأهلها، فمن لم يؤد الوديعة فإنه لم يؤد الأمانة ومسؤول عن ذلك. وكذلك حق الاجير أمانة لدى من استعمله، عليه أداؤها، وهذه من أعظم الأمانات، فمن هضم حق خادم أو عامل من أجرته فليسمع هذا الوعيد من العزيز المجيد: قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى، قال رسول الله : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر اجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره'([4])

---

(3)سورة الإسراء آية 36

(4)سورة الحج آية 46

(5)سورة الحج آية 46

(1) سليمان بن احمد الطبراني (ت360هـ)المعجم الصغير،تحقيق محمد شكور ومحمد الحاج ،المكتب الإسلامي ،بيروت ،عمان 1985،1405هـ ،ج2 ،ص119

يقول النبي صلى الله عليه و اله وسلم:" المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده([1]) والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم (" [2])

المؤمن هو الذي ائتمنه الناس على المال فإذا ائتمنوك فأنت مؤمن.. سبحان الله انه مقياس لا يخطئ ..انه مقياس حساس، فهيا قس نفسك عليه وانظر إلى حرص النبي صلى الله عليه و اله وسلم على أداء الودائع عند الهجرة. يقول لعلي ابن أبي طالب:" ابق يا علي ولا تلحق بي حتى ترد الودائع."
وانظر الي عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم فتح المدائن، وكانت مليئة بكنوز كسرى، فجاءوا بالكنوز ووضعوها بالمسجد، فنظر إليها عمر ووجد الخاتم الواحد، والفص الصغير من زبرجد. فقال عمر:" إن قوما أدوا اليّ هذا، لأمناء" فنظر إليه الإمام علي ابن أبي طالب(عليه السلام) وقال:" يا أمير المؤمنين عففت فعفوا، ولو رتعت لرتعوا".

3- الأمانة في الوظيفة: فمن استؤجر لأداء عمل فلا بد من أدائه على ما اشترط عليه، فالمسلمون على شروطهم إذا وافقت الشرع، كما قال النبي صلى الله عليه و اله وسلم: 'والمسلمون على شروطهم، إلا شرطا حرم حلالا أو احل حراما'([3]) وقد أمر الله تعالى بالوفاء بأمانة العقود، فقال تعالى في أول كلمات سورة المائدة: 'يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود'([4]) فمن وكل إليه عمل مقابل أجر أو راتب، فعليه بالوفاء وأداء ما وكل إليه كما ينبغي، وإلا فإنه لم يؤد الأمانة.
إن من صفات المؤمنين التي مدح الله أهلها وأثنى عليهم: حفظ العهود والعقود، ومراعاتها والوفاء بها، وقد جاء ذلك في آيات كثيرة في القرآن الكريم، من ذلك قوله - تعالى- في موضعين من كتابه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ ([5]) وقال - تعالى- آمرًا عباده بالوفاء بالعهود والعقود: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ ([6]) وقال: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ ([7]) وقال: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾([8]).

---

(1) صحيح مسلم ،ج1،ص65
(2) البستي ،صحيح ابن حبان ،ج1،ص406
(3) سنن البيهقي ،ج6،ص79

(2)سورة المائدة ، الآية ،21

(3)سورة المؤمنون ، الآية 8

(4)سورة المائدة ، الآية 1

(7) سورة الإسراء، الآية 34

(6)سورة النحل ، ، الآية 91

وأخبر -تعالى- عن نفسه بأنه لا أحد أوفى منه -سبحانه- بالعهد فقال: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾([1]) سبحانه- من ينقض العهد بوعيد شديد، وهو اللعنة وسوء الدار، فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾([2]).

والوفاء بالعقود والعهود عام يشمل عهود الإيمان والقرآن، والعقود التي يتعاقدها الناس بينهم كعقد الحِلف، وعقد الشركة، وعقد البيع، وعقد النكاح، وعقد اليمين، وعقد الإجازة، وغير ذلك، وقد فسر السلف قوله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾([3]) فقالوا: هي:

1- عهود الإيمان والقرآن.

2- وقيل: العقود: هي العهود، وهي ما أحل الله وما حرم، وما فرض، وما حدّ في القرآن كله.

3- وقيل: العقود: ما أحل الله وحرم، وما أخذ الله من الميثاق على من أقرّ بالإيمان بالنبي والكتاب أن يوفوا بما أخذ الله عليهم من الفرائض من الحلال والحرام.

وكل هذه الأقوال متفقة المعنى، فإذا عقد الإنسان عقدا وجب عليه أن يفي به، وأن يرعاه ويلتزم به، كما أمر الله -تعالى- بذلك، فإذا عقد يمينًا، أو أوجب على نفسه نذرًا وجب عليه أن يلتزم به، وأن يتحلل منه بكفارة. وكذلك سائر العقود من البيع، أو الإجارة، أو النكاح، أو غيرها.

وهذا هو شأن المؤمنين وهذا هو وصف المؤمنين الخلّص الذين وعدهم الله وراثة الفردوس بين أن من وصفهم رعاية العهد، وقد عقد الله -سبحانه- مع عباده المؤمنين عقدًا، وعاوضهم عن أنفسهم وأموالهم إذا بذلوها في سبيله بالجنة، وتكفّل لمن خرج في سبيله لا يخرج إلا لجهاد في سبيل الله، والتصديق برسول الله إنْ توفاه أن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى أهله نائلًا ما نال من أجر أو غنيمة.

---

(1)سورة التوبة ،111

(2)سورة الرعد،25

(3)سورة المائدة ، الآية

وأخبر الله -سبحانه- أنه لا أحد أوفى منه بعهده، فقال: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ ووعد وبشّر من قام بمقتضى هذا العقد، ووفى بهذا العهد بالفوز العظيم، والنعيم المقيم، فقال: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾([1]).

وقد بيّن الله في كتابه أن من صفات علماء المؤمنين الوفاء بالعهد، وصلة الأرحام وغيرها، وأخبر أن لهم عقبى الدار وهي العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة، فقال -تعالى-: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾([2])إلى قوله :- ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾([3])

كما بين من صفات الأشقياء نقض العهد من بعد ميثاقه، وقطع الأرحام، وأن مصيرهم إلى خلاف ما صار إليه المؤمنون فقال -تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾([4]). والنبي -صلى الله عليه وسلم- بين أن من صفة المنافقين الغدر في العهد، ففي الحديث: ﴿آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان ﴾ ([5]) وفي رواية: ﴿وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر ﴾.([6]) وقد أمر الله بالوفاء بالعهد، وهو ما يعاهد الرجل عليه الناس، والعقود التي يتعامل بها، وما يلتزمه الإنسان على نفسه، وبيّن أن العهد والعقد كل منهما يسأل عنه صاحبه، فقال: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾([7]). وقيل: المراد بالعهد في هذه الآية: هو الإتيان بما أمر الله به، والانتهاء عما نهى الله عنه، وعلى هذا القول فما يعاهد الرجل عليه الناس، والعقود التي يتعامل بها معهم مما أمر الله بالوفاء به، قال -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾([8]) .

وقد أمر الله -تعالى- بالوفاء بالعهود والمواثيق، والمحافظة على الأيمان المؤكدة، ونهى عن نقض العهود، واتخاذ أيمانها دخلًا وخداعًا، وهدد وتوعد من نقض الأيمان بعد توكيدها، فقال -تعالى-: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾([9]).

---

(1) سورة التوبة الآية ، 111
(2) سورة الرعد الآية ،19
(3) سورة الرعد الآية ،22

(4) سورة الرعد الآية، 25

(1) سنن الترمذي ،ج5،ص19
(2)سعيد بن منصور ،سنن سعيد بن منصور (ت227هـ)تحقيق سعد بن عبدالله بن عبد العزيز ،دار النشر العصيمي ،الرياض ،1414هـ،ج5،ص260
(7) سورة الإسراء الآية، 34
(8) سورة المائدة الآية، 1
(9) سورة النحل الآية، 91

ويدخل في نقض العهد نقض البيعة؛ ولهذا قيل: إن هذه الآية نزلت في بيعة النبي - صلى الله عليه وسلم-: كان من أسلم بايع النبي -صلى الله عليه وسلم- على الإسلام، فقال -تعالى-: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾([1])

أي: البيعة التي بايعتم على الإسلام، ولا يحملنكم قلة المسلمين وكثرة المشركين على نقض البيعة.

وفي الحديث: ﴿إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال: هذه غدرة فلان، وإن من أعظم الغدر - إلا أن يكون الإشراك بالله - أن يبايع رجل رجلًا على بيعة الله ورسوله، ثم ينكث بيعته، فلا يخلفن أحد منكم يدًا ولا يُسْرِفن أحد منكم في هذا الأمر، فيكون فصل بيني وبينه ﴾([2]).

إن كلًا من العهد والعقد يسأل عنه صاحبه يوم القيامة، وقد أخبر الله أن شرّ ما يدب على وجه الأرض هم الذين كفروا، وبين أن من صفاتهم - وخصوصًا اليهود - نقض العهد - عكس ما كان عليه المؤمنون من حفظ العهد والوفاء به-، فالكفار كلما عاهدوا عهدا نقضوه، وكلما أكدّوه بالأيمان نكثوه، فقال -تعالى-: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾([3])

الأمانة في الولاية:

فكل من ولاه الله تبارك وتعالى امرأ من أمور المسلمين، فهذه أمانة مسؤول عن أدائها: هل أقام شرع الله فيهم؟ هل عدل بينهم؟ هل حفظ مال المسلمين؟ هل أمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر؟ هل وسد الأمر إلى أهله؟ فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الرجل الذي سأله عن الأمانة كيف إضاعتها؟ قال: 'إذا وسد الأمر إلى غير أهله' ([4]) بل إن أمانة رعاية ما استرعانا الله تشمل كثيرا من الناس، كالوزير في وزارته، والقاضي في قضائه، والرجل في أهله، وحتى العبد في مال سيده، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: 'ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته: فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده،

---

(1) سورة النحل ، الآية ،91

(1) ابو الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي (ت750هـ)جامع العلوم والحكم ،دار المعرفة ،بيروت ،1408هـ،ج1،ص432

(3) سورة الأنفال 55

(3)صحيح البخاري ،ج1،ص33

وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول ، وقد اشتمل حديث: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) ([1])على جانب كبير من ذلك، بحيث ألقى المسؤولية على كل مكلف فيما هو تحت رعايته، وبالتالي حمله إثم التقصير في رعاية ما استرعاه الله عليه وفصل فيما بين ذلك بذكر أربعة: بذكر الإمام، والرجل على أهل بيته، والمرأة في بيت زوجها، والرجل في مال أبيه، وهذا كنموذج أو مثال لمن عليه رعاية، فيبين صلى الله عليه وسلم هذه الرعاية التي لها أهميتها. فنحب أن نذكر كلاماً على هؤلاء الأربعة الذين ذكروا في الحديث، ثم إذا كان في الوقت سعة، ذكرنا بعض من يلحق بهم ممن هم مؤتمنون على أمر من الأمور الخاصة أو الأمور العامة، حيث إنه صلى الله عليه وسلم عمم أولاً وآخراً، وذلك دليل على أن كل فرد من المسلمين ذكراً أو أنثى فإنه راع. ...أما معنى الرعاية ،معلوم أن الراعي هو الذي عنده رعية، أي: تحت يده رعية، فيقال له: راع لهذه الرعية. وأصل الرعاية: هي رعاية البهائم وحفظها عما يفتك بها من السباع ونحو ذلك، إذا كانت ترعى من النبات ونحوه، قال الله تعالى: ﴿ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ﴾([2])

أي: لتذهبوا بها لترعى، أي: لتأكل من هذا النبات، ويقول الشاعر: ومن رعى غنماً في أرض مسبعة ونام عنها تولى رعيها الأسد فالراعي هو الذي يراقب الرعية، والأصل في بهيمة الأنعام أنها تحتاج إلى من يرعاها، أي: من يحفظها، فيرسلون إليها راعياً، أي: إنساناً مؤتمناً على هذه الدواب، يرسلونه معها حتى يحفظها، فيسميها في النبات، ويراقبها عن الضياع، ويحفظها عن السباع، ويؤتمن عليها إلى أن يردها إلى أهلها، فيسمى راعياً، ثم أطلق على كل من يؤتمن على رعية من الرعايا. وهم في هذا الحديث من البشر، أي: المسئول عنهم إنسان موكل عليهم، ورئيس يرأسهم، فيسمى راعياً، ويسمى من تحته رعية له، فأخبر صلى الله عليه وسلم من حيث العموم بأن كل إنسان لابد أنه راع ولو على نفسه أو أهله، ولو على ولده أو امرأته أو ما أشبه ذلك، وإذا كان كذلك فإن عليه حفظ هذه الرعية ومراقبتها، والإتيان بكل ما فيه مصلحتها، وكذلك -أيضاً- يشعر بأنه مسؤول عن هذه الرعية، وهذا السؤال إنما يكون حقاً في الدار الآخرة، وقد تكون هناك مسئولية في الدنيا إذا كان فوقه من يناقشه ويسأله، فإن الغالب أن كل رئيس فإنه مرءوس، وفوقه من يسأله عن هذه الرعية التي استرعي عليها، فعليه أن يستحضر هذه المسؤولية. والسؤال إذا كان في الآخرة فإنه يكون من الله تعالى، ولابد أن يكون ذلك السؤال سؤال مناقشة عن هذه الرعية: لماذا أهملتها؟ ولماذا أضعت من اؤتمنت عليه؟ ولماذا لم تنصح لها؟ ولماذا لم تولها حق الحفظ وحق المراقبة؟ فهذه المناقشة لابد أن يعد لها جواباً، فكل سؤال يحتاج إلى جواب، والأسئلة كثيرة، والناقد بصير.

---

(1) البستي ،صحيح بن حبان ،ج1 ،ص342

(2)سورة طه ، الآية 54

معنى الإمامة

فنقول أولاً: بدأ صلى الله عليه وسلم بالإمام، وكلمة (الإمام) يراد بها كل من هو قدوة مؤتم به، أي: أنه قائد لغيره، وأن الناس يقتدون به ويأتمون بأفعاله، ولذلك يسمى كل القادة أئمة، سواء كان الاقتداء بهم في الخير أو في الشر، قال الله تعالى في أهل فرعون: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾([1]) فسماهم أئمة مع أنهم يقتدى بهم في النار، وقال تعالى في ذرية إبراهيم: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾([2])

؛ فأخبر بأنهم أئمة يقتدى بهم في الخير، وقال في بني إسرائيل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾([3]). وحكى الله تعالى عن المؤمنين أنهم دعوا وقالوا في دعائهم: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾([4]) أي: قدوة في الخير يؤتم بنا فيما هو خير وما هو من أسباب التقوى، للمتقين خاصة، وقوله: (إماماً)، أي: أئمة. وكذلك قال الله تعالى لإبراهيم: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾([5]) فأخبر بأنه جعله للناس إماماً، أي: قدوة يقتدى به في الخير، ولذلك سأل ربه فقال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾([6]) ، فهكذا أخبر بأنه جعله للناس إماماً، والإمام هو القدوة، وهو معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾([7]) يعني: قدوة في الخير يقتدى به

رعاية الإمام لرعيته ومسؤوليته عنهم

فالإمام في قوله صلى الله عليه و اله وسلم: (الإمام راع، وهو مسئول عن رعيته)، يعم كل من كان إماماً، أي: قدوة يقتدى به، فإذا كان كذلك فإن عليه أن يهتم بمن هو راع عليهم، ومن هو مسؤول عنهم من الرعية، فهكذا يكون الراعي. الإمام العام الذي يتولى رعية المسلمين هو خليفة المسلمين وإمام عام لهم، ولا شك أن رعايته آكد، وأن مسؤوليته آكد، وأن عليه أن يحرص على الرعية الذين هم تحت ولايته وتحت مسؤوليته، فيسير فيهم السيرة الحسنة التي هي سيرة النبي صلى الله عليه و اله وسلم، والتي هي سيرة الخلفاء الراشدين الذين أمر النبي صلى الله

---

(1)سورة القصص ، الآية ،41

(2)سورة الأنبياء، الآية 73

(3)سورةالسجدة ،الآية :24
(4)الفرقان الآية ،:74
(5)البقرة، الآية 124
(6)البقرة الآية 124
(7) النحل الآية ، 120

عليه و اله وسلم بالاقتداء بهم والسير على نهجهم في قوله: (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالقوة).

هكذا أرشد إلى سنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، واتفق الأئمة على أنهم الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وقد أكثر العلماء من ذكر سِيرهم، ومن ذكر أعمالهم الصالحة التي يقتدى بها في الأعمال الخيرية، مما يدل على أنهم أسوة وقدوة لمن جاء بعدهم من الأئمة، ليقتدي بهم، ويسترشد بإرشاداتهم ويسير على نهجهم كما أمر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، وأمره هذا أمر للخاصة والعامة، وليس الأمر خاصاً بالولاة ولا بالأئمة الكبار ولا بالخلفاء ولا بالملوك، بل هو عام لكل من سمع هذا الحديث من الأمة فإنه مأمور بأن يقتدي بهم. ولا شك أن أولى من يقتدي بهم خلفاء الأمة المسلمون، ولاة أمور المسلمين، الذين ولاهم الله تعالى دولاً تفتخر بأنها مسلمة، وتدين بالإسلام، وتأتي بالشهادتين، وتقتدي ظاهراً بتعاليم الإسلام، فإن عليهم أن يكون قدوتهم محمداً صلى الله عليه وسلم وخلفاءه الراشدين الذين هداهم الله تعالى وسدد خطاهم، وساروا في رعاياهم سيرة حسنة، يضرب بعدلهم المثل، فهكذا يكون الأئمة، وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال: (إن من خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وإن من شرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم)، نعوذ بالله أن ندرك هذه الحال! فهكذا أرشد صلى الله عليه وسلم إلى أن الإمام راع، وأنه مسئول عن رعيته.

أقسام الناس في قيامهم بمسؤولياتهم تجاه أولادهم

كذلك (الرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عن رعيته)، أهل بيته: ذريته ممن هو مولى عليهم، فأولاده من رعيته، ونساؤه وزوجاته من رعيته، وإخوته الذين تحت ولايته من رعيته، وكذلك من في ولايته من خدم أو نحوهم، كلهم داخلون تحت رعيته، وهو مسؤول عنهم كلهم، وهؤلاء هم أسرة كل مؤمن غالباً، ومسؤوليته أنه يسأل: هل أهملهم أو أدبهم؟ الإهمال: هو الاشتغال بشهواته وبلهوه وسهوه، والإعراض عمن تحت يده، وعدم الاهتمام بإصلاحهم، وعدم تربيتهم التربية الصالحة، فإنه في هذه الحال إذا سأل لم يجد جواباً، وذلك لأن كثيراً من الناس لم يهتموا بهذه المسئولية، فنحب أن نفصل في هذه المسؤولية؛ لعظم خطرها، فنقول: إن الناس تجاه المسؤولية انقسموا إلى ثلاثة أقسام:-

القسم الأول : القائمون على أولادهم حق القيام :

اهتموا بمن ولاهم الله تعالى من أولاد ونساء ونحوهم، وأولوهم عناية تامة، وقاموا بما يجب عليهم، فعلموهم العلم النافع، ولم يتكلوا على المعلمين الذين يعلمونهم في مدارسهم ابتدائية أو ما بعدها، عرفوا أن أولئك يعلمونهم القول، وأنهم بحاجة إلى التعليم بالفعل، فعلموهم بالفعل، وذلك لأن التعليم بالفعل قد يكون أبلغ من التعليم بالقول، فمثال ذلك: إذا حفظ الولد ذكراً أو أنثى شروط الوضوء وفروضه، فإن الوالد يقول له: أنت الآن تحفظ شروط الوضوء، وكذلك أنت تحفظ أركان الوضوء الستة، بينها وطبقها وأنا أنظر إليك، فيكون ذلك من التعليم بالفعل. كذلك إذا لقن في المدارس أركان الإسلام فلابد أن والديه يربيانه على هذه الأركان، ويعلمانه كيفيتها، فإذا اعتنى الوالد بولده، وطبق معه أركان الإسلام، فإن ذلك من الرعاية الصادقة، وكذلك إذا تعلم في المدارس أركان الصلاة وشروطها وواجباتها ومبطلاتها وما أشبه ذلك، فإن مسؤولية الوالد كبيرة في أن يطبقها معه، فيقول: يا ولدي! ما كيفية الصلاة؟ وما أركانها؟ وأين هذا الركن، وأين محله؟ وأين هذا المبطل وأين مكانه؟ وكيف تبطل الصلاة بترك هذا الواجب؟ وأين المستحبات في هذه العبادة؟ وعليه -أيضاً- أن يأخذ بيده إلى المسجد، ويقول: هذه هي الصلاة التي تعلمت أركانها، وعرفت أنها عمود الإسلام، وأنه لابد من أدائها في هذه المساجد بالنسبة إلى الذكور، فطبقها يا ولدي، ويمتثل الولد أمر والده بهذه العبادة، وبذلك يكون حقاً قد أدى هذه الأمانة. كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوقظ أهله في آخر الليل للصلاة النافلة، ويقرأ قول الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾([1]) هكذا يتعاهد أهله بصلاة التطوع، فكيف بمن لا يأمرهم بصلاة الفريضة؟! كذلك -أيضاً- مدح الله تعالى نبياً من أنبيائه وهو إسماعيل، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾([2]) فمدحه الله بأنه يأمر أهله بهذه العبادات، ومعلوم أن الأمر من الولي يقتضي الإلزام، أي: يلزمهم بهذه العبادات التي أمرهم الله بها وفرضها عليهم، والأمر بالشيء إلزام به، فإن قول النبي صلى الله عليه وسلم: (مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع)([3])

ليس المراد أن يقول: يا بني! صل. بل يأمره ويأخذ بيده، ويلزمه ويهدده، فهو ما بين السابعة إلى العاشرة يأمره أمر تعليم وأمر تفهيم وتأديب، وذلك ليألف هذه الصلاة ويحبها، وينشأ عليها صغيراً، وتكون بعد تكليفه محبوبة لديه لذيذة عنده، وبذلك يكون قد نشأ على طاعة الله تعالى، فإنه إذا نُشئ على ذلك نشأ عليه. وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله،

---

(1) سورة طه: الآية ،132

(1)سورة مريم الآية ،:55

(3) الأزدي،سنن أبي داود ،ج1،ص133

ومنهم: (وشاب نشأ في عبادة الله)، أي: نشأ في طاعة الله حيث تولى تربيته والد صالح مصلح، يحب أن ينشأ أولاده على الخير، وأن ينشئوا على محبة الله وعلى محبة عبادته، فالوالد الذي يربي أولاده على الصلاة والزكاة، وعلى العبادات المحمودة التي يحبها الله تعالى، ينشأ ولده صالحاً، ويكون قرة عين لوالديه. وكذلك من مسئولية الوالد تجاه أولاده: أن يحبب إليهم ذكر الله تعالى، فيربيهم على الذكر تسبيحاً وتحميداً وتكبيراً وتهليلاً واستغفاراً وحوقلة ودعاء، وكذلك يلقنهم في حال الطفولة ما هم محتاجون إليه، فيربيهم على معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، وقد كان كثير من الآباء حين يبلغ ولده الثامنة من عمره وهو يلقنه الثلاثة الأصول وأدلتها؛ حتى ينشأ عليها؛ وحتى يكون على معتقد صالح سليم. وهكذا من صفة هذا الأب الناصح: أنه يحبب إلى أولاده كلام الله تعالى ، وينشئهم على محبته، فإذا كان هناك مدارس للتحفيظ حرص على أن يسجلوا فيها وأن ينافسوا فيها، وأخذ يشجعهم ويحثهم على مواصلة حفظ القرآن؛ فيشجعهم بأن يعدهم بالخير، ويعدهم بالصلات، ويعدهم -أيضاً- بنتائج طيبة، ويشجعهم بما يعطيهم من جوائز تحفز هممهم، وتدفعهم إلى المنافسة وإلى المسابقة، فإذا أحبوا كلام الله تعالى ونشأوا عليه كان ذلك من أسباب صلاحهم. كذلك -أيضاً- يربيهم على الكلام الحسن، وعلى الآداب الحسنة، وقد ألفينا الآباء الصالحين يعلمون أولادهم محاسن الإسلام، فيعلمونهم البداءة بالسلام ورد السلام، وحمد الله تعالى بعد العطاس، ومحبة إخوانهم المسلمين، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، ويعلمونهم النصيحة للمسلمين عموماً وخصوصاً، وكيفية هذه النصيحة، ويعلمونهم صدق الحديث، ويؤدبونهم عليه، وينهونهم عما يخالف ذلك، ويعلمونهم الأمانة، وأن يكونوا من أهل الثقة والأمانة وما أشبه ذلك، وكل هذا بلا شك مما يكون الولد به صالحاً بتوفيق الله تعالى. وهكذا يحرص كل من الأبوين على أن يمنع عن الأولاد كل ما يفسدهم أو يفسد أخلاقهم، فيمنعونهم من سماع آلات الملاهي، ومن النظر إليها؛ لأنها غالباً تصرف الهمم إلى الشر، وتثير لذة الفساد والحرام في تلك النفوس الضعيفة، فتميل إلى الفساد، فإذا ربى الوالد أولاده من حين صغرهم على كراهة اللهو واللعب، وعلى كراهة الكذب والخيانة والعقوق وقطيعة الرحم والغش والتلبيس والتدليس والبغضاء والعداوة وما أشبه ذلك؛ فإن الله تعالى يحفظهم بعد ذلك، ويجعلهم محل ثقة وأمانة، ويكونون أهل صدق وإخلاص. فهذه سيرة الصنف الأول الذين اعتنوا بأبنائهم، وحرصوا على إصلاحهم.

القسم الثاني : الذين يجلبون الشر والفساد لأبنائهم :

الذين جلبوا لأولادهم الفساد، بدلاً من أن يجلبوا لهم أسباب الصلاح، تنزلاً على رغبة السفهاء، والله تعالى قد نهى أن يؤتى السفهاء الأموال، فقال تعالى: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾([1]) أي: لا تسلطوهم عليها فيفسدونها، فأهل هذا القسم جلبوا لهم ما يفسدهم، وتمثل الفواحش والمنكرات أمام الشباب والشابات، فكيف تكون حالتهم؟ كذلك الذين شغلوا أولادهم باللهو واللعب والغناء والطرب وما إلى ذلك، والحالة هذه يكونون قد تسببوا فيما يفسد أولادهم بدلاً مما يصلحهم. كذلك -أيضاً- بالنسبة إلى نسائهم الذين هم مسؤولون عنها، إذا كانوا يأذنون للنساء في أن يخرجن إلى الأسواق التي تزدحم بالرجال ولا يتفقدونها، فتخرج متعطرة متطيبة، وتبدي شيئاً من زينتها، فتبدي كفيها، وقد تبدي ساعديها وعليها الحلي من الأسورة التي تتلألأ في ذارعها، وكذلك خواتمها، وكذلك قد تبدي شيئاً من زينتها، وبعضاً من مفاتن ثيابها التي تفتن بها، وتتشبه بمن هن فاسدات .

ومن أخبر عنهن النبي صلى الله عليه وسلم ووصفهن بأنهن: (نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، رؤوسهن، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها)، فهؤلاء -بلا شك- مسؤولون مسؤولية كبرى، وذلك لأنهم عرضوا بناتهم ونساءهم وأخواتهم ومولياتهم إلى أن يكن وكر فساد، وربما يتعاطين الفواحش وهم لا يشعرون! وهكذا - أيضاً- يكن سبباً في الفتنة، حيث يفتتن بهن خلق كثير، ولاشك أن هذا كله من الإهمال ومن آثاره، حيث يرضى الوالد وولي الأمر ومن ولاه الله تعالى على أولاده من ذكور وإناث ومن نساء بأن يكن على هذه الهيئة، فهذا عين الإهمال. وهذه حالات الناس في هذه الأزمنة فيما يتعلق بولاية الرجل على أهل بيته، فلو شعر بأنه مسؤول في الآخرة عن أهل بيته -أولاده ونسائه- لاهتم لهذه المسؤولية وأعطاها حقها .

القسم الثالث : مسؤولية المرأة في رعاية بيت زوجها :

إن الذين ذكروا في الحديث؛ فهو قوله: (والمرأة راعية في بيت زوجها، وهي مسؤولة عن رعيتها): المرأة -بلا شك- مسؤولة، وقد أخبر بأن مسؤوليتها في بيت زوجها، فإما أن تكون مصلحة وإما أن تكون مفسدة، وإما أن تكون مهملة، أي: كما يحصل للرجال، فالرجال منهم مصلح ومنهم مفسد ومنهم مهمل، فكذلك النساء. فالمصلحة هي التي تولي أولادها رعاية ومراقبة ونصيحة وتربية صالحة، وتوليهم عناية كبيرة، وإذا غفل عنهم الأب لم تغفل عنهم، بل تتابعهم وتتفقد أحوالهم، وتسألهم وتعلمهم، فإذا

---

(1) سورة النساء ،الآية ،5

أيقظهم الأب للصلاة وخرج، تابعتهم أمهم إلى أن ينتبهوا للصلاة ويخرجوا إذا كانوا ذكوراً، وتتابع الإناث حتى تحبب إليهن العبادات كلها. وهكذا تربيهم كما يربي الرجل أولاده، فتربيهم على الكلام الحسن، وتعاتبهم على الكلام السيئ، فمتى سمعت منهم سباً أو هجاءً أو قذفاً أو عيباً أو لعناً أو شتماً أو كلاماً قبيحاً؛ عاتبتهم على ذلك، وأدبتهم على محبة الكلام الطيب الذي هو ذكر الله وما والاه، والذي هو محبة الخير والتكلم به، فهذه هي المرأة الصالحة، الراعية في بيت زوجها، أي: على أهله. كذلك تحفظ بيت زوجها، فلا تخرج منه إلا بإذن زوجها، أو لحاجة ضرورية، وإذا خرجت أو أذنت لأحد مولياتها من النساء، خرجن وهن محتشمات متسترات غير متبرجات بزينة، فهذا من أسباب صلاحها. كذلك تحفظ زوجها في نفسها، وتحفظ زوجها في بيته، وتحفظه في ماله، فلا تفسد ماله ولا تنفقه في شيء لا أهمية له، أو في شيء يعتبر فساداً، بل تكون هي المراقبة له، وهي تشعر بأنها مسؤولة أمام الله تعالى، حتى لو غفل عنها زوجها، ولم يلاحقها ويسألها، فإن الله تعالى هو الذي يسأل المفرط والمهمل. أما المرأة التي تكون مفسدة فهي التي تكلف زوجها أو تطالبه مرة بعد مرة، أن يأتي بآلات اللهو ، فهذه مفسدة أو ساعية في الفساد. وأما المهملة: فهي التي لا يهمها أمر من ولاها الله تعالى من المسلمين الذين تحت ولايتها، بل وقتها إما أن تزور أهلها أو جيرانها، أو تبقى في بيتها لا يهمها صلاح أو فساد، فهذا دليل على أن المرأة -أيضاً- عليها مسؤولية كما على الرجل. ..... مفسدة أو ساعية في الفساد. وأما المهملة: فهي التي لا يهمها أمر من ولاها الله تعالى من المسلمين الذين تحت ولايتها، بل وقتها إما أن تزور أهلها أو جيرانها، أو تبقى في بيتها لا يهمها صلاح أو فساد، فهذا دليل على أن المرأة -أيضاً- عليها مسئولية كما على الرجل. .

وأما القسم الرابع: فهو قوله: (الرجل راع في مال أبيه، وهو مسئول عن رعيته). معلوم أن الولد يساعد أباه في ماله، وفي حرفته وفي صنعته، وفي حرثه أو ماشيته أو ما أشبه ذلك، وعليه أن يساعد أباه فيما هو خير، فتارة يكون الأب صالحاً والابن صالحاً فيجتمعان في الصلاح، فيحفظ المال ويصرفه في مصارفه، ويخرج منه حق الله تعالى من زكاة وكفارات وما أشبهها، فيقوم إلى جانب أبيه بحفظ ماله، وتجنيبه المكاسب المشتبهة من غش أو خديعة أو غرر أو كذب في البيع والشراء، أو حلف مع فجور، أو مدح مع كذب، أو ما أشبه ذلك، فيجتمع الولد وأبوه على النصح والإخلاص الذي هو رعاية هذا المال وحفظه. كذلك -أيضاً- في صرفه، فلا يصرف منه إلا ما هو مستحق يتصدق منه الولد ووالده على المستضعفين والمستحقين، واليتامى والمساكين والفقراء والمعوزين، وكذلك يصرف منه في المصالح العامة التي يحبها الله تعالى كالدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي المشاريع الخيرية كالمساجد والمدارس والكتب والنشرات، والأشرطة الإسلامية وما أشبهها، فيكون بذلك صالحاً ومصلحاً. فهذا ممن وفقه الله تعالى -أولاً- في حفظ مال أبيه، وثانياً: في صرفه في مصارفه. أما إذا كان الولد غير مصلح، فالغالب أنه إما أن يهمل ما استرعاه الله من مال أبيه، ولا يهتم به، ولا يحرص عليه مع أنه أمانة،

فإما أن يفسده، وذلك أنه يؤمر بأن يصلح فيفسد، وكم حصل من الأبناء من إفساد الأموال آبائهم وإتلافها فيما لا فائدة فيه، فكثير منهم يطاوع ابنه في أن يتاجر إلى بلاد بعيدة، ويزوده بأموال طائلة يفسد تلك الأموال، فيصرفها في حضور مهرجانات ومسارح وأماكن دعارة وأماكن فساد، ولا يشعر بأنه يسبب له الفساد والشر المستطير. هذه هي الأمور الأربعة التي ذكرت في هذا الحديث، ولا شك أن الأمور أكثر، فإنه صلى الله عليه وسلم ما ذكر هذه الأربعة إلا كمثال، فنقول: إن كل وال فإنه راع و مسؤول عن رعيته، فالقاضي الذي يتولى الحكم بين المسلمين راع، وعليه أن يعدل في هذه الرعية، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ ([1]) ، وقال الله تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ ([2]) يعني: أن الله تعالى جعله حاكماً يحكم بين الناس، ونهاه بقوله: ﴿وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ ([3]) ، فلاشك أن من أسباب العدل: أن يشعر القاضي بأنه مسئول عما استرعاه الله تعالى. وكذلك المعلمون الذين يتولون تعليم الأطفال ونحوهم، هم مسئولون عن رعيتهم، فلا يكون هم أحدهم أن يمضي عدة ساعات في التطبيق أو في التدريس، ولا يشعر بما وراء ذلك، بل عليه أن ينصح لمن استرعاه الله تعالى، وهكذا يقال في المدراء ورؤساء المكاتب، ويقال أيضاً في المسئولين والأئمة والمعلمين، وكل من كان له ولاية على أمر فإن مسئول عن ولايته، فعليه أن يحرص على أدائها كما أمره الله تعالى؛ حتى لا يكون مسئولاً سؤالاً لا يجد له جواباً، أو لا يكون جوابه صواباً. نسأل الله أن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن يرزقنا علماً نافعاً وعملاً صالحاً، ونسأله سبحانه أن يعيننا على أداء ما ائتمننا عليه، وأن ينفع المسلمين بما يعلمون، ويرزقهم العمل به، وأن يعيذنا من علم لا ينفع عملاً ولا يرفع، إن الله على كل شيء قدير. كما نسأله أن يصلح أئمتنا وولاة أمورنا، وكل من له ولاية على أمر من الأمور، وأن يرزقهم البطانة الصالحة التي تحثهم على الخير وتحذرهم من الشر، وأن يرزقهم الإخلاص في أعمالهم، والاهتمام بما ولاهم الله تعالى وبما استرعاهم عليه، إنه على كل شيء قدير

الأمانة في حفظ النعم

فالمال أمانة، لا يصرف إلا في مصارفه الشرعية التي فيها مصلحة الدين والدنيا، وقد نهينا عن الإسراف والتبذير، كما قال تعالى: 'وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين'([4]) ، وقال في وصف عبادة المؤمنين: 'والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما'([5]) ، والصحة أمانة، فلا يجوز توجيهها في المحرمات ولا

---

(1) سورة النساء ، الآية 58
(2) سورة النساء ، الآية 26
(3) سورة النساء ، الآية،26
(4) سورة الأعراف ، الآية ،31
(5) سورة الفرقان ،الآية ،76

المخاطرة بها وتعريض الجسم للتلف بتعاطي أسباب ذلك من شرب للدخان، أو تعاطي المخدرات، أو قيادة السيارة بسرعة، أو غير ذلك من أسباب هدر أمانة الصحة، بل الواجب حفظ هذا الجسد الذي هو مطية الروح فهو أمانة، ومن النعمة كذلك ما يسره الله تبارك وتعالى لنا من المرافق العامة، فالواجب المحافظة عليها وعدم إتلافها، فهذه الطرق والمباني العامة وأجهزة الخدمات العامة قد كلفت من أموال الدولة الكثير ، فهل حافظنا على هذه الأمانة، وعلمنا أولادنا ذلك، لتبقى لنا ولغيرنا؟ فإنها أمانة !ومن النعم كذلك هذه البيئة التي نعيش فيها. فليس لنا غير هذا الهواء الذي نستنشقه جميعا،وهذا البحر الذي نرتاده جميعا، وهذا البر الذي نستمتع به جميعا، فهو ليس ملكا لأحد من دون احد، وإذا أردت إن تعرف كيف ضيعت هذه الأمانة 'أمانة البيئة' فاذهب إلى ساحل البحر لترى ما ترميه الأمواج على الشاطئ من المخلفات، وكأن البحر سلة مهملات، أو اذهب إلى مقار كثير من المخيمات بعد أن يرحل الناس عنها لترى مخلفاتهم، ولو أنهم جاؤوا إلى مكانهم مرة أخرى لما ارتضوا أن يخيموا فيه، فأين نحن من التوجيهات النبوية بالنظافة، وحفظ الممتلكات العامة، وان نحب لغيرنا ما نحب لأنفسنا، وان نحافظ على بيئتنا التي نعيش فيها ولا نسعى في الأرض فسادابعداصلاحها؟

ومن أعظم نعم الله علينا، تلك الأمانة المعلقة بكل احد، وهي نعمة الأمن، الأمن الذي نعيش فيه، وحرمه الكثيرون غيرنا، ألم يمكن الله لنا بلدا آمنا ويتخطف الناس من حولنا؟

فهل عرفنا لهذه الأمانة والنعمة قدرها فحافظنا عليها؟ هل حافظنا عليها بالشكر لله أولا قولا باللسان وعملا بالجوارح والأركان، وبطاعة الله ونبذ الشرك والعصيان، وطاعة ولي الأمر فيما يرضي الله؟ فالأمن أمانة عظيمة، ونعمة جسيمة لا يعرف قدرها إلا عند فقدها، نسأل الله العافية.

وبالجملة، فكل ما انعم الله به علينا من النعم نحن مسؤولون عنها يوم القيامة، هل حافظنا عليها، هل قمنا بواجب شكرها قولا وعملا: 'ثم لتسألن يومئذ عن النعيم'([1]) لقد أمننا الله تبارك وتعالى من إن يظلمنا فقال: 'وما إنا بظلام للعبيد'([2]) وحملنا هذه الأمانة، فهلا اتقينا الله فيها؟ فإن في طاعة الله وأداء حقوقه وحقوق عباده كل خير في الدنيا والآخرة.

الأمانة في حفظ الجوارح:

وعلى المسلم أن يعلم أن الجوارح والأعضاء كلها أمانات، يجب عليه أن يحافظ عليها، ولا يستعملها فيما يغضب الله -سبحانه-؛ فالعين أمانة يجب عليه أن يغضها عن الحرام، والأذن أمانة يجب عليه أن يجنِّبَها سماع الحرام، واليد أمانة، والرجل أمانة...وهكذا.

---

(1) سورة التكاثر ، الآية ،8
(2) سورة ق، الآية ،29

1-الجوارح كيف نحفظها ونشكر نعمتها

فإن كثيرًا من الدواء والعلل قد تعتري قلوبنا ونحن لا نعلم بها، بل ربما تصيبنا بعض الآفات الخطيرة ونحن مشغولون بمعالجة دواء الناس، ونعوذ بالله من ذلك ونستجير به عز وجل أن نكون ممن قال الله -تبارك وتعالى- فيهم :(أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ)([1]) ومن هنا كان التذكير واجبًا، فكل منا عرضة لمثل هذه الذنوب والعيوب، ولا سيما في زمن كثرت فيه الفتن والمثيرات، وكثر فيه الإفساد، وقلّ الناصحون فالواجب علينا جميعا أن نوصي أنفسنا، ويوصي بعضنا بعضًا بحفظ هذه الجوارح التي ائتمننا الله تبارك وتعالى عليها، فإن الله عز وجل لما قال (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنسان إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً) ([2]) فإنه يدخل في ذلك حفظ هذا البدن الذي أعطاك الله تبارك وتعالى إياه وامتن به عليك، كما قال الله عز وجل :(وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)([3])] وهذا فيه حض وحث وتنبيه أن نشكر نعمة الله تبارك وتعالى على ما أعطانا من هذه الأعضاء ومن هذه الجوارح، والتي ميزنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بها عن سائر خلقه، وفضلنا بها عن باقي ما خلق من الدواب .

فجعل لنا سمعًا وأبصارًا وأفئدة وعقولاً نهتدي بها، ونعرف الحق من الباطل، والهدى من الظلال، والتوحيد من الشرك، والسنة من البدعة، والطاعة من المعصية، والحسنة من السيئة، ونعمل بمقتضى ذلك بجوارحنا الظاهرة، لأن هذه من نعم الله العظيمة، والواجب فيها أن نشكر الله تبارك وتعالى عليها، وأن نراعي حق الأمانة الذي ائتمنا عليها، فالمال أمانة، واليد أمانة، والعين أمانة، والقلب أمانة، وكل ذلك مما يجب علينا جميعًا أن نحفظه، وأن نعتني ونهتم به، ونتوقع السؤال عنه بين يدي الله تبارك وتعالى، كما قال عز وجل :(وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ

---

(1)سورة البقرة ،الآية ،44
(2)سورة الأحزاب ،الآية 72
(3)سورة النحل ،الآية 78

أولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً)([1])

فلا يغرن العبد منا شيطان من شياطين الإنس أو الجن، فيحسب أنه غير مسؤول، وأنه يفكر كما يشاء، ويعتقد ما يشاء، وينظر إلى ما يشاء، ويتناول بيده ما يشاء، ويعمل بفرجه ما يشاء، ويمشي برجليه إلى حيث شاء، من قال لك ذلك؟ ومن قال لك هذا؟ ! إنك عبد، ولا يخرج واحد منا عن عبودية الله -تبارك وتعالى- بحال من الأحوال، والعبد مأمور أن يستخدم ما أعطاه سيده فيما أمره به لا فيما نهاه عنه، والله تبارك وتعالى يقول :(وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)([2]) واليقين هو الموت، كما قال الله تبارك وتعالى :(حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ) ([3])(وكما جاء في حديث عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه عندما قال- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ و اله وَسَلَّمَ) :-أما عثمان فقد أتاه اليقين من ربه (فلا بد أن نعبد الله حتى الموت).
فلا ينتهي عقد الأمانة الذي ائتمنك الله تبارك وتعالى عليه إلا بموتك، فحينئذ ينتهي هذا العقد، أما ما دمت حيًا فأنت مسؤولٌ عن هذه الأعضاء، والجوارح جميعًا، ألا تستخدمها إلا فيما أمرك به سيدك وخالقك، وربك الذي أعطاكها، ومنّ بها عليك وقد حرمها كثيرًا من الخلق. فكثير من الخلق لم يرزقه الله تبارك وتعالى قلبًا يعقل به فتراه مجنونًا، فاحمد ربك الذي أعطاك العقل والفؤاد لتعي وتتذكر كلما رأيت من لا عقل له، واعلم أن الواجب عليك أن تستخدم قلبك وفكرك وعقلك في طاعة الله تبارك وتعالى.

2-القلب بين صلاحه وفساده

ويجب علينا جميعًا أن نعلم أن أهم هذه الأعضاء التي يجب أن نبدأ بها ونصلحها هو القلب، كما قال- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسلم) :- (ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب) هذا الارتباط العجيب بين القلب وبين الأعضاء قال فيه أبو هريرة رضي الله عنه، وجاء -أيضًا- عن غيره من السلف أنه قال) :القلب ملك والأعضاء جنوده.

قال شَيْخُ الإِسْلامِ ابن تيمية رحمه الله: «إن قول رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما في الحديث المتقدم أبلغ وأبين من قول أبي هريرة -رضي الله عنه- ومن قال هذه العبارة، لأن الارتباط بين الأعضاء والقلب ارتباط عضوي لا يمكن أن يختلف ولا يمكن

---

(1)سورة الإسراء،الآية 36
(2)سورة الحجر ،الآية 99
(3)سورة المدثر ،الآية ،47

أن ينفصل، أما الارتباط في الصلاح والفساد بين الملك وجنوده، فهذا قد يقع فيه الاختلاف، فربما صلح الملك وفسد الجنود، وربما فسد الملك وصلح الجنود، وربما فسد الملك وصلح بعض الجنود وفسد بعضهم.«

فهذا البيان من رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسلم -أبلغ البيان في أن القلب إن **صلح صلح الجسد كله، وإن فسد فسد الجسد كله، وأن مادته مادتان: مادة صلاح ومادة فساد فهو للأغلب منهما، ولهذا تجد أن كثيرًا من الناس يعمل بالطاعات ويخلطها بالمعاصي، لأن القلب تمده مادتان، مادة خير وصلاح وحياة وذكر واعتبار ووعظ، ومادة أخرى وهي مادة فساد وشهوة وشبه وما إلى ذلك، نسأل الله أن يحفظنا وإياكم.**

أساس سلامة القلب

وقد جاء في دعاء إمام الموحدين خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام (وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ([1]) يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)([2]) فسلامة القلب هي دليل ومعيار النجاة من عذاب الله تبارك وتعالى، ومن الخزي يوم القيامة وشدته، وعبوسه، وكرباته، كل هذا يكون بسلامة القلب، وسلامة القلب تكون بأمرين لا يجوز أن نغفل عنهما، بل يجب أن نعلمهما:

الأول: سلامته من الشبهة، وأعظم ما ينبغي في ذلك أن يسلم القلب من الشرك بالله تبارك وتعالى، وألا يكون في قلب العبد المؤمن شيئًا من الشرك لغير الله -عز وجل- سواء كان ذلك بالتقرب، أو بالتأله في الدعاء، أو التوكل، أو الخشوع، أو الخوف، أو الرجاء، وفي أصول هذه الأعمال التي هي أساس أعمال القلب، فليحذر العبد أن يكون مشركًا مع الله -تبارك وتعالى- بشيء من هذه الأعمال والتعبدات.

ويجب أن تكون هذه الأعمال خالصة لله تبارك وتعالى، فيسلم القلب من الشرك، ويسلم من الشبهة التي تدفعه إلى الابتداع ومخالفة سنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الذي أمر الله -عز وجل- بطاعته وإتباعه (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ) ([3])(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا] ([4]) [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)([5])

فلا بد أن يتواطأ هذا القلب ويتفق اتفاقًا كاملًا مع ما جاء به رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، **فلا تنقدح فيه شبهة من شبه أهل البدع والضلال، إما بميل إلى رأي أهل الغلو**

---

(1)سورة الشعراء الآية 87
(2)سورة الشعراء الآية 89
(3)سورة النساء،الآية 64
(4)سورة الحشر ، الآية ،7
(5)سورة الحجرات ،الآية ،1

كـالخوارج ومن ماثلهم، أو ميل إلى رأي أهل التفريط كمثل رأي أهل الإرجاء وأشباههم، أو أن يعبد الله -تبارك وتعالى- بما لم يشرعه، كما يفعله أهل التصوف وأشباههم، كل ذلك لا يصح وإنما الواجب السلامة منها، فالقلب السليم هو الذي سلم من الشبهات ومن المعارضات، والمنازعات والمدافعات، فكل ما شرعه الله وشرعه رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فهو الحق الواجب اتباعه والإذعان له (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمً)([1])
فصاحبه مذعن منقاد مستسلم بقلبه، لا يبحث إلا عن صحة الحديث، فإذا صح الحديث عن رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وثبت وكان معناه معلومًا لديه، فهو يعتقده إن كان من الخبريات والاعتقاديات، ويعمل به ويمتثله إن كان من العمليات، فهذا هو الجانب الأول: السلامة: أي سلامة القلب من الشبهات .

<u>الثاني: سلامة القلب من الشهوات:</u> وهي كثيرة -نسأل الله العفو والعافية- وهي التي تدفع الإنسان إلى أن يخرج عن الجادة وعن الطريق المستقيم، ينحرف عن طريق الجنة إلى طريق النار، كما قال- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) :- (حفت الجنة بالمكارة وحفت النار بالشهوات) والإنسان إذا أراد طريق الجنة فإنه لا يمكن أن تتحق شهواته ورغباته كلها، أما النار فإنها حجبت وحفت بالشهوات، فمن سلك طريقها وصل إلى شهواته ورغباته نسأل الله العفو والعافية .

فانظر يا أخي المسلم في أي الطريقين أنت؟! إن كنت تلاقي العنت من حفظ نفسك وتصبيرها عن الوقوع في الشهوات والشبهات فأنت على طريق الجنة، فأنت وإن كنت تريد المال وهو معروض عليك، ولكن لأنه حرام لا تقبله، ومعروض عليك شهوة النساء، ولكن لأنك تخشى الله وتتقيه وتستعصم به، فأنت لا تريد إلا أن يكون حلالًا، ومعروضة لديك شهوات كثيرة ومغريات تشتاق إليها النفوس ويتسارع إليها الناس، ولكنك تعرض عنها ابتغاء وجه الله، ومرضاته، فأبشر بالخير، واعلم أنك على طريق الجنة إن شاء الله .

أما من أتبع نفسه هواها، وأصبح لا يشتهي أمرًا إلا وأخذه من حلالٍ أو حرام، ولا تشتاق نفسه إلى شهوة إلا وسعى في تحصيلها ولا يبالي بأمر الله -تبارك وتعالى - فيها، فهذا ساع على طريق أهل النار، ونسأل الله أن يحفظنا وإياكم من ذلك،
والشهوات كثيرة كما أن الشبهات كثيرة، وأساس ذلك كله هو ما يعتري القلب من أمراض.

<u>أساس فساد القلب</u>

إن العلماء جعلوا أساس فساد القلب بالشهوات كالحسد، وبعضهم قالوا :هو القوة

---

(1) سورةالنساء ،الآية ،65

الغضبية، وبعضهم قالوا هي: قوتين أو أكثر، وأخذوا ذلك من قول الله تبارك وتعالى : (وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا)([1])

إن العلماء رحمهم الله تعالى ومنهم ابن القيم: هذه الآية حذرت من ثلاثة أمور: الشرك، ودعوة غير الله، وهذا معلوم التحذير منه (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) ([2]) وما عدا ذلك فإن الموضوعان الآخران فيهما إشارة إلى القوتين اللتين في الإنسان، أو الخصلتين اللتين هما أساس كل معصية وذنب يفعله العبد، وهما القوة الغضبية والقوة الشهوانية.

القوة الغضبية تبدأ بأن تغضب من إنسان بغير حق، ثم تعتدي عليه بالضرب وتأخذ ماله، ثم تنتهي بقتله (وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) ([3]) فنبه الله تعالى على نهاية وغاية القوة الغضبية -حفظني الله وإياكم منها- ولهذا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أوصى الرجل مرارًا) لا تغضب (فكل منا يعرف نفسه، فإذا كان ممن فيه حدة في جانب القوة الغضبية فليتدارك نفسه ولا يغضب، وليعالجها بالأدوية النبوية وقد بينها رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسلم .

وإما أن تكون القوة قوة شهوانية، وهذه القوة الشهوانية أول بدايتها تكون من الجوارح، بالنظر، ومعظم النار من مستصغر الشرر .

أول ما يبدأ بالنظر، فيمد الإنسان عينيه إلى ما حرم الله -تبارك وتعالى- ويتبع ذلك النظر أتباع القلب، فيميل القلب وينصب ويعشق ويهوى ويتمنى، ثم بعد ذلك يدفع المال أو يبذل السبل، ثم تكون النهاية هي الوقوع في الفاحشة -والعياذ بالله- فيكون الزنا فلهذا قال :(وَلا يَزْنُونَ)([4]) فنهى عن الزنا بعد أن نهى عن الشرك وعن القتل، فالقوة الغضبية والقوة الشهوانية هما أساس كل ذنب ومعصية.

<u>فساد القلب بالحسد</u>

إن الحسد هو أساس فساد الجوارح من القلب والأعضاء جميعًا لم يذهبوا بعيدًا، فهو إما أن يكون ناشئًا عن القوة الغضبية لأنه نوع منها، لكنه يتجه اتجاهًا آخر -نسأل الله العفو والعافية- يتجه إلى الإنكار على المنعم وعلى المتفضل تبارك وتعالى، الجواد الكريم الذي أعطى كل نفس مخلوقة كما قال :(كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) ([5]) فهو الذي يعطي من يحب ومن لا يحب، يعطي

---

(1)سورة الفرقان ،الآية 68
(2)سورة المائدة ،الآية 72
(3) سورة الفرقان،الآية 68
(4)سورة الفرقان،الآية68
(5)سورة الإسراء ،الآية ،20

الكافرين ويعطي المؤمنين، فالحاسد يتجه حقيقة إلى الاعتراض على الله -تبارك وتعالى- لماذا؟

لأنَّ فيه القوة الغضبية التي جعلته يكره هذا الرجل المحسود وينفر منه ثم زادت حتى أدت به إلى الوصول إلى الاعتراض على من أعطاه ومن منّ وتفضل عليه، فالمقصود أن هذا ناشئ عن القوة الغضبية أيضًا .

ولهذا كان من أدلتهم على ذلك أن أول ذنب عصي الله تبارك وتعالى به، ونشأ عنه الكفر والفساد في الدنيا كلها من بني آدم هو الحسد، لأن أصل وقوع الفتنة والشرك والكفر والفواحش والبغي والعدوان في الدنيا هو من إبليس اللعين، وما الذي دفعه إلى ذلك الحسد؟

دفعه إلى ذلك أمر الله تبارك وتعالى الملائكة بأن تسجد لهذا المخلوق آدم عليه السلام (أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا)([1]) (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)([2]) حسده ولم يقبل أمر الله تبارك وتعالى في أن يسجد له كسائر الملائكة الكرام الذين استجابوا لأمر الله ولم يعترضوا عليه، وهكذا يجب على العبد دائمًا ألا يعترض على أوامر الله فينشأ من ذلك الحسد والإباء والاستكبار أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ] ([3]) ثم بعد ذلك الكفر، فالحسد جعله الله تبارك وتعالى سببًا لوقوع الكفر والفواحش والمصائب والبلايا في هذه الدنيا نسأل الله أن يحفظنا وإياكم من همز الشيطان ونفخه ونفثه وشره كله ويجب على الإنسان أن يطهر قلبه من الحسد والغش والغل لإخوانه المؤمنين في كل زمان وفي كل مكان، وأن يدعو الله تبارك وتعالى ألا يجعل في قلبه غلًا للذين آمنوا، كما وصف الله تبارك وتعالى عباده الصالحين.

وقد صح عن رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -في حديث الرجل الذي خرج إلى النبي -صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللهُ وهو في مجلسه الكريم صلوات الله وسلامه عليه، ومعه أصحابه الكرام رضوان الله تعالى عليهم، ولحيته تقطر من أثر الوضوء، فقال- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :- (يطلع عليكم من هذا الفج رجل من أهل الجنة وانظروا إلى هذا الوصف العظيم، ما معنى من أهل الجنة) .

وهل هي كلمة عادية؟
أي من الفائزين، من الذين رضي الله تبارك وتعالى عنهم، أي: أن هذا الرجل ما بينه

---

(1)سورة الإسراء ،الآية 61
(2)سورة الأعراف ،الآية 12
(3)سورة البقرة 34

وبين التمتع بنعيم الجنة -التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر -إلا أن يموت فقط، فتعجب الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وثلاث مرات يخرج ذلك الرجل والنبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسلم -يقول فيه هذا القول، فحرص الصحابة لمعرفة سبب هذا الفوز، وكان أكثر حرصهم على الخير مثل حرص أحدنا اليوم على الدنيا، فحرص على ذلك عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها .

فذهب يستطلع الخبر ويخبر بعد ذلك بقية الصحابة، فذهب إليه وسلم عليه وقال: يا أخي، إني لاحيت أبي -أي: خاصمت أبي- فحلفت ألا أبيت عنده ثلاثًا -أي: ثلاث ليال- فأريد أن تؤويني عندك، فآواه عنده، وما غرضه إلا أن ينظر لعمله، يقول: عبد الله بن عمرو -رضي الله تعالى عنه- فما وجدت له من شيء كما كنت أتوقع، إلا أنه إذا قام من الليل أو تحرك ذكر الله عز وجل، لم يجد فيه أكثر من ذلك، لم يجد فيه زيادة عبادة أو صيام أو صلاة أو ذكر.

فلما كان اليوم الثالث كدت احتقر ما عنده من عمل، فقلت له: أيها الرجل إني لم يكن بيني وبين أبي مُلاحاة، وإنما جئتك لأني سمعت رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول فيك كذا، فأحببت أن أرى عملك، فما رأيت فيك شيئًا غير ما كنت قد رأيت، قال: ما هو إلا ذاك قال: ثم وليت، فقال لي الرجل لما وليت: تعال، فرجعت، فقال: ما هو إلا ما رأيت، إلا أني لا أبيت ليلة من الليالي وفي قلبي غش أو حسد لمسلم على نعمة أنعم الله تعالى بها عليه، قال: فذلك الذي به بلغت ما بلغت، وذلك الذي لا نطيق .

سبحان الله قلب سليم ليس فيه غش لأي مسلم، ولا حسد على نعمة أنعم الله بها عليه، من يستطيع لهذا إلا أصحاب النفوس التي سمت وعلت وزكت وعلمت أن النعم من الله، وعلمت أن الفضل كله من الله، والخزائن كلها بيديه، والخلق خلقه، وأن العبيد عبيده، وأنه يبتلي هذا بالفقر، وهذا بالغنى، ويبتلي هذا بالصحة، ويبتلي هذا بالمرض، وكلنا يجب أن نطيع أمره، ونقبل حكمه الشرعي كما نقبل حكمه الكوني القدري، فإنَّ جعلنا من أهل الابتلاء والفقر والمرض والألم، صبرنا واحتسبنا، وإن جعلنا من أهل اليسار والغنى والمال والعافية، شكرنا واحتسبنا، فلا يطغينا هذا أو يلهينا ذاك، هذه هي سلامة القلب من ذلك كله.

فلما سلم قلب هذا الصحابي -رضي الله تعالى عنه- من الشرك والبدعة والهوى، سلم مما هو أدق من ذلك وهو الغش للمسلمين أو الحسد لهم، ولهذا يقول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :- (من غش فليس مني) وفي الرواية الأخرى يقول : (من غشنا فليس منا)([1]) لأن المؤمن لا يغش ولا يحسد أخاه .

---

(1)السلمي ،سنن الترمذي ،ج3،ص606

فمن صفة أهل الكتاب التي جعلتهم يكفرون بمحمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ورسالته الحسد، ولهذا يقول الله تبارك وتعالى عنهم :(أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)([1]) وقال في الآيات الأخرى :(حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ) ([2]) ، وبين النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كيف حسدنا اليهود على رسالة النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنه بعث من العرب، وحسدونا على القبلة، ويوم الجمعة، وعلى أن وفقنا الله له ولم يعرفوه، وحسدونا حتى على كلمة) آمين(، وما من شيء في ديننا إلا وحسدنا عليه اليهود والنصارى وأشباههم، ونتيجة هذا الحسد استكبروا وأبوا أن يذعنوا للحق، ورفضوا الإيمان بهذا الدين العظيم .

والمؤمن لا يحسد أحدًا من إخوانه المسلمين أبدًا، بل المؤمن لو رأى أهل الكفر يتنعمون ويتلذذون ويعبثون بالأموال كما يشاءون يعلم أن ذلك ابتلاء لهم وأنه (مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ)([3]) فلا تقلبهم في البلاد، ولا يغره تقلبهم في النعم وهم كفار، فكيف تحسد إخوانك المسلمين المؤمنين .

الأمانة بين الإنسان وصاحبه من الأمور الخاصة

التي يجب ألا يطلع عليها احد من الناس، فلا يجوز لأحدهما إن يخبر بها، وإلا فإنه مضيع للأمانة، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم عد التفات الرجل إذا حدث أخاه انه موجب لحفظ أمانة هذا الحديث، لأنه يدل على إن هذا الرجل يخشى إن يسمعه احد، قال النبي صلى الله عليه وسليم: 'إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة'([4]) .(إذا أنت حملت الأمانة فارعها وكونن قفلا لا يرومك فاتح فإن لسان المرء ما لم يكن له فؤاد بما يخفى على الناس بائح .

أن المجالس لها دور كبير في الحياة العامة وسر المجلس أمانة يجب أن يصان : يقول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون)([5])

---

(1)سورة النساء الآية 34
(2)سورة البقرة ،الآية 109
(3)سورة آل عمران،الآية 197
(1)إسماعيل بن محمد العجلوني (ت1162هـ)كشف الخفاء،تحقيق احمد القلاش ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،1405هـ،ج2،ص260
(5) سورة الأنفال ،الآية ،27

وفي الحديث النبوي : "المجالس بالأمانة"([1]) وفي الحديث السابق" : إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانة"([2]) والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول "لا إيمان لمن لا أمانة له ([3]"). كما أن مجالات السر ليست على درجة واحدة ولكنها متفاوتة هناك مجالات للسر هامة وخطيرة يجب العناية بها إلى حد كبير، والخطورة تأتي إما من جهة صاحب السر ، وإما من خطورة العمل والسر نفسه ، وإما من خطورة الظروف والمناسبات ، فسر الرجل العظيم ليس كسر غيره ، وسر العمل الهام ليس كسر عمل بسيط ، والسر عند الظروف الحرجة ، ليس كالسر في الظروف العادية ، وهناك شواهد تاريخية

نوضح ذلك كله : من خلال الشواهد التاريخية

(1) كبرت حفصة بنت عمر عرضها أبوها على عثمان ليتزوجها فاعتذر فعرضها على أبي بكر فلم يرد عليه بإيجاب أو نفي ، فغضب منه أكثر من غضبه على عثمان ، فلما خطبها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقابل أبو بكر عمر قال له لعلك وجدت على حين عرضت حفصة عليَّ فلم أرجع إليك شيئا؟ قال : نعم ، قال : إنه لم يمنعني أن أرجع إليك شيئا حينما عرضت علي إلا أنني كنت علمت أن النبي يذكرها ، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ([4])

(2) لما ولي عمر بن الخطاب قدامة بن مظنون بدل المغيرة أمره ألا يخبر أحدا ، فلم يكن له زاد ، فتوجهت امرأته إلى دار المغيرة ، أقرضونا زاد ، لراكب فإن أمير المؤمنين ولي زوجي الكوفة، فأخبرت امرأة المغيرة زوجها ، فجاء عمر واستأذن عليه وقال له : وليت قدامة الكوفة وهو رجل قوي أمين ، فقال : ومن أخبرك؟ قال : نساء المدينة يتحدثن به ، فقال اذهب وخذ منه العهد([5])"

---

(3)محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي ،(ت454هـ)مسند الشهاب ،تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،1407هـ،1986م ،ج1،ص37

(2)العجلوني ،كشف الخفاء ،ج2،ص260

(3)البستي ،صحيح ابن حبان ،ج1،ص422

(4)صحيح البخاري ،ج4 ،ص1471

(2) الأصفهاني ،الراغب ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ،تحقيق: عمر فاروق الطباع ، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع،2001،ج1، ص 75

(3) قال العباس لأبنه عبد الله : "إني أرى هذا الرجل ـ يعني عمر بن الخطاب ـ يقدمك على الأشياخ فأحفظ عني خمسا : لا تفشين له سرا ، ولا تغتابن عنده أحدا ولا تجرين عليه كذباً ، ولا تعصين له أمراً ،ولا يطلعن منك على خيانة"([1]).

(4) طلب بنو قريظة من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يرسل إليهم (أبا لبابة) لاستشارته فيما عرض عليهم النبي فقاموا إليه يبكون ، قالوا : كيف ترى لنا أنزل على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقة ـ يقول ـ إنه الذبح ، ثم علم من فوره أنه خان الله ورسوله ، فمضى ولم يرجع إلى النبي حتى أتى مسجد المدينة فربط نفسه بسارية وحلف ألا يحله إلا رسول الله بيده ، لا يدخل أرض بني قريضة أبداً ، ثم تركه النبي حتى تاب الله عليه فحله بيده .([2])

(5) لما اعتزم النبي فتح مكة أمر عائشة أن تجهزه ، فدخل عليها أبوها أبو بكر وهي تعد الجهاز ، فقال : أي بنية أمركن رسول الله بتجهيزه ؟ قالت : نعم قال : فأين ترينه يريد ، فقالت والله ما أدري ، ثم أعلم النبي الناس أنه سائر إلى مكة وأمرهم بالجد والتجهيز وقال : "اللهم خذ والعيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها ، لكن حاطب بن أبي بتلعة كتب إلى قريش بذلك وأرسل الكتاب مع امرأة وجعل لها جعلا فأخفته في قرون رأسها ، وكان من أمره ما كان وكان من رأي عمر قتله ، ولكن النبي عفا عنه لأنه من أعلى بدر ، ونزل في ذلك قول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما اخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل)([3])

ففي هذه القصة عدم إخبار عائشة أباها بمقصد النبي ، ومنها دعا النبي أن يأخذ العيون من قريش حتى يبغتها ، وغضب النبي على عمل حاطب ورأي عمر في قتله ، ووعيد الله للجواسيس والعملاء .

فوائد حفظ السر ومضار إفشائه :

---

(3) الغزالي ،أبو حامد محمد،إحياء علوم الدين ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،2001 ،ج2،ص75

(1) ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد في هدى خير العباد، مؤسسة الرسالة ، ج 2 ص 7

(3)سورة الممتحنة ، الآية 1

ومما لا شك أن كتمان السر يساعد على النجاح في الأعمال ، ويؤمن السالك من أخطار الطريق ، ويريح الضمير ، ويحفظ للإنسان مكاسب طيبة مادامت بعيدة عن علم الغير، ولا يتيح للمنافس أو العدو فرصة يظهر بها عليه أو ينال بسببها منه .

وإفشاء السر موجب للضغينة ، موقع في الحرج ، مفرق بين الأحبة ، مخرب للأسرة ، مسبب في اضطراب الأمن، ممكن للعدو من النيل من الإنسان أو الجماعة، فقد يكون عند الإنسان ثروة لو عرف الغير سرها لأغرت اللصوص أو أكثرت الحساد عليه، وقد يكون مشروع علمي لو أطلع الغير عليه لسبقه إليه أو تخطيط حربي لو عرفه العدو لاستفاد منه .

ومن أجل ذلك جاء التحذير الشديد من إفشاء السر ، وجاء الأمر بحفظه وصيانته وتأمل قوله تعالى على لسان يعقوب لابنه يوسف حينما قص عليه رؤياه بسجود الكواكب والشمس له : (قال يا بني لا تقصص رُؤياك على إخوتك فيكدوا لك كيدا إن للإنسان عدو مبين)([1]) ومن السنة تأمل أيضا ، قال عليه الصلاة والسلام " إن العبد ليقول الكلمة لا يقولها إلا ليضحك بها المجلس ، يهوى بها أبعد ما بين السماء والأرض ، وإن المرء ليزل على لسانه ، اشد ما يزل على قدميه"([2]) ، ومن المأثور نجد : (استعينوا على قضاء حاجاتكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود ([3]))

قال الأمام علي (عليه السلام) : سِرَّكْ أسِيّرك ، فإن تكلمت به صرت أسِيرهُ ([4])

وقال عتبة لابنه الوليد : "من كتم سره كان الخيار بيده ، ومن أفشاه كان الخيار عليه"([5])

ولإفشاء السر وسائل كثيرة فقد يكون بكلمة تقولها لغيرك في أثناء حديث عادي أو لقاء عابر ، وقد يكون بإشارة صامته لكنها عند الغير تكون معبرة عن شيء كبير ، وكل ذلك يجب التفطن إليه والحذر من الوقوع فيه . يقول الله تعالى : (خذوا حذركم)([6]) وقال (ولا تجسسوا)([7]) وفي الحديث قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ" : إياكم والظن

---

(1)سورة يوسف ، الآية 5
(2) عبدا لله بن المبارك المرزوي (ت181هـ)الزهد لابن المبارك ،تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،بلا،ج1،ص255
(3) الماوردي ،أدب الدين والدنيا ،تحقيق ،سمير مصطفى ،الناشر المكتبة العصرية ،الدار النموذجية ،الطبعة 1، ،2001،ص56
(4)ابن أبي الحديد(ت656هـ) ،شرح نهج البلاغة قم ،1404هـ ا ،ج9 ،ص45
(5) .الغزالي ،إحياء علوم الدين ،ج 3 ص114
(6) سورة النساء ،الآية 71
(7)سورة الحجرات ،الآية 12

فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا"([1])

"من استمع إلى خبر قوم وهم له كارهون "([2])

وروى أحمد في سنده عن سعدي بن المقبري قال : (رأيت بن عمر يناجي رجلا ، فدخل رجل بينهما فضرب صدره وقال له : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : "إذا تناجى اثنان فلا يدخل بينهما الثالث إلا بأذنهما " ([3])

وإذا كان للسر وسائل إفشاء فإن مجالات السر كثيرة ومتعددة فقد تكون في القطاع الاقتصادي ، والقطاع السياسي ، والقطاع الحربي ، والقطاع الثقافي وفي جميع القطاعات ، وتكون في المصانع والمعامل والمتاجر ، ومكاتب الحكومة ، والشركات وغيرها وتكون بين أعضاء الأسرة ، وفي محيط الأصدقاء والزملاء والعمال وفي جميع المجالات والأوساط وكل المستويات ، فكل شيء يحرض على إخفائه فهو سر ، وإذاعته بأي وسيلة جريمة .

ولما عرض عمر رضي الله عنه بنته حفصة لأبي بكر رضي الله عنه فلم يجبه بشيء قال له بعد أن دخل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئا , فقال نعم , فقال إنه لم يمنع أن أرجع إليك فيما عرضت علي إلا أني كنت علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكرها فلم أكن لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

و عن أنس رضي الله عنه ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب مع الغلمان فسلم علينا فبعثني في حاجة فأبطأت على أمي , فلما جئت قالت ما حبسك ؟ قلت بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة , قالت ما حاجته ؟ قلت إنها سر قالت لا تخبرن بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا . قال أنس : والله لو حدثت به أحدا لحدثتك به يا ثابت ([4]).

وذكر ابن عبد البر الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أسر إلى

---

(4) الأزدي ،سنن أبي داود ،ج4،ص280

(2) البيهقي ،سنن البيهقي ،ج7،ص269

(6) الشيباني ،مسند احمد ،ج2 ،ص138 ،السفريني ،محمد بن احمد السفريني الحنبلي ، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ـ ص 296 .

(4)الشيباني ،مسند احمد،ج3،ص174

أخيه سرا لم يحل له أن يفشيه عليه([1]).

وقال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه لابنه عبد الله : يا بني إني أرى أمير المؤمنين يدنيك , يعني عمر رضي الله عنهم , فأحفظ عني ثلاثا : لا تفشين له سرا , ولا تغتابن أحدا , ولا يطلعن منك على كذبة .

وقال الحكماء : ثلاثة لا ينبغي للعاقل أن يقدم عليها : شرب السم للتجربة , وإفشاء السر إلى القرابة والحاسد وإن كان ثقة , وركوب البحر وإن كان فيه غنى . ويروى : أصبر الناس من لا يفشي سره إلى صديقه مخافة التقلب يوما ما . وقال بعض الحكماء : القلوب أوعية الأسرار , والشفاه أقفالها , والألسن مفاتيحها , فليحفظ كل منكم مفاتيح سره .
وقال أكثم بن صيفي : إن سرك من دمك , فانظر أين تريقه . وكان يقال : أكثر ما يتم تدبير الكتمان . وقال الشاعر :

وسرك ما كان عند امرئ وسر الثلاثة غير الخفي ([2])

وقال آخر :

فلا تخبر بسرك كل سر إذا ما جاوز الاثنين فاش ([3])وقالت طائفة : إنما السر ما أسررته في نفسك لم تبده إلى أحد . قال عمرو بن العاص رضي الله عنه : ما استودعت رجلا سرا فأفشاه فلمته لأني كنت به أضيق صدرا حيث استودعته إياه.
وإلى ذلك ذهب القائل :

إذا المرء أفشى سره بلسانه ولام عليه غيره فهو أحمق ([4])

"وقال آخر :

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي يستودع السر أضيق([5])

وقال آخر

---

(1) البيهقي ،سنن البيهقي ،ج7،ص340
(1)الأصفهاني ، محاضرات الأدباء،ج1 ،ص33
(3)المصدر نفسه ،ج1،ص25
(4) المصدر نفسه ،ج1،ص25
(4)ياقوت الحموي معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الاديب ، تحقيق مرجليون ،مصر ، مطبعة هندية ط1 ، 1342هـ 1923،ص32
(5) المصدر نفسه ،ص33

إذا ما ضاق صدرك عن حديث فأفشته الرجال فمن تلوم
إذا عاتبت من أفشى حديثي وسري عنده فأنا الظلوم
فإني حين أسأم حمل سري وقد ضمنته صدري مشوم ([1])
ولست محدثا سري خليلا ولا عرسي إذا خطرت هموم
وأطوي السر دون الناس إني لما استودعت من سر كتوم

وقد ذكر من أضجره كتم الأسرار وأنها تغلي في قلبه غليان النار , ما ذاع وشاع في النثر والأشعار ([2])

ولا أكتم الأسرار لكن أبثها ولا أدع الأسرار تقتلني غما
وإن سخيف الرأي من بات ليله حزينا بكتمان كأن به حمى
وفي بثك الأسرار للقلب راحة وتكشف بالإفشاء عن قلبك الهما

وقال آخر :

ولا أكتم الأسرار لكن أذيعها ولا أدع الأسرار تغلي على قلبي
وإن ضعيف القلب من بات ليله تقلبه الأسرار جنبا على جنب

وقد قيل : لا تطلعوا النساء على سركم يصلح لكم أمركم .

والحاصل أن على العاقل كتمان السر , والله ولي الأمر
وقال آخر([3]):

لا تودعن ولا الجماد سريرة فمن الجوامد ما يشير وينطق
وإذا المحك أذاع سر أخ له وهو الجماد فمن به يستوثق

---

(1)القرطبي، بهجة المجالس وانس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس ،ج3 تحقيق محمد مرسي الخولي ،دار الكتب لعلمية ،بيروت ،لبنان ،ص35

(3)المصدر نفسه ،ص35

الأمانة بين الرجل وزوجته من الأشياء الخاصة،

فالعلاقة الزوجية هي من اخص، فالعلاقة الزوجية هي من اخص العلاقات الإنسانية، ويجري بين الزوجين من الأمور ما لا يجب أن يطلع عليه احد من الناس، فمن خان هذه الأمانة ونشر سرا مما يكون بينهما، فإنه من اشر الناس منزلة عند الله تعالى يوم القيامة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: 'أن من اشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها' ([1]) وقد سماها النبي، صلى الله عليه وسلم أمانة، بل من أعظم الأمانة، كما في رواية عند الإمام مسلم كذلك، قال النبي صلى الله عليه وسلم: 'إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي أليه ثم ينشر سرها'، وليس من الرجولة أن يفشي الرجل سر امرأته، كما يفعله بعض السفهاء، بل الرجولة في أداء الأمانة وحفظ الإسرار.

ومن القرآن نجد قوله تعالى :وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به ، وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير([2]) ومن وصايا العرب للعروس : ولا تفشي له سرا ، فإنك لو أفشيت سره ، أوغرت صدره .

سر البيوت لا ينبغي أن يفشي ، ففي الحديث عن ثابت رضي الله عنه أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مر على أنس وهو يلعب مع الغلمان فسلم عليهم ثم بعثه في حاجة فلما أبطأ على أمة سألت عن السبب فقال : بعثني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فالت وما حاجته ؟ فقال : إنها سر ، فقالت : لا تخبر بسر رسول الله أحدا ، قال أنس : والله لو حدثت به أحد لحدثتك يا ثابت([3])

أن النبي عليه الصلاة والسلام، حَذّرَ الزوجين من أن يفشي الواحد منهما سر الآخر، كأسرار البيت أسرار العلاقة بالآخرين، والأسرار المالية، وأشدها أسرار الفراش، فيعتبر إفشاء المرء لسر غيره خيانة إن كان مؤتمناً، ونميمة إن كان مستودعاً، وكلاهما حرام ومذموم، بل إن الميت يكره لمن يغسله أن يتحدث بما يراه من سوء عليه، فحفظ السر للحي والميت، وكذلك الأسرار الزوجية تحفظ أثناء بقاء العلاقة الزوجية وبعد وفاة أحد الطرفين أو حصول الطلاق.

---

(1) النيسابوري ،صحيح مسلم ،ج2،ص1060
(2) سورة التحريم ، الآية 3

(3) الشيباني ،مسند احمد ،ج3،ص253

و عن الغزالي رحمه الله رواية عن بعض الصالحين أنه أراد طلاق زوجته، فقيل له: ما الذي يريبك فيها؟
فقال: العاقل لا يهتك سر امرأته، فلما طلقها قيل له: لم طلقته ؟ فقال: مالي وامرأة غيري.

فالواجب ستر المسلم، ومن باب أولى ستر أسرار العلاقة الزوجية، فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام: (من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)([1]) ،
إفشاء السر حصل مع إحدى زوجات النبي عليه الصلاة والسلام وهي السيدة (حفصة) عندما حرم النبي عليه الصلاة والسلام السيدة ماريه على نفسه، فأوصى حفصة بعدم إخبار أحد فكشفت هذا السر، فغضب النبي عليه الصلاة والسلام منها فطلقها، ثم ردها جبريل عليه السلام، ولكن المشكلة تحصل عندما يكون أحد الطرفين ثرثاراً بالأسرار الزوجية، ولهذا فان الشريعة أجازت لأحد الطرفين أن يرفع دعوى على الآخر إذا كان يفشي الأسرار الزوجية دائماً، وللقاضي أن يعزر من يفشي السر، إلا أن هناك بعض الأسرار يمكن لأحد الزوجين أن يتحدث بها ويفشيها للمصلحة، كأن يستشير أحد الزوجين مختصا لإرشادهما في علاج مشاكلهما الزوجية أو إذا أصيب أحد الزوجين بمرض معد كالكوليرا والطاعون وغيرها،
فإفشاء الأسرار في العلاقة الزوجية يهدد كيان الأسرة ويفتك بها، وحفظ الأسرار يساهم في استقرار الأسرة وسعادتها،
ونهى الإسلام عن إفشاء أسرار الفراش وهو ما يدور بين الرجل وزوجه ، روى أحمد وأبو داود من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى قال ، مجالسكم هل منكم الرجل إذا أتى أهله أغلق بابه وأرخى ستره ثم يخرج فيحدث فيقول فعلت بأهلي كذا ؟ فسكتوا فأقبل على النساء فقال : هل منكم من تحدّث ؟ فحثت فتاة كعب على إحدى ركبتيها وتطاولت ليراها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمع كلامها فقالت : إي والله إنهم يتحدثون وإنهن ليتحدثن فقال : هل تدرون ما مثل من فعل ذلك ؟ إن مثل من فعل ذلك مثل شيطان وشيطانه لقي أحدهما صاحبه بالسكة فقضى حاجته منها والناس ينظرون إليه([2])

<u>من حكمة ذلك:</u>

1. **اعتبار العلاقات الجنسية بين الزوجين سراً من الأسرار التي يجب حفظها وسترها .**

---

(1)الهيثمي ،مجمع الزوائد ،ج1،ص134
(2)امحمد بن علي الشوكاني (ت1255هـ)نيل الاوطار ،دار الجبل ،بيروت ،1973،ج6،ص350

2 رفعها عن أن تلوكها الألسن في المجالس فتكون مادة سمر.

3إبعاد مسألة المقارنات في هذه العلاقة مما ينتج عنه آثار سلبية.

4 حديثهما بالعلاقة ينافي فعلهما في الستر ، نبه لذلك النبي عليه الصلاة والسلام حين قال (إذا أتى أهله أغلق بابه وأرخى ستره.
وعن أبي سعيد الخدري أيضا عن رسول الله صلى الله و اله عليه وسلم قال { السباع حرام }([1]) قال ابن لهيعة : يعني به الذي يفتخر بالجماع , رواه الإمام أحمد وأبو يعلى والبيهقي كلهم من طريق دراج عن أبي الهيثم , وقد صححها غير واحد ,قال الحافظ المنذري : السباع بكسر السين المهملة بعدها باء موحدة هو المشهور , وقيل بالشين المعجمة والله أعلم .

الأمانة العلمية

نشر العلم: حيث ائتمن الله تعالى أهل العلم ليبلغوا العلم للناس ولا يكتمونه وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ([2])
فمن يتولى وظيفة تعليمية في التعليم العام أو التعليم العالي عليه واجب نشر العلم الذي يعلمه بحكم الحق الشرعي ، وبحكم الوظيفة أيضاً.
وقد جاء الترهيب من النبي عن كتم العلم بقوله " من سُئل عن علمٍ فكتمه ألجِم بلجامٍ من نار يوم القيامة([3])
ولا ريب أن هذا الوعيد لا يتناول كل من سأل عن علمٍ فكتم الجواب وهو يعلمه ؛ لأن أصحاب النبي , كانوا يُسألون فيتدافعون الفتوى خوفاً من الخطأ ، وتواضعاً من أنفسهم ، ولكن كتمان العلم يكون حراماً عند توفر الشروط التالية:
أولاً: أن يُسأل المفتي أو العالم.
ثانياً: أن يكون المسؤول عالماً بالجواب.
ثالثاً: أن يكون السائل بحاجة للجواب، وليس سائلاً لمجرد المعرفة.
رابعاً: أن لا يتوفر غير المسؤول يعلم الجواب.
خامساً: أن يكون السؤال عن أمرٍ يترتب على الجهل به ضرر.

* دقة المعلومة : فلا بد لمن يعلم أن يبلّغ العلم بشكل صحيح غير محرَّف.

---

(1)ابن ماجة ،السنن ، ج2 ،ص 1077
(2)سورة، آل عمران الآية ، 187
(2)محمد بن احمد القرطبي ،(ت671هـ) ،تفسير القرطبي،تحقيق احمد عبد العليم البرد وني ،دار الشعب ،القاهرة ،1372هـ،ج2،ص184

فالمعلّم عند شرحه لطلابه، والصحفي عند نقله الخبر، والإداري عند تفسيره النظام، والطبيب عند وصفه الدواء، والمهندس عند وضعه الخطط والدراسات، كل أولئك وغيرهم لا بد أن يكونوا دقيقين واثقين من صحة المعلومة.

وهنا يعلّمنا القرآن الكريم أن نكون دقيقين في الألفاظ ، قال الله سبحانه ، قالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ([1]) فالإسلام غير الإيمان.

لذا يجب الردّ في الأمور المشتبهة والمختلف فيها شرعاً أو نظاماً إلى أولي العلم والخبرة والدراية الذين يعرفون التمييز بين المعلومة الصحيحة والخاطئة ، قال سبحانه ، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ([2]) .

* نسبة المعلومة : حيث إن العلم المستنبط والاجتهاد العقلي حق معنويّ لمن استنبطه ، فمن حقّه أن يُنسَب له اجتهاده ، ولا ينسبه الناقل لنفسه ، فمن نقل معلومة أو فائدة من كتاب أو محاضرة فلينسبْ الفضل لأهله.

ولا أدَّعي أن هذا واجبٌ في كل فائدة علمية، أن يسمِّي الناقل من أخذها عنه، ولو اشترطتُ ذلك لامتلأت الكتب بالحواشي، والمحاضرات بتسمية الأشخاص، ولكن أشترط ألا ينسب المرء لنفسه نظريةً علمية، أو فائدةً جديدة، أو نحو ذلك، ويوحي للقارئ أو السامع أنه هو صاحبها، وقد التقطها من غيره، وهو ما يعرف بالسرقات الأدبية أو العلمية.

ومن هنا قرر العلماء بأن حقوق النشر والتأليف محفوظة؛ فلا يجوز السطو على الكتب والبحوث والأشرطة المحفوظة الحقوق ([3])

وسبب التحريم هو أن هذا التصرف نوعٌ من الخداع والغشّ ، لأنه يوهم المستفيد أن هذه المعلومة من الكاتب في حين أنها من تأليف غيره.

وقد يقول قائل: إن العلم الشرعي لا حق محفوظ فيه؛ لأن علمه واجبٌ تبليغه على العلماء، فكلّ الكتب الشرعية والمحاضرات لا حقوق محفوظة فيها. وقد كتب علماء الشريعة السابقون كتبهم ولم يقرروا أن حقوقهم فيها محفوظة!

وهذا القائل لم يفهم المغزى من حفظ الحقوق؛ فإن مبدأ أو فلسفة حفظ الحقوق أن الكاتب ـ أو المنتج للبرنامج و نحوه – يريد أن يخرج الكتاب بالصورة التي خرج بها دون زيادة أو نقصان، فالتغيير فيه يخرجه عن هدف المؤلف وأسلوبه الخاص.

وأيضاً فإن كتب السلف محفوظة الحقوق بمعنى عدم جواز الزيادة عليها أو النقصان منها مع نسبتها للمؤلف الأصلي.

---

(1) سورة الحجرات:14

(2) سورة النساء:83

(3)كنعان نواف ، حق المؤلف ، ص23-28 استنادا الى قرارات مجمع الفقه الإسلامي بمكة المكرمة في دورته التاسعة بتاريخ 7/12 /1406هـ،ص56

وغنيٌّ عن القول أن هذه الحقوق تشمل جميع أنواع العلوم ، وبجميع اللغات ، بغض النظر عن اعتقاد الكاتب أو المؤلف.
فلا يخطر ببال أحد أن علماء غير المسلمين من الأطباء والكيميائيين والفيزيائيين والتقنيين وغيرهم يجوز السرقة من كتبهم العلمية ! كلا إن هذا غير جائز ، لأن أموال الكفار محترمة كنفوسهم ، ما لم يكونوا محاربين ، لذا حافظ النبي ، على نفوس اليهود الذين يسكنون المدينة المنورة وأموالهم حين كتب العهد معهم . فكذلك الحقوق المعنوية مصونة لهم كأموالهم . ثم إن هذا مخالفٌ للأمانة ، والمؤمن لا يخون أحداً مؤمناً كان أو كافراً.

الأمانة في الكلام:

ومن الأمانة أن يلتزم المسلم بالكلمة الجادة، فيعرف قدر الكلمة وأهميتها؛ فالكلمة قد تُدخل صاحبها الجنة وتجعله من أهل التقوى، كما قال الله تعالى: {ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء}([1])
وقد ينطق الإنسان بكلمة الكفر فيصير من أهل النار، وضرب الله -سبحانه- مثلا لهذه الكلمة بالشجرة الخبيثة، فقال: {ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار} ([2])
وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أهمية الكلمة وأثرها، فقال: (إن الرجل لَيتَكَلَّمُ بالكلمة من رضوان الله، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغتْ، يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغتْ، يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه)([3]) والمسلم يتخير الكلام الطيب ويتقرب به إلى الله -سبحانه-، قال النبي صلى الله عليه واله وسلم: (والكلمة الطيبة صدقة)([4])

المبحث الثاني :معطيات الخيانة والأمانة:

إنّ أهمّ معطيات الأمانة على المستوى الاجتماعي هي مسألة الاعتماد وكسب ثقة الناس، ونعلم أنّ الحياة الاجتماعية مبنية على أساس التعاون والتكاتف بين أفراد المجتمع لحل المشاكل والتخفيف من تحدّيات الواقع والظروف القاهرة والاستفادة الأفضل من مواهب الحياة والطبيعة، ولهذا فإنّ مسألة الثقة والاعتماد لها دور أساس في تأصيل هذا المفهوم الاجتماعي لأنّه لولا وجود الاعتماد المقابل فإنّ المجتمع سيتحوّل إلى جهنّم لا يطاق، ويتعامل الأفراد بينهم من موقع التوحّش والأنانية، ويسود قانون الغاب في مثل هذا المجتمع، وبدلاً من أن تتكاتف القوى والطاقات على مستوى

---

(1) سورة إبراهيم ،الآية ،26
(2) سورة إبراهيم ،الآية ،26
(3) مالك بن انس (ت،179هـ)موطأ مالك،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،دار إحياء التراث العربي ،مصر،ج2،ص985
(4) ،صحيح البخاري،ج5،ص2241

بناء المجتمع والتصدي لتحدّيات الظروف القاهرة فإنّ هذه القوى سوف تتحرّك بالجهة المقابلة لتعميق التوحّش والتنفّر في المجتمع.

وبعبارة أخرى: إنّ المجتمع البشري سيفقد كل شيء بدون وجود حالة الاعتماد المتقابل بالرغم من توفّر كافة الأمانات والمواهب الطبيعية الأخرى، وبعكس ذلك إنّ المجتمع الذي تتوفّر فيه حالة الاعتماد المتقابل سيحصل على كل شيء بالرغم من فقدانه للإمكانات والموارد الطبيعية.

وهذا الاعتماد الاجتماعي يرتكز على ركنين:

1 ـ الأمانة.

2 ـ الصدق.

وما ورد في الروايات المذكورة آنفاً أنّ الأمانة تورث الغنى وعدم الحاجة والخيانة تورث الفقر فإنّ ذلك إنّما يشير إلى هذا الدليل.

وأمّا ما ورد في الروايات الشريفة أنّ جميع الأنبياء الإلهيين جعلوا من الأمانة وصدق الحديث محوراً لتعليماتهم فهو أيضاً ناظر إلى هذا المعنى.

ويذكر الكليني في (الكافي) قصّة جميلة في هذا الصدد ويقول: عن الحسين بن محمد، عن كثير بن يونس، عن عبدا لرحمن بن سيّابة قال: لما هلك أبي سيّابة، جاء رجل من إخوانه إليَّ فضرب الباب عليَّ، فخرجت إليه فعزّاني، وقال لي: هل ترك أبوك شيئاً فقلت له: لا، فدفع إليَّ كيساً فيه ألف درهم وقال لي: أحسن حفظها وكُلْ فضلها، فدخلت إلى أمي وأنا فرح، فأخبرتها، فلمّا كان بالعشيّ، أتيت صديقاً كان لأبي فاشترى لي بضائع سابري، وجلت في حانوت فرزق الله جلّ وعزّ فيها خيراً كثيراً، وحضر الحج، فوقع في قلبي، فجئت إلى أمي وقلت لها: إنّه قد وقع في قلبي أن أخرج إلى مكّة.

فقالت لي: فردّ دارهم فلان عليه فهاتها، وجئت بها إليه فدفعتها إليه فكأني وهبتها له، فقال: لعلّك استقللتها فأزيدك؟قلت: لا، ولكن قد وقع في قلبي الحج فأحببت أن يكون شيئك عندك، ثم خرجت فقضيت نسكي، ثمّ رجعت إلى المدينة فدخلت مع الناس على أبي عبدا لله(الحسين بن علي)(عليه السلام) ـ وكان يأذن إذناً عاماً ـ فجلست في مواخير الناس وكنت حدثاً، فأخذ الناس يسألونه ويجيبهم، فلما خفّ الناس عنه، أشار إليَّ فدنوت إليه، فقال لي: ألك حاجة؟ فقلت: جُعلتُ فداك أنا عبدا لرحمن بن سبابة،

فقال لي: ما فعل أبوك؟ قلت: هلك، قال: فتوجّع وترحّم، ثم قال لي: أفترك شيئاً قلت: لا، قال: فمن أين حججت؟ قال: فابتدأت وحدثته بقصّة الرجل، قال فما تركني أفرغ منها حتّى قال لي: فما فعلت في الألف؟ قال: قلت: رددتها على صاحبها، قال: فقال لي: قد أحسنت، قال لي: ألا أوصيك؟ قلت: بلى جُعلت فداك.

قال(عليه السلام): «عَلَيكَ بصدق الحَديثِ، وَأداءِ الأمانَةِ تُشرك النّاسَ فِي أموالِهِم هكذا ـ وجمع بين أصابعه ـ»، فحفظت ذلك عنه، فزكيّت ثلاثمائة ألف درهم([1]).

ونحن أيضاً رأينا في حياتنا أشخاصاً مثل هؤلاء الأشخاص فقد كان هناك تاجر متدّين في النجف الأشرف يعرفه الكثير من المعاصرين أيضاً وبسبب اشتهاره بالأمانة فإنّ الناس كانوا يودعون عنده أموالهم وودائعهم مطمئنون إلى حد أنّ الكثير من العلماء والفضلاء وطلاّب العلوم الدينية كانوا يسجّلون سندات بيوتهم باسمه لأنّه كان يمتلك الجنسية العراقية ولعلّه كان عند وفاته قد بلغ عدد البيوت المسجّلة باسمه ما يربو على الخمسمائة بيت لهؤلاء العلماء والطلاّب ولم يواجه أي واحد منهم مشكلة في هذا المورد.

ومن جهة أخرى عندما تسود الأمانة في المجتمع وفي العائلة فإنّها ستكون سبباً لمزيد من الهدوء والسكينة الفكرية والروحية، لأنّ مجرّد احتمال الخيانة فإنّ ذلك يسبب القلق والخوف للأفراد بحيث يعيشون حالة من الارتباك في علاقاتهم مع الآخرين ومن الخطر المحتمل الذي ينتظر أموالهم أو أنفسهم أو أغراضهم أو مكانتهم الاجتماعية، ومن المعلوم أنّ الاستمرار في مثل هذه الحياة المربكة والموحشة عسير جدّاً وقد يورثهم الكثير من الأمراض الجسمية والروحية أيضاً.ومن جهة ثالثة فإنّ الأمانة تقلل كثيراً من نفقات المعيشة ومصاريف الحياة وتسبب في الاقتصاد في الوقت والعمر والمال، لأنّ الخيانة إذا فتحت طريقها إلى المجتمع فانّ المسؤولين وأصحاب المواقع الاجتماعية يضطرون إلى تخصيص نفقات باهظة لإيجاد سجّلات خاصة ومحاسبين ومفتشين لدرء احتمال الخيانة في حساباتهم، وأحياناً يضطرون إلى إيجاد مفتشين على المفتشين الأوائل لضبط أعمالهم ويشرفوا على حساباتهم، ومع ذلك فانّ مثل هذه الأمور لا تستطيع أن تحلّ المشاكل الناشئة من الخيانة تماماً، ولكن على أي حال يقتضي الواقع المفروض تخصيص هذه النفقات للتصدّي إلى هذه المشكلة، ونشاهد في مجتمعنا الحالي أيضاً مثل هذه الأمور الأليمة بالنسبة إلى الأمور المالية وعدم الأمن الاقتصادي وكثرة من يلقى في السجن بسبب زوال الثقة وعدم الاعتماد المتقابل بين الناس، ولو أنّ أفراد المجتمع تحلّوا بقليل من الصدق والأمانة بدلاً من هذه

---

(1) الكليني ،فروع الكافي، ج5، ص134 (مع التلخيص).

النفقات والمصروفات والجهود المهدورة، فإننا سوف لا نبتلى بمثل هذا الإسراف الفضيع وإتلاف الثروات الاجتماعية الكبيرة.

ومن جهةٍ فإنّ الأمانة قد تسبب في كسب المحبّة وتعميق أواصر الصداقة بين الأفراد، في حين أنّ الخيانة تعتبر عاملاً للكثير من الجرائم والحوادث السلبية وأشكال الخلل الاجتماعي، وإذا طالعنا وثائق المحاكم والسجون لرأينا أنّ الكثير من هذه الجرائم معلولة لحالة الخيانة، وعندما ندرس ظاهرة كثرة الطلاق وحالة انحلال الأسر وتلاشي العوائل نرى أنّ الكثير من هذه الحالات يعود إلى خيانة أحد الزوجين بالنسبة للآخر.

وفي بعض الروايات إشارة لطيفة إلى هذا المعنى حيث يقول النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله): «لا تَزَالُ أُمَتِي بخَير ما تَحابُوا وَتَهادُّوا وَأدُّوا الأمانَةَ وَاجتَنَبُوا الحَرامَ وَوَقَّرُوا الضَّيفَ وَأقامُوا الصَّلاةَ وَآتوا الزَّكاةَ فإذا لَم يَفعَلُوا ذَلِكَ ابتلوا بالقَحطِ وَالسِّنِينَ»([1]).

وإنّ مفهوم الأمانة يمتد ويتسع ليشمل الموارد والمسائل العلمية، فإنّ تطور العلوم والمعارف البشرية كان بسبب وجود العلماء الذين كانوا يتحرّكون من موقع الأمانة والصدق في تحقيقاتهم ومطالعاتهم وتجاربهم العلمية فكانوا يقدّمون للآخرين ما اكتسبوه من تجارب ثمينة وعلوم جديدة بأمانة وصدق، وهذا هو الذي أدّى إلى التطور الحضاري والعلمي في عالمنا المعاصر في حين أنّه لو لم يكن أصل الأمانة في المطالعات العلمية فإنّ ذلك قد يفضي إلى التيه العلمي ويتسبب في إضلال الناس ووقوعهم في التخبط الثقافي والعلمي.

ونقرأ في هذا الصدد حديث عن الإمام الصادق(عليه السلام) يقول: «كُلُّ ذِي صَناعَه مُضطرٌّ إلى ثلاثِ خِلال يَجتَلِبُ بها المَكسَبَ وَهُوَ أنْ يَكُونَ حاذِقاً بعَمَلِهِ مُؤَدِّياً لِلأمانَةِ فيهِ، مُستَمِيلاً لَمَنْ أستعمله»([2]).

والجدير بالذكر أنّ الأمانة تدعو الإنسان إلى صدق الحديث أيضاً كما أنّ صدق الحديث يدعو الإنسان إلى الأمانة في الجهة المقابلة، لأنّ صدق الحديث نوع من الأمانة في القول، والأمانة نوع من الصدق في العمل، وعلى هذا الأساس فإنّ هاتين الصفتين يرتبطان بجذر مشترك ويعبّران عن وجهين لعملة واحدة، ولذلك ورد في الأحاديث الإسلامية عن أمير المؤمنين(عليه السلام) أنّه قال: «الأمانَةُ تُؤدِّي إلى الصِّدق»([3]).

---

(1) العسقلاني ،فتح الباري ،ج7،ص68

(2) المجلسي ، بحار الأنوار، ج9، ص115.

(2) السيّد حسين شيخ الإسلامي التويسركاني، هداية العلم في تنظيم غرر الحكم،قم ،1389،ص45

وفي حديث آخر عن هذا الإمام علي(عليه السلام) أيضاً أنّه قال: «إذا قويَتْ الأمانَةُ كَثُرَ الصّدقُ»([1]). و بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن خائن الأمانة سوف يعذب بسببها في النار، وسوف تكون عليه خزيا وندامة يوم القيامة، وسوف يأتي خائن الأمانة يوم القيامة مذلولا عليه الخزي والندامة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة)([2]) ويا لها من صفة وسط الخلائق تجعل المسلم يحرص دائمًا على الأمانة، فلا يغدر بأحد، ولا يخون أحدًا، ولا يغش أحدًا، ولا يفرط في حق الله عليه.

دوافع الأمانة والخيانة:

إنّ أغلب الأشخاص الذين يتحرّكون في سلوكياتهم من موقع الخيانة ويفضّلونها على الأمانة فأنّهم يعيشون ضيق الأفق في منافعهم ومصالحهم ويفكّرون في المنافع العاجلة فحسب، لأنّ الخيانة توفّر لهم في الكثير من الموارد هذه المنافع العاجلة وتحقق لهم بعض المصالح الفردية على حساب اهتزاز كرامتهم المعنوية ومن دون أن يتفكّروا في العواقب الوخيمة لهذا السلوك في المستقبل على المستوى الدنيوي والأخروي ومكانتهم الاجتماعية.

هؤلاء الأفراد يعيشون في سجن الحرص والطمع فلذلك قليلاً ما يفكّرون في عواقب الخيانة، لأنّ المنافع العاجلة حجبت أعينهم وعقولهم عن مشاهدة ما يترتب على ذلك من سلبيات كثيرة في المستقبل.

هؤلاء وبسبب ضعف الإيمان وعدم الالتفات إلى القدرة الإلهيّة المطلقة التي تكفّلت برزق الناس جميعاً ووعدت من يعيش الأمانة والصدق منهم بالثواب العاجل والآجل فإنّهم قد حجبوا بصيرتهم عن ذلك جميعاً وتحرّكوا من موقع التغافل عن الوجدان وعن تحذيرات الشرع وتورّطوا في شراك الخيانة وفخاخ الشيطان.

وعلى هذا الأساس يمكننا في هذا الصدد ذكر دوافع الخيانة فيما يلي:

1 ـ ضعف الإيمان واهتزاز العقيدة وعدم التوجّه إلى حالة التوحيد الأفعالي لله تعالى وحاكميته المطلقة على جميع الأشياء.

2 ـ غلبة الأهواء والشهوات وحبّ الدنيا.

3 ـ تسلّط حالة الحرص والطمع على الإنسان.

---

(1) المصدر نفسه.،ص45

(2)الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ،ج2،ص153

4 ـ عدم التفكّر في نتائج الخيانة في حركة الحياة المادية والمعنوية.

5 ـ ترك السعي المستمر والعمل الدؤوب لتحصيل المقاصد الدنيوية بطرق مشروعة وذلك بسبب التكاسل وحبّ الراحة وضعف الإرادة.

وعند الالتفات إلى هذه الأمور تتّضح النقطة المقابلة لها، وهي دوافع الأمانة وذلك:

إنّ الأمانة تنبع من الإيمان واليقين بقدرة الله تعالى وعلمه المطلق والاعتماد عليه في جميع الأمور.الأمانة تعدّ من معطيات العقل والتدبّر السليم والالتفات إلى عواقب الأمور ونتائج الأفعال.

الأمانة هي دليل على أنّ الإنسان يعيش الواقع الحاضر ويرى حقائق الأمور ويترك الخوض في الأوهام والخرافات والتصورات الزائفة.

الأمانة تنبع من شخصية الإنسان السامية وتمثّل نتيجة لحالة التفاني والتعالي في الروح الإنسانية، لأنّ مثل هذا الإنسان لا يكون مستعداً لأن يبيع شخصيته ووجدانه لتحصيل المال والمقام وزخارف الدنيا عن طريق الخيانة.

وبكلمة واحدة فإنّ الأمانة وليدة الفهم والشعور والعقل والإيمان والإخلاص وأصالة الشخصية، وأحياناً يكون الفقر والظلم عاملان من عوامل الخيانة، فمن لا يحصل على حقوقه المشروعة في المجتمع من الطرق الصحيحة ويقع تحت طائلة الفقر والعوز فإنّه قد يؤدّي به إلى التلّوث بالخيانة، ولهذا نرى أن التعاليم الدينية أكّدت على أن يموّل القاضي من بيت المال بشكل تام كي يحفظ أمانته في القضاء بين الناس، ونقرأ في عهد الإمام علي أمير المؤمنين(عليه السلام)لمالك الأشتر أنّه يقول: «وأفسح لَهُ فِي البَذلِ ما يُزيلُ عِلَّتَهُ، وَتَقِلُّ مَعَهُ حاجَتُهُ إلَى النَّاس، وَأعطِهِ مِنَ المَنزلَةِ لَديكَ ما لا يَطمَعُ فِيهِ غَيرُهُ مِنْ خاصَّتِكَ لِيأمَنَ بذلِكَ اغتيال الرِّجالَ لَهُ عِندَكَ فانظُر فِي ذلِكَ نَظراً بَلِيغاً»([1]).

ونختم هذا البحث بحديث مهم عن الإمام الصادق(عليه السلام) في هذا الصدد يشير فيه إلى مصادر الخيانة المتنوعة ويوصي بالتوجّه إليها لحفظ الأمانة في واقع الإنسان والمجتمع فيقول: «مَنْ أُؤتُمِنَ عَلى أمانَة فَأدّاها فقد حَلَّ ألفَ عُقدَة مِنْ عُقَدِ النّار، فَبادِرُوا بأداءِ الأمانَةِ، فَإنَّ مَنْ أُؤتِمِنَ عَلى أمانَة وَكَّلَ بهِ إبلِيسَ مِائة شَيطان مِنْ مَردَةِ أعوانِهِ لِيُضِلُّوهُ وَيُوسوِسُوا إلَيهِ حتّى يُهلِكُوه إلاّ مَنْ عَصَمَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ»([2]).

---

(1)ابن أبي الحديد، نهج البلاغة ، الرسالة 53
(2) المجلسي، بحار الأنوار، ج8، ص114.

طرق الوقاية والعلاج:

إنّ تعميق روح الأمانة في أفراد المجتمع والوقاية من الخيانة لا يتسنى إلاّ في ظل التقوى والإيمان والالتزام الديني والأخلاقي، لأنّه كما تقدّم في الأبحاث السابقة أنّ أحد جذور الخيانة هو الشرك وعدم الاعتقاد الكامل بقدرة الله تعالى ورزقه، ولهذا فالأشخاص الذين يعيشون ضعف الإيمان ويتصوّرون أنّهم سوف يعيشون الفقر في حالة تحلّيهم بالأمانة والصدق وأنّهم سوف لا يحصلون على ما يحتاجونه إلاّ بواسطة الخيانة يكبلون أنفسهم بطوق الخيانة، ولكن عندما يتحرّكون من موقع تقوية دعائم الإيمان في قلوبهم وتعميق حالة التوكّل والاعتماد على الله تعالى والثقة بوعده، فانّ ذلك يتسبب في تصحيح مسارهم في عملية الوصول وتحصيل مواهب الحياة.

ومن جهة أخرى فبما أنّ أحد العوامل المهمّة للخيانة هي الحاجة فأذن لابدّ للإنسان من تدبير حاجاته وحاجات من يلوذ به المعقولة والمشروعة بصورة حسنة لئلاّ يضطرّ إلى كسر قيود الأمانة والتلّوث بالخيانة بدافع من حاجاته المادية والنفسانية.

ومن جهة ثالثة فانّ من الأسباب والعوامل المهمّة في الوقاية من التورط بالخيانة هو التفكّر في عواقبها الوخيمة في الدنيا والآخرة وما يترتب عليها من فضيحة وحرمان وزوال الثقة وماء الوجه أمام الخلق والخالق وبالتالي الابتلاء بالفقر المزمن الذي سعى إلى الفرار منه بارتكاب الخيانة، ومن المعلوم أنّ التأمل في هذه النتائج والإفرازات السلبية لسلوك طريق الخيانة سوف يضعف الدافع في الإنسان لارتكابها.

عندما يتأمل الشخص نصيحة لقمان لابنه على مستوى بيان معطيات الأمانة حيث يقول: «لَكَ الدُّنيا وَآخِرَتُكَ وَكُنْ أَمِيناً تَكُن غَنِيّاً يا بُنَيَّ أَدِّ الأَمانَةَ تَسلَمُ»([1]).

فعندها يعيش الشوق في وجوده نحو تحصيل هذه الفضيلة الأخلاقية أي الأمانة ويجتنب التحرّك في خط الخيانة، ولو تأملنا كذلك كلام أمير المؤمنين(عليه السلام)حيث يقول: «رَأسُ الكُفرِ الخِيانَةُ»([2]).

ويقول في مكان آخر: «رَأسُ النِّفاقِ الخِيانَةُ»([3]).

ويقول أيضاً في حديث آخر: «جانِبِ الخِيانَةَ فإنَّها مُجانِبَةِ الإسلامِ»([4])

---

(1)الخازن هو عبد الرحمن أبو جعفر ألخازني(ت،1155م)، ميزان الحكمة، ج1، و طبعه ونشره السيد فؤاد جميعان ،ص215 ،
(2) التويسركاني ،ص34

(3) المصدر نفسه،ص45
(4) المصدر نفسه.،ص46

فعندها يسيطر عليه الخوف من الخيانة ويدرك عظمة هذا الذنب الكبير الذي يساوق في إثمه وابتعاده عن الله تعالى والإسلام الكفر والنفاق، وحينئذ سيتحرّك بعيداً عن ممارسة الخيانة أوالتفكير بها.

وإذا أردنا أن نتعمّق في خطر الخيانة وشؤمها فلنستمع إلى الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله)في حديثه المثير عن بعض عناصر الشر وعوامل الانحراف حيث يقول: «خَرَبَ وَلَم يَعمُرْ بالبَرَكَةِ الخِيانَةِ والسَّرقةُ وَشُربُ أربَعٌ لا تَدخُل بَيتاً واحُدَة مِنهُنَّ إلاّ الخَمر والزِّنـا»[1].

ومن المعلوم أنّ المجتمع الذي يعيش أحد هذه العناصر الأربعة أو كلّها فانّه يكون مصداقاً لهذا الحكم النبوي وسوف يخلو من البركة وبالتالي يصيبه الدمار والاندثار.

ومن الملفت للنظر إن الشخص الأمين يجب أن لا يخون الأمانة، فكذلك المودع للأمانة وصاحب المال يجب أن يكون ذكيّاً ولا يودع أمانته عند أي شخص كان، فإذا وضع أمانته تحت تصرّف شخص سيء السمعة ثمّ خانه هذا الشخص فعليه أن يلوم نفسه كما ورد في الحديث الشريف عن النبي الأكرم أنّه قال: من ائتمن غير أمين فليس له »[2] «على الله ضمان لأنّه قد نهاه أن يأتمنه

ويقول الإمام الباقر(عليه السلام): «من ائتمن فاجر لم يزل يغزوه جيش من الملائكة حتى يؤدي الأمانة التي ائتمن عليها»[3].

وعلي هذا الأساس يجب على جميع الإداريين وأصحاب المسؤوليّات في المجتمع الإسلامي أن يكونوا على درجة من الذكاء والحنكة ولا يضعوا أمور الناس والمناصب الحسّاسة في الحكومة والتي هي أهم أمانة إلهيّة بيدهم .

---

(1) المجلسي ،بحار الأنوار، ج9، ص125.

(2)الهمذاني ،أبي شجاع شيرويه (ت509هـ)الفردوس بمأثور الخطاب ،تحقيق ،السعيد بن بسيوني زغلول ،ج5، دار الكتب العلمية ،بيروت ،1986،ج3،ص653

(3) المجلسي ،بحار الأنوار ،ج2 ،ص35

الفصل الثالث
خيانة الأمانة في التاريخ والتراث العربي

المبحث الأول :بعض صور الأمانة و الخيانة في التاريخ
المبحث الثاني :خيانة الامانه في التراث العربي الإسلامي
المبحث الثالث: رسائل تراثية في الأخلاق و الحث على الأمانة ونبذ الخيانة

المبحث الأول: بعض صور الأمانة والخيانة في التاريخ العربي

لقد أثارت شخصيات تاريخية معروفة اهتمام المؤرخين القدماء والمحدثين فوصفهم القدامى بالخيانة وظلت سمعتهم مقرونة بالخيانة وبعض الشخصيات وصفت بالأمانة والجهاد والبطولة ووصفها مؤرخون بالخيانة وانطلاقا من هذا التناقض والمفارقة ،اختار الباحث شخصيتين مهمتين وتعامل معهما بنظرة حيادية علمية لتبيان خيانتهم أو براءتهم وترك للتاريخ ليكون الحكم الفصل في برائتهم أو خيانتهم هذا من جانب ومن جانب أخر فان الباحث ينقل أراء المؤرخين في هاتين الشخصيتين وفق رؤية موضوعية حيادية .

أولا- ابن العَلْقمي (593 هـ 656 هـ/ 1197هـ - 1258 م)
(أبو محمد بن محمد بن أحمد بن على، أبو طالب البغدادي)

تسليم بغداد الى هولاكو بعد خيانة ابن العلقمي

معظم المؤرخين للعصر العباسي الأخير اتهموا بن العلقمي بتسليم بغداد الى هولاكو فهل ابن العلقمي كان خائنا للأمانة ، قبل أن نسترسل في ذلك لابد أن تتعرف على هذه الشخصية .

من هو ابن العلقمي؟

ابن العلقمي : قال خير الدين الزركلي في كتاب الأعلام([1]): "ابن العَلْقمي (593 - 656 هـ/ 1197 - 1258 م) محمد بن أحمد أبو محمد بن محمد بن أحمد بن علي، أبو طالب، مؤيد الدين الأسدي البغدادي، المعروف بابن العلقمي: وزير المستعصم العباسي. وصاحب الأعمال في ممالأة "هولاكو" على غزو بغداد، في رواية أكثر المؤرخين .

اشتغل ابن العلقمي في صباه بالأدب. وارتقى الى رتبة الوزارة (سنة 642) فوليها أربعة عشر عاماً. ووثق به "المستعصم" فألقى إليه زمام أموره. وكان حازماً خبيراً بسياسة الملك، كاتباً فصيح الإنشاء. اشتملت خزانته على عشرة آلاف مجلد، وصنف له الصّنعاني "العُباب" وصنف له ابن أبي الحديد "شرح نهج البلاغة وقال عنه ابن أبي الحديد في مقدمته على (شرح النهج) : " المولى الوزير الأعظم الصاحب ، الصدر الكبير المعظم العالم العادل المظفر المنصور المجاهد المرابط مؤيد الدين عضد الإسلام سيد وزراء الشرق والغرب أبي طالب محمد بن أحمد بن محمد العلقمي نصير أمير المؤمنين " ([2]) .

فقد ذكر ابن الطقطقى الوزير ابن العلقمي في كتابه (الفخري) : " اشتغل في صباه بالأدب ففاق فيه وكتب خطا مليحا واسترسل استرسالاً فصيحاً ، وكان لبيبا كريما رئيسا متمسكا بقوانين الرئاسة خبيرا بأدوات السياسة ، محبا للأدب مقربا لأهل العلم اقتنى كتبا كثيرة نفيسة ([3])

"ونفى عنه بعض المؤرخين خبر المخامرة على المستعصم حين أغار هولاكو على بغداد (سنة 656هـ) واتفق أكثرهم على أنه مالأه، وولى له هولاكو الوزارة مدةً قصيرة، ومات ودُفن في مشهد موسى بن جعفر بالكاظمية ببغداد،وخلّفه في الوزارة (عند هولاكو) ابنه عز الدين "محمد بن محمد بن أحمد" وهناك روايات، بأن مؤيد الدين أهين على أيدي التتار، بعد دخولهم، ومات غماً في قِلّة وذِلّة".([4])

---

(1)الزر كلي ،خير الدين الإعلام ،ج3، ط3 ، بيروت ،1396، 45،1976

(1) ابن أبي الحديد ، مقدمة شرح نهج البلاغة،ص4
(2) ابن الطقطقي ،محمد بن علي بن طباطبا(ت709هـ) الفخري في الآداب السلطانية ،المطبعة الرحمانية ،(القاهرة ،1927م) ص295

(4) المصدر نفسه ج3،ص44.

أما النصير الطوسي : محمد بن عبد الله الطوسي كان يقال له المولى نصير الدين ، اشتغل في شبيبته وحصل علم الأوائل جيدا وصنف في ذلك علم الكلام ، وشرح الإشارات لابن سينا ، ووزر لأصحاب قلاع الموت من الإسماعيلية ، ثم وزر لهولاكو ، وكان معه في واقعة بغداد ، ومن الناس من يزعم أنه أشار على هولاكو خان بقتل الخليفة فالله أعلم ، بينما يشير ابن كثير: انه كان عاقلا فاضلا كريم الأخلاق ... " ([1]) .

فبين ابن كثير بالثني عليه ولا يتهمه بل يستبعد أن يصدر منه مساندة للتتار ، وشهادة ابن كثير بأن ذلك " لا يصدر من عاقل فاضل مثله " .

فينبغي أن نقرا هذه الشهادة من ابن كثير في حق الشيخ نصير الدين الطوسي قبل أن يجعل تاريخه مرجعا للقارئ ودليلا على اتهام للشيخ .

و أشار الذهبي يذكر الواقعة ولا يشير إلى دور لنصير الدين الطوسي في الأمر قال في (العبر) : " كان المؤيد ابن العلقمي قد كاتب التتار وحرضهم على قصد بغداد " ([2]) .

بل تجده يستفيد من موقعه لإنقاذ النفوس من بطش هولاكو نقل الصفدي في (الوافي) : " ومن دهائه ما حكي لي أنه حصل له ـ هولاكو ـ غضب على علاء الدين الجويني صاحب الديوان فيما أظن فأمر بقتله فجاء أخوه إليه وذكر له ذلك وطلب منه إبطال ذلك فقال : هذا القان وهؤلاء القوم إذا أمروا بأمر ما يمكن رده خصوصا إذا برز إلى الخارج ، فقال : لا بد من حيلة في ذلك ... " ([3])

فذكر حيلة نصير الطوسي في إنقاذ الجويني من الموت . أما ابن العلقمي فليس من علماء احد الذاهب وإنما كان وزيراً للمستعصم آخر خلفاء بني العباس أديبا محبا للعلماء ، واختلفت كلمات المؤرخين واضطربت آراؤهم في دوره في واقعة بغداد وقتل المستعصم فقد قال أبو الفداء في تاريخه([4])

اتهم ابن العلقمي بالخيانة من قبل بعض مؤرخي عصره ومعاصيريهم فاستغل منصبهُ ، وغفلة الخليفةِ لتنفيذِ مؤامراتهِ ضد دولةِ الخلافةِ ، وكانت خيوطُ مؤامراتهِ تتمثلُ في ثلاثِ مراحلٍ : وسوف ندرج ذلك

---

(1)ابن كثير،إسماعيل بن كثير القرشي أبو الفدا ،(ت774هـ)ر، البداية والنهاية -،مكتبة المعارف ،بيروت،بلا ، ج13 ص201

(2)الذهبي ،محمد بن احمد بن عثمان (ت748) العبر في خبر من غبر ،تحقيق صلاح الدين المنجد ،مطبعة حكومة الكويت ،الكويت 1948 ،ط2، ج3 ص277

(3)الصفدي ،خليل بن أبيك (ت 764هـ ، 1362م) الوافي بالوفيات ،تحقيق محمد بن محمد ومحمد إبراهيم ،بيروت ،مطبعة دار النشر ،ط2 ، 1381هـ ، 1961م، ج1 ص112

(4) أبو الفدا ء ، عماد الدين إسماعيل بن علي (ت732هـ ،1331م) المختصر في إخبار البشر ،بيروت ،مطبعة دار الكتاب ،1381هـ ،1961 ج2،ص43

المرحلةُ الأولى : إضعافُ الجيشِ ، ومضايقةُ الناسِ .. حيثُ سعى في قطعِ أرزاقِ عسكرِ المسلمين ، وضعفتهم :قالَ ابنُ كثيرٍ : " وكان الوزيرُ ابنُ العلقمي يجتهدُ في صرفِ الجيوشِ ، وإسقاطِ اسمهم من الديوانِ ، فكانت العساكرُ في أخرِ أيامِ المستنصرِ قريباً من مائةِ ألفِ مقاتلٍ .. فلم يزلْ يجتهُد في تقليلهم ، إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف ([1])"

المرحلةُ الثانيةُ : مكاتبةُ التتارِ : يقولُ ابنُ كثيرٍ : " ثم كاتب التتارَ ، وأطمعهم في أخذِ البلادِ ، وسهل عليهم ذلك ، وحكى لهم حقيقةَ الحالِ ، وكشف لهم ضعفَ الرجالِ "([2])

المرحلةُ الثالثةُ : النهي عن قتالِ التتارِ ، وتثبيط الخليفةِ والناسِ :فقد نهى العامةَ عن قتالِهم وأوهم الخليفةَ وحاشيتهُ أن ملكَ التتارِ يريدُ مصالحتهم ، وأشار على الخليفةِ بالخروج إليهِ ، والمثولِ بين يديهِ لتقع المصالحةُ على أن يكونَ نصفُ خراج العراق لهم ، ونصفهُ للخليفةِ ، فخرج الخليفةُ إليهِ في سبعمائةِ راكبٍ من القضاةِ والفقهاءِ والأمراءِ والأعيانِ .. فتم بهذهِ الحيلةِ قتلُ الخليفةِ ومن معهُ من قوادِ الأمةِ وطلائعها بدونِ أي جهدٍ من التتر ، وقد أشار بعض المذاهب و غيرهم من المنافقين على هولاكو أن لا يصالحَ الخليفة ، وقال الوزيرُ ابنُ العلقمي : متى وقع الصلحُ على المناصفةِ لا يستمرُ هذا إلا عاماً أو عامين ، ثم يعودُ الأمرُ إلى ما كان عليه قبل ذلك ، وحسنوا له قتلَ الخليفةِ ، ويقال إن الذي أشار بقتلهِ الوزيرُ ابنُ العلقمي ، ونصيرُ الدين الطوسي (وكان النصيرُ عند هولاكو قد استصحبهُ في خدمتهُ لما فتح قلاعَ الألموت، وانتزعها من أيدي الإسماعيليةِ([3])

ثم مالوا على البلدِ فقتلوا جميعَ من قدروا عليه من الرجالِ والنساءِ والمشايخ والكهولِ والشبانِ ، ولم ينج منهم أحدٌ سوى أهل الذمةِ من اليهودِ والنصارى ، ومن التجأ إليهم ، وإلى دار الوزير ابن العلقمي

وقد قتلوا من المسلمين ما يقالُ إنهُ بضعةَ عشر ألفِ إنسانٍ أو أكثر أو أقل ، ولم يُر في الإسلامِ ملحمةٌ مثلَ ملحمةِ التركِ الكفارِ المسمين بالتتر ، وقتلوا الهاشميين ، وسبوا نساءهم من العباسيين وغير العباسيين ، فهل يكونُ موالياً لآلِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم من يسلطُ الكفارَ على قتلهم وسبيهم وعلى سائر المسلمين ؟

وقتل الخطباءُ والأئمةُ وحملةُ القرآنِ وتعطلت المساجدُ والجماعاتُ والجمعاتُ مدة شهورٍ ببغداد ([4])

و أزالَ نعمتهُ عنه وقصف عمره بعد شهورٍ يسيرةٍ من هذه الحادثةِ ، وأتبعه بولدهِ "([5])

هذه قصةُ ابنِ العلقمي أوردتها معظمُ كتبِ التاريخ ([6]) .

---

(1) ابن كثير ،البداية والنهاية ،ج 13،ص202 .
(2)المصدر نفسه ،ج31،ص202
(3)المصدر نفسه ،ج 13 ،ص201
(1) ابن كثير،البداية والنهاية : ج13 ،ص 203
(2) المصدر نفسه ، : ج13 ، 202 - 203 .
(3) انظر أيضاً في قصة تآمره : ابن شاكر الكتبي، محمد (ت764هـ ،1362) فوات الوفيات ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت لبنان ،مطبعة دار صادر، ج 2 ،ص 313، الذهبي ، العبر في خبر من غبر ،ج 5 ،ص225 ،

تبرئة ابن العلقمي

أصدر أستاذ التاريخ الإسلامي والدراسات الشرقية بكلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض الدكتور سعد بن حذيفة الغامدي دراسة موسعة عنونها بـ : " سقوط الدولة العباسية ودور الشيعة بين الحقيقة والإتهام " عن دار ابن حذيفة – نسف من خلالها ما أثير من خيانات وأهمية هل كان هولاكو محتاجاً إلى المساعدة، حتى نقبل أنهم كانوا أحد العوامل التي أدت إلى سقوط بغداد ؟ " في الحقيقة لم يكن هولاكو محتاجاً إلى مساعدة من أي فرد، لذلك فإننا نجد – كما

يظهر لنا- أنه من غير المحتمل، أن لم يكن من المستحيل، أن يكون لهذه الطائفة من المسلمين أي دور فعال، سواء من داخل أو من خارج بغداد، في هجوم المغول ضد العاصمة العباسية، بغداد، و ابين لقد اخطاء الغامدي عندما ربط سلوك ابن العلقمي مع المغول بانه يمثل توجه الشيعة في بغداد في مساندة هولاكو قبل دخوله بغداد و بعده " ([1]). ولم تثبت تلك المصادر أن البغداديون الساكنين صوب الكرخ لم يشاركوا في الدفاع عن بغداد أبان الحصار المغولي لهذه المدينة ومع ذلك فإنهم لم يشاركوا في الحرب ضد المغول أو أنهم ابدوا تحفظاً أو عدم تحمس في قتال المغول " ثم يردف الدكتور الغامدي قائلاً مع أنهم كانوا ممتعضين من الخلافة وجيشها المكون من مماليكها الذين يقوم بإدارة شؤونه وقيادته مملوك تركي (الداور دار الصغير) الذي هاجم احيائهم السكنية فسلبها المماليك وقتلوا أهلها وهتكوا أعراض النساء قبل أقل من سنتين كل ذلك بأوامر من قائدهم أيبك الداور دار . تلك التهم التي وجهها لهم المؤرخون وجدت لها صدى في كتبهم التاريخية على وجه الخصوص ويدلل المؤلف على بطلان هذه الأقوال بأنه لو كان الشيعة أعوان للمغول إذاً " لماذا أقدم المغول على اقتحام جميع الإحياء السكنية ، لإتباع المذهب الشيعي في داخل بغداد وما تلاه من أعمال بشعة أرتكبها الغزاة المغول في حقهم وبهذه الطريقة ذبح أهلها دون تمييز بنفس الطريقة التي عومل بها بقية المسلمين داخل تلك المدينة المنكوبة "([2]) هذه وجهة نظر الدكتور سعد الغامدي في موضوع شائك ومعقد نترك ذلك الرأي والقرار للقارئ الكريم .

ثم يناقش الدكتور بحسب ما توصل إليه من خلال دراسة المصادر والوثائق التاريخية جوهر التهمة وتحديداً فيما ينسب للوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي فيقول "الذي يبدو لنا ـ والكلام للمؤلف ـ هو : أن هذه الاتهامات ضد ابن العلقمي وما الصق به من أمور الخيانة و التشهير به ما هي إلا نتيجة لذلك العداء المستحكم الذي كان يسود

---

(1)سعد بن حذيفة الغامدي، سقوط الدولة العباسية ودور الشيعة بين الحقيقة والاتهام " ، دار ابن حذيفة – الرياض ، السعودية ، ص332

(2) المرجع نفسه ،ص333

العلاقات بين هذا الوزير و الداور دار الصغير وأنها لم تكن إلا اتهامات مضادة قام بتوجيهها الأخير ضد خصمة الوزير والسبب في ذلك هو أن ابن العلقمي و الداور دار الصغير كانا متنافسين كما إن الأول قد سبق واتهم الأخير بأنه كان يخطط للثورة ضد الخليفة المستعصم للإطاحة به ومن ثم تنصيب ابنه الأكبر أبو العباس في مكانه على كرسي الخلافة ([1]) وهكذا أضاف المؤرخون وزادوا نتيجة الروح الطائفية المستحكمة .. أن سلوك الطوسي أو ابن العلقمي في حقيقة الأمر لايمثل رأي جميع الشيعة إنما هو سلوك فردي أو مجموعة من الإفراد .

النقطة الأخرى التي يناقشها الدكتور الغامدي هي الاتهام بأن الوزير ابن العلقمي حمل مسؤولية تسريح مائة وعشرين ألف جندي من جيش الخلافة من الخدمة العسكرية كما أشيع لدى المؤرخين بان الوزير استطاع إقناع المستعصم بزوال خطر المغول .

و من التهم الأخرى التي وجهت لابن العلقمي هي انه عندما أراد حسام الدين بن عكا الثورة ضد المغول وشى ابن العلقمي لذلك عند المغول يقول المؤلف :

يظهر لنا بجلاء واضح من الروايات التي أوردت لنا الكيفية التي تمت بموجبها المراسلات المزعومة بين الوزير ابن العلقمي والمغول ممثلين بقائد حملتهم هولاكو خان إن هذه المسألة هي إلى الأسطورة المختلقة أقرب منها إلى الحقيقة والواقع .

ويثبت الدكتور الغامدي من خلال تناقض الروايات سواء التي ذكرت انه حلق رأس جندي وكتب على رأسه الرسالة بالصبغ ثم انتظر حتى يكبر شعره ويرسله لهولاكو أو التي ذكرت أن هولاكو انتحل شخصية تاجر وأتى لبغداد دون أن يقبض عليه أحد ويمكن إثبات ذلك من خلال أن أغلب المراجع التي تقدح في الوزير ابن العلقمي بدافع طائفي وليس علمي ليس إلا كالجوزجاني في الطبقات وأبو شامه في التراجم وابن الساعي في المختصر واليونيني في ذيل مرآة الزمان وابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات والذهبي في تاريخه وغيره كثير كثر كل أولئك كتبوا هذه الإشاعة وزاد عليها كل مؤرخ ما يحلو له واعتمدها المؤرخ ابن العميد المسيحي في مصر الذي لم يشهد الواقعة بل نقلها في كتابه المخطوط أخبار الأيوبيين ورقة 261 ولحق هؤلاء المستشرقون في ذكر هذه التهمة كما ذهب لذلك رافرتي بينما دافع عنه المؤرخون الشيعة ([2]) وآخرون غيرهم .

ويثبت المؤلف حجم التناقض في الروايات التي أشار فيها ابن العلقمي على الخليفة بوجوب تلطيف الأجواء مع هولاكو لكي يأمن شره ومن ذلك ما أورده رشيد الدين ([3]) في معرض دفاعه عن الوزير العلقمي فمرة يذكر أن الوزير خاطب الخليفة في رده عليه قائلاً :يظنون أن الأمر سهل وإنما هو السيف حدثت للقاء مضاربه. إن الدكتور سعد الغامدي وهو يتحدث وفق الوثائق التاريخية التي تدعم رأيه بهذا الموضوع الحيوي والحساس في التاريخ العربي الإسلامي فان الباحث يظل على الحياد

---

(1) المرجع نفسه ،ص 334

(1) كابن الطقطقي في الآداب السلطانية ص 338، رشيد الدين فضل الله (ت718هـ)، جامع التواريخ (فارسي معرب)، القاهرة ،1960 ج2 ص 699 وعباس إقبال في تاريخ مفصل إيران،1480م ج1 ص 187

(3) فضل الله ،جامع التواريخ ج2 ص 712

والموضوعية في رأي الدكتور سعد الغامدي وهذه مهمة الناقد التاريخي حينما يتناول قضية صعبة مثل تلك القضايا .
و التهمة الأخيرة لابن العلقمي انه المسؤول عن غرق جيش الخليفة حينما خرج لمقابلة المغول في معركة الانبار حيث اتهم ابن العلقمي بأنه أرسل أصحابه لتكسير السدود والحواجز المائية .
وبالنسبة لاتهام ابن العلقمي فلا يمكن لأي شخص أن يكون عادلاً أو منصفاً في حكمه ما لم يكن ذلك المرء على علم تام بعدة حقائق ومن هذه الحقائق ما يتعلق بالعوامل الخارجية واعني بذلك حقيقة المغول وسياستهم تجاه الشعوب ثم نظرتهم العامة للعالم وبتاريخهم وفتوحاتهم ثم على علم ولو كان بسيطاً عن كيفية تعاملهم مع الآخرين ومن هذه الحقائق (اعني الوزير) شخصية الوزير ذاته ثم علاقته بسيده والأسرة التي يخدمها ثم علاقته مع زملائه ومنافسيه ثم مدى فعالية وإمكانية الوزير لو قلنا بقول المتهمين في نجاح حملة هولاكو تلك أما أن يصدر المرء حكمه لمجرد قراءة قرأها في مصدر تاريخي معين ذي ميول

واتجاهات تمليها أهداف أو مذاهب معينة دون تمحيص أو تدقيق أو أخذ الرواية على علاتها فالإجابة على هذا خارجة عن نطاق البحث العلمي .
إن رد الدكتور سعد الغامدي في هذا التهمة هو أن المؤرخين الذين اتهموا الوزير ابن العلقمي وعلى رأسهم الجوزجاني كانوا مؤرخين متطرفين فقد وجهوا إليه تلك التهم بدافع التعصب المذهبي تمليه حوافز عدوانية وعواطف تحاملية يكنونها تجاه هذا الوزير ، أن رأي الباحث من الناحية التاريخية يحتاج إلى تأمل كبير والى معايير دقيقة للحكم على تلك الآراء سواء أراء الدكتور سعد الغامدي أو رأي المؤرخين السابقين .

مؤيدات أخرى

1 – امتداح ابن الجوزي الوزير ابن العلقمي بوصفه انه رجلاً ورعاً تقياً مستقيما وأنه قارئ لكتاب الله "([1]) .
2 – يبدوا انه من غير المحتمل إذ لم يكن من المستحيل أن يذهب الوزير الى ذلك الحد من التطرف لان المغول سيقضوا على الخليفة وعلى كل المنافسين بما فيهم الوزير على حد سواء .
3 – ما ورد لدى المؤرخين لم يكن من مؤرخين عراقيين معاصرين فالمؤرخ الجوزجاني كان يعيش في الهند في دلهي وأبي شامه صاحب الذيل على الروضتين كان يعيش بدمشق ولا يوجد شاهد عيان يؤكد ما لدينا من آراء .
4 – حملة المغول العسكرية كانت مقررة على بغداد كما هي على كل العالم سواء افترضنا التنسيق المسبق للوزير أم لم نفترض .

---

(1) سبط ابن الجوزي، شمس الدين ، ابو المظفر يوسف (ت654هـ) مرآة الزمان في تاريخ الاعيان (حيدر أباد ،1951) ج2 ص 747

5 – لم يفرق المغول في التنكيل بين العراقيين حسب مذاهبهم أثناء الهجوم على بغداد فقد قتلوا الجميع ونكلوا بهم .
6 - كان الوزير على ثقة ويقين بعدم مقدرة الخلافة العباسية عن القيام بأي دفاع عن أي قوة مهاجمة فما بالكم بقوة عمالقة لم تكن بحاجة لأكثر من خمس سنوات لتحطيم الصين فما بالنا بـ 38 عام كانت فيها المناوشات تتجدد على بغداد ولا ضير في أن يكون لابن العلقمي رأي في ضرورة تهدئة قواعد اللعبة مع المغول لكي يأمن شرهم وهذا لا يعني الخيانة البتة .
7 – طلب هولاكو بعد وصوله لمنطقة همدان مقابلة الخليفة المستعصم أو أي من وزراءه ولم يكن هولاكو يفرق بين الوزراء حسب مذاهبهم وذات المستعصم توسل لابن العلقمي ان يخرج لهولاكو ليعرف مطالبه فقبل ابن العلقمي ولم يقبل الدواة دار وسليمان شاه بل عاندا ولم يستجيبا لرأي الخليفة لعله يخفف من تطرف هولاكو ويرحم سكان بغداد .
8 – الوزير ابن العلقمي خدم الدولة العباسية ثلث قرن واخلص في خدمتها 626-642هـ وخلال هذه الفترة لم يتعرض ابن العلقمي لأي اتهام البتة .
9 - ثم أن تهديد المغول لم يكن بالشيء الجديد فقد تعرضت بغداد لتهديد سابق أيام الإطاحة بالسلطان محمد خوارزم شاه ثم مجيء جلال الدين خوارزم الذي حال دون تقدم المغول سنة 629 هـ ثم فترة حكم المستنصر وهنا ما معنى اتهام الوزير في هذه الفترة بالذات لماذا لم يقم الوزير خلال كل تلك الحقب بالتعاون مع المغول ([1]).
ويخلص الباحث إلى نتيجة مفادها على المرء قبل أن يصدر حكمه في مسألة مثل هذه أن يأخذ في الحسبان اعتبارات عدة :
1 – دراسة الأساس الذي بنيت عليه هذه المسألة .
2 – التحري عن القائل (عن ميوله الكتابية والمذهبية) .
3 – الشخصية التي يعالج أمرها .
4 – دراسة الأوضاع الداخلية والخارجية وحيثيات الموضوع من جميع جوانبه .
لابد من الإشارة إلى أن رأي الدكتور سعد الغامدي يمثل مرجعا حديثا وهو يمثل في الوقت ذاته رأيهُ الشخصي في قضية شائكة تحتاج إلى الرؤية التاريخية الشمولية لكل المتغيرات التي أحاطت بهذا الموضوع ومن ثمة إصدار الإحكام و لما ورد أعلاه لا بد أن يبين الباحث إن التذرع باختلاق الفتن الطائفية و المذهبية و تحميل الحاضر وزر الماضيين هو من اكبر الأسباب الداعية لإشغال المسلمين و الإنسانية ككل عن خلق الوحدة الوطنية المتماسكة بتجاوز المسلمين على اختلاف مذاهبهم أسباب الفرقة و التطاحن التي مل منها الإنسان الحاضر الساعي الى التقدم و البحث عن الأنصاف و ينشغلوا في بناء الحاضر و المستقبل و البحث عن أسباب التآلف و التسامح و العمل سوية لدرء المخاطر المحدقة في البلاد الإسلامية و بالإنسانية ككل .

---

(1) الدكتور سعد بن حذيفة الغامدي، سقوط الدولة العباسية ودور الشيعة بين الحقيقة والاتهام " ، دار ابن حذيفة – الرياض ، السعودية ، ص336

صلاح الدين الأيوبي و الخيانة

قبل أن نبحث في موضوع خيانة الأمانة عند صلاح الدين الأيوبي لابد من نبذه تعريفية له .

هو يوسف بن أيوب بن شادي بن مروان الأيوبي المشهور بـ صلاح الدين الأيوبي (ولد 1138 -1193 م) في تكريت, العراق هو مؤسس الدولة الأيوبية في مصر و الشام وأطراف العراق و تركيا لقب نفسه بعدما أصبح سلطان مصر بالناصر لدين الله.

إن دراسة شخصية القائد صلاح الدين الأيوبي، وما يتمتع به من مكانة تاريخية ألا أن هناك بعض الملاحظات الهامة، التي لا ينبغي إغفالها لمن يريد أن يستكمل الصورة الحقيقية لهذه الأسطورة.

خيانة صلاح الدين بأولياء نعمته

أولاً- خيانته للخليفة الفاطمي العاضد:

يقول السيد حسن الأمين: في عام 564هـ كان الصليبيون يهددون مصر (الفاطمية) ويتحفزون للوثوب عليها، بعد أن خبروا أحوالها قبل ذلك في أحداث ليس هنا مكان سرد تفاصيلها، فرأى الخليفة الفاطمي (العاضد)، أن لا قبل لمصر بمدافعة الصليبيين، لكثافة قواهم وتفوقها على القوى المصرية، مُصَمم على الاستنجاد بالقوى الإسلامية خارج مصر، مهما كان في هذا الاستنجاد من مخاطر عليه وعلى أسرته([1]).

ورأى أن أقرب القوى إليه هي في الشام، وفيها نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي، وكان الصليبيون زحفوا على عسقلان، حتى وصلوا إلى بلبيس فاحتلوها وفتكوا بأهلها، ثم اتجهوا إلى القاهرة وحاصروها، فتقرر إحراق مدينة الفسطاط المتصلة بالقاهرة، خوفاً عليها من الصليبيين، فأحرقت وظلت النار تعمل فيها أربعة وخمسين يوماً، ولعوامل عديدة، فك الصليبيون الحصار عن القاهرة وعادوا من حيث أتوا، ولكن الخطر مازال جاثماً، فكرر العاضد الاستنجاد بنور الدين، وأرسل في كتب الاستنجاد شعور النساء وقال له: (هذه شعور نسائي من قصري يستغثن بك لتنقذهنّ من

(1) حسن ألامين ،صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين،ط2،ج1،دار الجديد ،2000،بلا ،ص34

الفرنج)([1]).ولم يكتفِ، بل بذل له ثلث بلاد مصر، وأن يكون قائد النجدة مقيماً عنده في عسكره، وأن يقطعه خارجاً عن الثلث الذي لنور الدين.فقرر نور الدين تلبية الطلب، فأرسل حملة مؤلفة من ثمانية آلاف فارس، بقيادة أسد الدين شيركوه، ومعه ابن أخيه صلاح الدين، ... وجاءت الحملة إلى مصر حيث لقيت ترحيباً وابتهاجاً، وفعل العاضد

أكثر من الترحيب، فأناط الحكم بأسد الدين شيركوه وجعله وزيراً له، ولكنه لم يلبث في الوزارة إلاّ شهرين وخمسة أيام، ثم توفي فجأة، وتطلع إلى الوزارة بضعة رجال من قواد الجيش الذي قدم مع أسد الدين، وكان التزاحم بينهم شديداً، ولكن العاضد آثر عليهم جميعاً صلاح الدين.يقول أبو شامة في كتابه (الروضتين): (فأرسل الخليفة (العاضد) إلى صلاح الدين، فأمره بالحضور إلى قصره ليخلع عليه الوزارة ويوليه بعد عمّه) ([2])
وهكذا أمدّ الخليفة (العاضد) وزيره صلاح الدين بالقوة، ووضع في يده أسبابها، ومكّن له في الحكم، استعداداً للدفاع في وجه الصليبيين إذا حاولوا إعادة الكرّة على مصر، ثم للهجوم عليهم فيما احتلوه من بلاد، وقد صحّ ما توقعه (العاضد)، فقد وصل الصليبيون في ربيع الأول سنة 565هـ.يقول المقريزي: (فخرجت العساكر من القاهرة، وقد بلغت النفقة عليها زيادة على 550 ألف دينار، فأقامت الحرب مدة خمسة وخمسين يوماً، وكانت صعبة شديدة ...إلى أن رحل الصليبيون عن دمياط ...، يضيف المقريزي: (وكان صلاح الدين يقول ما رأيت أكرم من العاضد، أرسل إليّ مدة إقامة الفرنج على دمياط ألف دينار، سوى ما أرسله إليّ من الثياب وغيرها)([3]).ويقول يحيى بن أبي طي الحلبي، في كتابه الذي ألفه في سيرة صلاح الدين، واصفاً المدى الذي بلغته محبة العاضد لصلاح الدين: (وبلغ من محبته له، أنه كان يدخل إلى القصر راكباً، فإذا حصل عنده أقام معه في قصره اليوم والعشرة، لا يُعلَمُ أين مقرّه... وحكّمه في ماله وبلاده، فحسده من كان معه بالديار المصرية من الأمراء الشامية، ثم إنهم فارقوه وصاروا إلى الشام)([4]).
ويقول صاحب كتاب (الروضتين): (إن العاضد أحب صلاح الدين محبة عظيمة)،
ويقول عنه في مكان آخر، أنه لما تولى صلاح الدين الوزارة، مال إليه العاضد وحكّمه في ماله وبلاده)([5]).ولم يترك (العاضد) وسيلة تشيد بصلاح الدين، وترفع من شأنه وتزيد في تكريمه إلاّ اتّبعها، من ذلك أنه لما ارتحل (نجم الدين أيوب) والد صلاح الدين إلى مصر بأهله وجماعته، وسار إلى القاهرة، ركب العاضد بنفسه لاستقباله والترحيب

---

(1) عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، المعروف بأبي شامة(ت665هـ). الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ،تحقيق إبراهيم الزيبق ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،1997، القسم الثاني من الجزء الأول ص 391 ، حسن الأمين ، (صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين،دار الجديد ،ط2،ج1، 2000،بلا ص184
(2) حسن الأمين ، صلاح الدين الأيوبي، ص 184- 185
(2) المقريزي ،تقي الدين احمد بن علي (ت845هـ) الخطط المقريزي ،المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار،لبنان 1967-1968، ج 1 ص 215
(4) حسن الأمين ، صلاح الدين الأيوبي، ص 168
(5) المرجع نفسه ص 186.

به، وخلع العاضد عليه ولقّبه (الملك الأفضل)، وحمل إليه من القصر الألطاف والتحف والهدايا، كما يقول ابن أبي طي في كتابه السابق الذكر([1]).
فكيف تُرى خلفه صلاح الدين في ماله وبلاده؟.. وكيف قابل نجم الدين كرمه وأريحيته وحسن استقباله؟!. لقد كان (العاضد) في وادٍ، وصلاح الدين وأبوه نجم الدين في واد آخر، ووطنية العاضد التي جعلته يستنجد بهم، ويضع سلطته وبلاده تحت تصرفهم، لم تمنعهم من التآمر عليه وعلى دولته ([2]).
يقول المقريزي عن صلاح الدين: (واستبدّ بالأمور، ومنع العاضد من التصرف، ثم يقول: وصلاح الدين يوالي الطلب منه كل يوم ليضعفه، فأتى على المال والخيل والرقيق، حتى لم يبق عند العاضد غير فرس واحد، فطلبه منه وألجأه إلى إرساله، وأبطل ركوبه من ذلك الوقت، وصار لا يخرج من القصر البتة)([3]).
والأنكى من ذلك، أن صلاح الدين الذي كان يتحدث عن كرم العاضد وحسن رفادته وضيافته، قد قابل كرم العاضد وحبه الشديد له بالجحود، فيقول المقريزي: وعاد فكثر القول عن صلاح الدين وأصحابه في ذم العاضد([4]).
يقول أبو شامة في الروضتين: (إن صلاح الدين يوسف بن أيوب، لما ثبت قدمه في مصر، وزال المخالفون له، وضعف أمر العاضد ـ وهو الخليفة بها ـ، ولم يبق من العساكر المصرية أحد، كتب إليه الملك الفاضل نور الدين محمود، يأمره
بقطع الخطبة العاضدية، وإقامة الخطبة العباسية، فاعتذر صلاح الدين بالخوف من وثوب أهل مصر وامتناعهم من الإجابة إلى ذلك، لميلهم إلى العلويين، فلم يصغ نور الدين إلى قوله، وأرسل إليه يلزمه بذلك إلزاماً... واتفق أن العاضد مرض، وكان صلاح الدين قد عزم على قطع الخطبة له، فاستشار الأمراء، كيف يكون الابتداء بالخطبة العباسية، فمنهم من أقدم على المساعدة وأشار بها، ومنهم من خاف ذلك، إلاّ أنه لم يمكنه إلاّ امتثال أمر نور الدين، وكان قد دخل مصر إنسان أعجمي يعرف بالأمير العالم، وقد رأيناه بالموصل كثيراً، فلما رأى ما هم فيه من الإحجام قال: أنا ابتدئ به([5]).وهكذا، فبعد انقضاء سنتين فقط على وصول شيركوه وصلاح الدين إلى مصر، كافئوا العاضد بالقضاء عليه وعلى دولته، ولم تدخل سنة 567هـ حتى (استفتحها صلاح الدين بإقامة الخطبة في مصر لبني العباس)، كما يقول صاحب كتاب (الروضتين)، والخليفة العاضد لا يزال حياً([6]).

ثانياً ـ خيانته لولي نعمته نور الدين:

كان نور الدين زنكي قد عزم على التخلص من الصليبيين والقضاء عليهم، و بنى خطته على أن يزحف هو من الشام، ويزحف صلاح الدين من مصر، ويحصرا

---

(1) حسن الأمين ، صلاح الدين الأيوبي، ص 168

(2) المرجع نفسه ص 170 [2]
(3)المقريزي ،الخطط ،ج2،ص45
(4) المصدر نفسه ، ج2،ص45
(5)االمرجع نفسه ص 187- 188.
(6) المرجع نفسه ص 168.

الصليبيين بين الجيشين، وسار صلاح الدين كما يقول ابن العديم في الجزء الثاني من كتابه (زبدة الحلب في تاريخ حلب): (فنازل حصن الشوبك وحصره... فلما سمع نور الدين بذلك، سار من دمشق ليدخل بلاد الإفرنج من الجهة الأخرى، فقيل للملك الناصر صلاح الدين، إن دخل نور الدين من جانب وأنت من هذا الجانب، ملك بلاد الإفرنج، فلا يبقى لك معه بديار مصر مقام، وإن جاء وأنت هاهنا، فلا بد من الاجتماع به، ويبقى هو المتحكم فيك بما يشاء، والمصلحة الرجوع إلى مصر، فرحل عن الشوبك إلى مصر)([1]).

ولزيادة البيان، ورفع بعض اللبس في النص المتقدم، فقد كرر ابن العديم الرواية في مكان آخر قائلاً: (واتفق نور الدين وصلاح الدين على أن يصل كل منهما من جهة، وتواعدا على يوم معلوم أن يتفقا على قتال الإفرنج، وأيهما سبق أقام للآخر منتظراً أن يقدم عليه، فسبق صلاح الدين ووصل الكرك فحصره، وسار نور الدين فوصل الرقيم، وبينه وبين الكرك مرحلتان، فخاف صلاح الدين واتفق رأيه ورأي أهله على العودة إلى مصر)([2]).

ويبدو جلياً أن صلاح الدين لم يتوقع النصر السريع على الصليبيين، لذلك زحف متجهاً إلى الكرك، فلما بدت طلائع النصر تتراجع على عقبيه، مؤثراً الاحتماء من نور الدين بالصليبيين، على معاضدة نور الدين عليهم، فاضطر نور الدين إلى الرجوع غاضباً على صلاح الدين، لإخلاله بخطة نور الدين التي كانا قد اتفقا عليها. ولم يكن نور الدين بالذي يفوته قصد صلاح الدين من تراجعهُ عن تنفيذ ذلك الاتفاق، فعزم على القدوم بنفسه إلى مصر ليؤدبه، كما نص على ذلك ابن الأثير وأبو شامة وابن العديم وغيرهم، ونكتفي هنا بنص أبي شامة إذ يقول: (وكان نور الدين قد شرع بتجهيز السير إلى مصر، لأخذها من صلاح الدين، لأنه رأى منه فتوراً في غزو الفرنج من ناحيته، فأرسل إلى الموصل وديار الجزيرة وديار بكر، يطلب العساكر ليتركها بالشام لمنعه من الفرنج، ليسير هو بعساكره إلى مصر، فإنه- صلاح الدين - كان يعتقد أن نور الدين متى زال عن طريقه الفرنج أخذ البلاد منه، فكان يحتمي بهم عليه، ولا يؤثر استئصالهم)([3]) ويتابع أبو شامة كلامه قائلاً: وكان نور الدين لا يرى إلاّ الجدّ في غزوهم بجهده وطاقته، فلما رأى إخلال صلاح الدين بالغزو وعلم غرضه، تجهز بالسير إليه، فأتاه أمر الله الذي لا يُرَد)([4])،

ولولا الموت الذي وافى نور الدين قبل تنفيذ عزمه، لكان تم تأديب صلاح الدين على يديه، وأقل ما كان يناله منه هو القتل، لأنه هو وحده جزاء من يحتمي بأعداء الأمة.

ولابد أن نشير هنا إن موقف صلاح الدين والموقف من نور الدين يختلف عن الموقف مع الخليفة هذا من ناحية ومن ناحية أخرى إن الموقف هنا سياسي ضمن ظروف واقعية ووجهات نظر قابلة للقبول والرفض

---

(1) المرجع نفسه ص 191

(2) المرجع نفسه.ص192

(2)شهاب الدين (الروضتين في أخبار الدولتين)، ج2 ص 58 وما يليها، ابن الأثير محمد عبدا لواحد الشيباني ،(ت،630هـ) ، الكامل في التاريخ ،أبو الفداء عبدا لله القاضي ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1995 ج 10 ص 186

(3) ابن الأثير ،الكامل ،ج10،ص186

ثالثاً- خيانته للخليفة الناصر العباسي:

كان الخليفة العباسي الناصر، قد تخلص في بغداد من سيطرة السلاجقة، واستقلّ عنهم برقعة كبيرة من الأرض الإسلامية، وكما يقول ابن كثير (استحوذ جيش الخليفة على بلاد الري وأصفهان وهمذان وخوزستان وغيرها من البلاد، وقوي جانب الخلافة والخليفة على الملوك والممالك)([1]) ، ولقد بنى فيها جيشاً قوياً، وعزم على أن يرسل جيشه هذا إلى فلسطين، للتعاون مع جيش صلاح الدين على تحرير ما لم يتحرر من الأرض الإسلامية من الصليبيين، فأرسل يستأذن صلاح الدين، فرفض قدوم جيش الخلافة، لأنه اعتقد أنه سيصبح والياً من ولاة الخليفة تابعاً له.ويصف العماد الموقف بعد ذلك بقوله: (ووجد الأعداء حينئذ إلى السعاية طريقاً، وطلبوا لشمل استسعاده بالخدمة تفريقاً، واختلقوا أضاليل ولفقوا أباطيل، وقالوا: هذا – أي صلاح الدين - يزعم أنه يقلب الدولة ويغلب الصولة، وأنه يُنعَت بالملك الناصر، نعتَ الإمام الناصر، و يُدِلُّ بماله من القوة العسكرية)([2])"

ويبدو أن تلك السعايات لم تنبت من فراغ، فقد كان صلاح الدين يمنّ في مجالسه الخاصة على الخليفة العباسي بقضائه على الدولة الفاطمية، وربما كان يلوّح بالقوة والغلبة، وما إلى ذلك مما نقله السعاة لإثارة حفيظة الخليفة على صلاح الدين.

ولما بلغ الخليفة هذا الرفض، مع كل ما نقل إليه عن صلاح الدين، أرسل مبعوثاً وصل في شهر شوال من سنة 583هـ - أي بعد فتح القدس بثلاثة أشهر فقط - مع رسالة شديدة اللهجة، مملوءة بالتعنيف لصلاح الدين ([3])، فتظاهر هذا بالسكوت، ولكنه راح يعرض الرسالة على من سماهم (أكابر القوم)، ونجح أسلوب صلاح الدين كما يقول العماد، في دفع أولئك الأكابر إلى نقد تلك الرسالة بعنف مماثل، وإلى تحريض صلاح الدين على التمرد على الخليفة، وهذا هو عين ما كان يبيته صلاح الدين في نفسه ويمهد له، ليكون هؤلاء مستعدين بل متحمسين لقتال جيش الخليفة إذا جاء إلى فلسطين.

ورأى صلاح الدين أن من الحكمة أن يؤخر الصدام بالخليفة، وأن لا يعجّل باستفزازه قبل أن يهيئ وسائل المقاومة ويرتب المحالفات، وبادر على الفور إلى التفاوض سراً مع الصليبيين .

لعقد هدنة تنهي الحروب بينهما، وتتيح له التحالف معهم لقتال العدو المشترك (خليفة المسلمين) الذي لم تكن يومئذ خلافة شرعية لسواه. وهذه في حقيقة الأمر يعود الى

---

(1)ابن كثير ، البداية والنهاية ج 13 ص 11.

(2) العماد الأصفهاني ،،عماد الدين محمد بن محمد بن حامد (ت597هـ)، الفتح القسي في الفتح القدسي ،تحقيق محمد محمود صبح ،الدار القومية ، القاهرة ،1965) ص 183 وما بعدها (انظر الأمين (مرجع سابق) ص 116- 117.

(1) المصدر نفسه ،ص118

عوامل سياسية أكثر من العوامل الأخرى وبالتالي لايمكن اعتبارها خيانة حسب رأي هؤلاء المؤرخين .

لقد أشار المؤرخون الى إن صلاح الدين فقد احتجز جميع رجال الأسرة الفاطمية في مكان، واحتجز جميع نسائها في مكان آخر، يقول العماد: (وهم إلى الآن محصورون محسّرون لم يظهروا)([1])، وقد تبجح بهذه الأعمال شعراء صلاح الدين و منهم ما قاله العماد الأصفهاني في قصيدته :

عاد حريم الأعداء منتهك الحمى وفيء الطغاة مقتسمـــا

وفي موقف آخر، اتفق أن اجتمع هذا الشاعر، مع نجم الدين أيوب – والد صلاح الدين - مع شاعر آخر، هو أبو سالم يحيى الأحدب بن أبي حصيبة، في قصر اللؤلؤة الذي كان يقيم فيه، وكان من أحسن قصور الفاطميين، فأنشد ابن أبي حصيبة نجم الدين قصيدة منها:

يا مالك الأرض لا أرضى لها طرفاً منها وما كان منها لم يكن طرفا قد
عجّل الله هذي الدار تسكنها وقد أعدّت لك الجنات والغرفا
تشرفت بك عمن كان يسكنها فالبس بها العز ولتلبس بك الشرف
أكانوا بها صَدفاً والدار لؤلؤةٌ وأنت لؤلؤةٌ صارت لها صَدفا

فعزّ على عمارة هذا الغمز بالفاطميين، ولم يسكت على هذا الغمط لحقهم، والغض من مكانتهم، فقام يرد عليه بكل جرأة وشجاعة قائلاً:

أثمتَ يا من هجا السادات والخُلَفا وقلتَ مقالته في ثلبهم سخَفا
جعلتَهم صدفاً حَلّوا بلؤلؤةٍ والعُرفُ مازال سُكنى اللؤلؤ الصدفا
وإنما هي دارٌ حلّ جوهرهم فيها وشفّ فأسناها الذي وصفا([2])

إلى آخر هذه القصيدة الارتجالية الرائعة، التي علّق عليها المقريزي بقوله: (فلله دَرُّ عمارة، لقد قام بحق الوفاء، ووفى بحسن الحفاظ كما هي عادته، لا جرم أنه قُتل في واجب من يهوى، كما هي سنّة المحبين، فالله يرحمه ويتجاوز عنه)([3]).

على أن أفجع الفواجع ما لحق خزانة الكتب، التي (كانت من الضخامة بحيث أنها ضمّت (600) ألف كتاب مخطوط، ثم ما لبثت أن أنشئت دار الحكمة القاهرية، وهي لم تكن أرففاً لاحتواء الكتب فقط، ولكنها كانت تضم جيوشاً من المترجمين والعلماء والنسّاخين، وكانت بذلك جامعة متخصصة لإنتاج الكتب)([4])، هذه الكنوز العلمية من نفائس الكتب التي تعب الفاطميون في جمعها، وأنفقوا من الأموال ما أنفقوا في الحفاظ

---

(2) ويحدّد المقريزي في خططه عددهم بعشرة آلاف شريف وشريفة (ج 1 ص 497)، وقال ابن عبد الظاهر أن حبسهم على هذا الشكل استمرّ حتى انقرضت الدولة الأيوبية ومُلكُ الأتراك إلى أن تسلطن الظاهر ركن الدين بيبرس.. البندقداري، فلما كان في سنة 660هـ أشهد على من بقي منهم بطردهم، بعد أن أصبحوا كما يقول المقريزي (كهولاً مرضى لا أمل منهم ولا بشفائهم).

(2) المقريزي،الخطط ج 21 ص 469

(3) المصدر نفسه ،ج21،ص469

(4) الدكتور محمد الرميحي، مجلة العربي، العدد 426، أيار 1994م ص 22.

عليها، أصابها من صلاح الدين ما أصاب الفاطميين أنفسهم، ومثلما شهد العصر الفاطمي ازدهار المكتبات القاهرية ([1]).
يصف الدكتور محمد كامل حسين كيف أحرق ورقُ كتب هذه المكتبات، وأخذ العبيد والإماء جلودها لعمل ما يلبسونه في أرجلهم، والذي بقي فيها مما لم يحرق، سفت عليه الرياحُ الترابَ، فصارت تلالاً باقية تعرف بتلال الكتب([2])،
ثم يقول: (وكذلك ضاعت كنوز الفاطميين بيد التعصب الممقوت)، ويختم كلامه بالقول: (ولكن هذه الموجة الفنية التي طغت على مصر، سرعان ما أبادها الأيوبيون فيما أبادوه من تراث هذا العصر الذهبي في تاريخ مصر الإسلامية، فضاع الشعر ولم يبق منه إلاّ اسم الشاعر أحياناً إن قدِّر لاسمه البقاء)([3]).
ويقول ابن أبي طي في وصف ما حلّ بهذه المكتبة الكبرى: (ومن جملة ما باعوا خزانة الكتب، وكانت من عجائب الدنيا)([4])، لأنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي بالقاهرة في القصر، ومن عجائبها أنه كان بها ألف ومائتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبري، ويقال أنها كانت تحتوي على ألفي وستمائة كتاب، وكان فيها من الخطوط المنسوبة أشياء كثيرة([5]).
ويقول العماد الأصفهاني في ذلك: (وفيها من الخطوط المنسوبة ما اختطفته الأيدي واقتطعه التعدي، وكانت كالميراث مع أمناء الأيتام، يتصرف بها بشرَه الانتهاب والالتهام)([6])، ورغم أن نور الدين كان ولي نعمته، وهو الذي رشحه للوزارة لدى العاضد بعد وفاة أسد الدين شركوه، إلاّ أنه لم يسلم من تنكّر صلاح الدين له والتنمر عليه في حياته، والاحتماء منه بالصليبيين، ثم القضاء على مملكته وضمها إليه بعد وفاته، لكنّ الأشد انتقاماً من نور الدين ما فعله مع ابنه (الملك الصالح).
لقد كان ابن نور الدين هذا مقيماً في حلب، وكان على صغر سنه محاطاً برعاية الحلبيين باعتباره ملكهم المقبل بعد أبيه، فكان أول ما فعله صلاح الدين بعد استيلائه على الشام، أن قصد إلى حلب للقضاء عليه.
يقول ابن الأثير: (لما ملك صلاح الدين حماة، سار إلى حلب فحصرها ثالث جمادى الآخرة، فقاتله أهلها، وركب الملك الصالح - وهو صبي وعمره اثنتا عشرة سنة - وجمعَ أهل حلب وقال لهم: قد عرفتم إحسانَ أبي إليكم ومحبته لكم وسيرته فيكم)([7]).
وحسبك للوقوف على طريقة معاملته للشعب الذي كان يحكمه صلاح الدين، ما كتبه عنه الدكتور حسين مؤنس([8])، وهو من أشد المتحمسين للدفاع عن صلاح الدين

---

(1)المقريزي ،الخطط،ج 2 ص 255،
(2)المصدر نفسه.ج2،ص255

(3)المقريزي، الخطط، ج 2 ص 255
(4) الأمين (مرجع سابق) ص 26- 27.
(5) الأمين (مرجع سابق) ص 169.
(6) الأمين (المرجع سابق) ص 169.
(1) أبو شامة ، الروضتين في إخبار الدولتين ، ج 2 ص 676
(2) ابن خلكان ،شمس الدين احمد بن محمد (ت681هـ)، وفيات الأعيان إنباء أبناء الزمان ،تحقيق، أحسان عباس،دار الثقافة بيروت ،1388هـ - 1968م ، ج2،ص86

الأيوبي، قال: (كانت مشاريعه ومطالبه متعددة لا تنتهي، فكانت حاجته للمال لا تنتهي، وكان عماله من أقسى خلق الله على الناس، ما مرّ ببلده تاجر إلاّ قصم الجُباة ظهره، وما بدت لأي إنسان علامة من علامات اليسار، إلاّ أنذِر بعذاب من رجال السلطان، وكان الفلاحون والضعفاء معه في جهد، ما أينعت في حقولهم ثمرة إلاّ تلقّفها الجباة([1])، ولا سنبلة قمح إلاّ استقرت في خزائن السلطان، حتى أملق الناس في أيامه، وخلّفهم على أبواب محن ومجاعات حصدت الناس حصداً)([2]).
ولا غرابة بعد هذا كله أن تعلم أن ولاته وعماله هم جميعاً من أمثال (قراقوش)، الذي خلّفه والياً على مصر، ليتفرغ هو لاحتلال الشام، والقضاء على ملك نور الدين زنكي، والتشفي منه.

ونحب أن نضيف هنا شيئاً عن مباركة صلاح الدين لمحاولة أخيه (العادل) الزواج من أخت الملك الصليبي الإنكليزي (ريشارد قلب الأسد)، وفي هذا الصدد يقول عماد الدين الأصفهاني مؤرخ صلاح الدين في كتابه (الفتح القسي في الفتح القدسي): (وصلت رسل ملك الإنكليز ريكاردوس أو ريتشارد قلب الأسد إلى (العادل) بالمصافحة على المصافاة، والمواتاة في الموافاة، وموالاة الاستمرار على الموالاة، والأخذ بالمهاداة والترك للمعاداة، والمظاهرة بالمصاهرة، وترددت الرسل أياما وقصدت التئاماً، وكادت تحدث انتظاماً، واستقرّ تزوج الملك العادل بأخت ملك الإنكليز، وأن يعوَّل عليهما من الجانبين في التدبير، على أن يُحَكَّمَ العادل في البلاد، ويجري فيها الأمر على السداد، وتكون المرأة في القدس مقيمة مع زوجها، وشمسها من قبوله في أوجها، ويرضي العادل مقدَّمي الفرنج والداويَّة والأسبتار ببعض القرى، ولا يمكنهم من الحصون والدُّرا، ولا يقيم معها في القدس إلاّ قسّيسون ورهبان، ولهم منا أمان وإحسان) .
ويضيف بعد ذلك موضحاً رضى صلاح الدين بتلك الخطة: (واستدعاني العادل والقاضي بهاء الدين بن شداد، وجماعة من الأمراء من أهل الرأي والسداد، ...وقال لنا: تمضون إلى السلطان وتخبرونه عن هذا الشأن، وتسألونه أن يحكِّمني في تلك البلاد، وأنا أبذل فيها ما في وسع الاجتهاد، ... فلما جئنا إلى السلطان، عرف الصوابَ وما أخّر الجواب، وشهدنا عليه بالرضى)([3]).
لكن ملك الإنكليز اعتذر فيما بعد (بامتناع أخته، وأنه في معالجتها وتعرُّفِ رضاها في وقته)([4]).

---

(3) ياقوت الحموي ، شهاب الدين ، أبو عبد الله الحموي الرومي ، (ت626هـ - 1229م) معجم الأدباء أو إرشاد الأريب الى معرفة الأديب ، تحقيق مرجليون ،مصر ، مطبعة هندية ط1 ، 1342هـ 1923

(4) السيد الأمين - مصدر سابق - ص 164).

(3) الأمين (مرجع السابق) ص 124- 125.
(4) المرجع نفسه ص 126.

ورغم أنه من الصعب أن يصدق المرء شيئاً من هذه الروايات، فإنه من الصعب كذلك الركون إلى نفيها دون دليل قاطع، اللهم سوى استصحاب الحال السابق الشائع بين الناس.

وكذلك فإنه من العسير جدا، تفسير تسامح صلاح الدين مع الصليبيين، وتخاذله عن مواصلة الجهاد ضدهم، بل والتحالف معهم، بينما يسهل تفسير تبجيل الفرنجة لصلاح الدين بأنه يعود في أقل تقدير إلى مهادنته للصليبيين، وتنازله لهم عن كل فلسطين عدا القدس، وبذلك أحال هزيمتهم إلى نصر، كما قام بنفسه بتمزيق البلاد الإسلامية، بلاد أعداء الصليبيين وأضعفها، وحال دون قيام الدولة العربية الكبرى، معضودة بالعالم الإسلامي، مما مهّد لعودة القدس، وكثير من مدن فلسطين ولبنان وسوريا إليهم أيضاً، وبقوا مسيطرين على تلك البلاد فترة طويلة بعد ذلك .

أما الجانب الثاني، فلقد كان لموسى بن ميمون([1]) نفوذ غير محدود، على صلاح الدين وحاشيته وأمرائه، ولقد (اختير طبيباً لنور الدين علي، أكبر أبناء صلاح الدين، والقاضي الفاضل البيساني وزير صلاح الدين([2])، الذي لم يكن له من صفات الفضل شيء على الإطلاق، والذي أصبح بنفاقه وتملقه الحاكم الفعلي لمصر بعد مغادرة صلاح الدين لها عام 1174م. كان لشهرة ابن ميمون الطبية، الدور الأبرز في لفت أنظار البلاط الأيوبي إليه، والتي (أتاحت له أن يجمع بين رعاية السلطان صلاح الدين، ورعاية نخبة المجتمع القاهري)([3])، ولقد استطاع ابن ميمون في ظل هذه الرعاية أن يحظى بمكانة رفيعة جداً عند صلاح الدين وحاشيته، لدرجة أنه تزوج من شقيقة (ابن المالي)، أحد مستشاري السلطان، وزوّج شقيقته لابن المالي، ولدرجة أن صلاح الدين رفض طلب أحد القضاة عام 1187م، إنزال عقوبة القتل به ركوناً إلى حجة وزيره الـــــذي

كان صديقاً حميماً لابن ميمون، وقوله أن الرجل الذي أرغم على اعتناق الإسلام، لا يمكن أن يعتبر مرتداً بحق([4]).

والذي يلفت النظر ويشد الانتباه حقاً، أن صلاح الدين الذي أصر على إعدام الفيلسوف (شيخ الإشراق) والإمام الشافعي المذهب، شهاب الدين بن يحيى السهروردي، متهماً إياه بالخروج عن الدين، غض الطرْف تماماً عن موسى بن ميمون، الذي نشر في الشهر ذاته مقالة في بعث الموتى، وعبّر فيها عن تشككه في عقيدة الخلود الجسمي، كما أصمّ أذنيه أيضاً عن تسفيه عبد اللطيف البغدادي لابن ميمون بعد صدور كتابه (دليل الحائرين)، .

---

(1)موسى بن ميمون واحد من أعظم الشخصيات اليهودية على الإطلاق، كما تقول الموسوعة اليهودية، وهو أشهر شخصية يهودية في الحقبة المابعد تلمودية، وقد احتفلت مدينة تل أبيب في إسرائيل بمرور 800 سنة على وفاة ابن ميمون، فأنشأت مكتبة خاصة به، وقد عاش في بلاط صلاح الدين طبيب يهودي آخر، هو هبة الله بن جميع . (انظر مجلة الرسالة العدد 110

(2) وول ديورانت (قصة الحضارة) ترجمة زكي نجيب محمود ،مطبعة التأليف والترجمة 1986ج 14 ص 121.

(3) جورج طرابيشي (معجم الفلاسفة) بيروت 1977ص 31.

(4) W. Thomas Arnold, The Preaching of Islam: a History of the Propagation of the Muslim Faith , 2nd ed. (London: Constable and Co. Ltd, 1913), 421. ...

واتهامه له بأنه (يهدم أركان جميع الأديان، بالوسائل نفسها التي يخيل إلى الناس أنه يدعمها بها)([1])موسى بن ميمون هذا:
(استخدم نفوذه في بلاط صلاح الدين لحماية يهود مصر)([2]).
(ولما فتح صلاح الدين فلسطين، أقنعه ابن ميمون بأن يسمح لليهود بالإقامة فيها من جديد، وابتناء كُنُس ومدارس)([3]).
كان الحكم في اليمن، يخير اليهود بين القتل أو الإسلام، فلما علموا بالنفوذ الذي يتمتع به موسى بن ميمون عند صلاح الدين، لجأوا إليه عام 1172م، فاستجاب لمطلبهم، وكتب لهم ما سمي (بالرسالة اليمنية)، وطلب من الحاخام (نتائئيل الفيومي) إرسال نسخة عن هذه الرسالة إلى كل الجماعات في اليمن.
ورغم أن الموسوعة اليهودية، لم تكشف النقاب عن كل محتويات الرسالة، فلقد كانت هذه الرسالة بمثابة رسالة الأمل بالنسبة إلى يهود اليمن، لدرجة أنهم أدخلوا في القوديش صلاة (لأجل نفس معلمنا موسى بن ميمون).
وما أسرع ما تحقق هذا الأمل على يدي ابن ميمون، عندما اجتاح الأيوبيون اليمن عام 1173م، أي بعد وصول رسالة ابن ميمون هذه بأشهر معدودة، حيث رفع السيف عن رقاب اليهود في اليمن، ووضع في رقاب المسلمين، وتم تخفيف الضرائب عن كاهل اليهود، وأثقل بها كاهل المسلمين([4]).
كانت هذه بعض أهم النقاط سوءاً في سيرة صلاح الدين الأيوبي، تعرضنا لها بشيء من الإيجاز، وأعرضنا عن البعض الآخر روماً للاختصار. هذه الآراء تعبر عن رأي المؤرخين ونترك للقارئ الكريم الحكم عليها لان معظم العوامل التي تحاول النيل من صلاح الدين قائمة على إغراض سياسية .

تبرئة صلاح الدين من الخيانه

لا بد أن نذكر إن القائد العظيم صلاح الدين الأيوبي، الذي يستوطن في العقل الجمعي الإسلامي مكانة خاصة وهو قائد عاش في عصر شبيه بعصرنا من حيث استباحة بيضة الأمة وتكالب أعدائها عليها وافتراق كلمتها. لكنه بتركيب عجيب بين الشجاعة والحزم من جانب، والحكمة والرحمة من جانب آخر، استطاع أن يستعيد بيت المقدس من أيدي الصليبيين وينقذ مصر من شرهم، ويوحد كلمة الأمة في عصر عز فيه الموحد والناصر، وساد المفرق و المخذل .

---

(1) وول ديورانت (قصة الحضارة) ج 14 ص 121.
(2) الموسوعة اليهودية ج 14 ص 669.
(3)المصدر نفسه ،وقد ذكر ذلك الدكتور الطرابيشي في معجم الفلاسفة ،ص32 قال: بعد أن فتح صلاح الدين القدس، استحصل ابن ميمون لأبناء ملته على إذن في التوطن فيها وفي فلسطين بصورة عامة

(1)لمعرفة المزيد عن ابن ميمون وعلاقته بصلاح الدين، يراجع كتاب (صلاح الدين الأيوبي) للسيد حسن الأمين ص132- 140.

وكان له كل ذلك بفضل فقهه بسلم الأوليات، ووعيه العميق بظروف الطوارئ التي تمنع استنزاف الذات في الحروب الكلامية والصراعات الجانبية .
والسابقة التاريخية المقصودة هنا هي تعامل صلاح الدين الأيوبي مع حكام الدولة العلوية الفاطمية في مصر الذين أعلنوا أنفسهم خلفاء مجانبة للخلافة العامة في بغداد، وخرجوا على جمهور الأمة في مذهبهم العقدي والفقهي خروجا لم تفعله طائفة مسلمة معتبرة في تاريخ الإسلام، وضايقوا أهل السنة في مصر حتى أصبحت قراءة صحيح البخاري جريمة .
ومع كل ذلك فإن تعامل صلاح الدين الأيوبي مع هذه الدولة كان محكوما بمنطق غير طائفي، وكان مبنيا على إدراك عميق لظروف الطوارئ التي تعيشها الأمة وهي محاصرة بين فكَّيْ الخطر الصليبي القادم من الشمال، والزحف المغولي الداهم من الشرق .

منهج الحكمة والرحمة والوفاء

أول ما يلفت النظر هنا استنجاد الخليفة الفاطمي في مصر بحاكم الشام نور الدين زنكي، وهو ما فتح الباب لقدوم صلاح الدين إلى مصر وعمله وزيرا للدولة الفاطمية، وقتاله الصليبيين تحت رايتها سنين عديدة، دون اعتبار للخلاف المذهبي بين الطرفين .
كما يلفت النظر أيضا أسلوب الحكمة والرحمة والوفاء الذي تعامل به صلاح الدين مع القيادة الفاطمية، حينما مال ميزان القوة لصالحه، وأصبح قائدا عسكريا مسيطرا، ثم أخيرا ملكا لمصر والشام، بعد وفاة الخليفة الفاطمي العاضد .
يروي ابن شداد ([1]) بعض الأمور التي تعكس حكمة صلاح الدين وبعد نظره وفهمه لأخوة الإسلام التي لا تسقط إلا بسقوط أصل الإسلام .
يروي ابن شداد أن نور الدين زنكي لما أرسل إلى صلاح الدين من الشام يأمره بالدعاء لخلفاء بني العباس على المنابر، وهي الإشارة الرمزية إلى البيعة لهم والتخلص من منافسيهم الفاطميين، فصلاح الدين كان حريصا على توحيد الكلمة بترفق وتلطف، ودون استعجال أو قفز على الوقائع الاجتماعية والثقافية المتراكمة على مر الزمان.
وبعد إصرار نور الدين على أن ينفذ صلاح الدين أمره، انتظر صلاح الدين حتى مرض الخليفة الفاطمي العاضد، فأقعده المرض عن حضور الصلوات وتسيير الشأن العام، فبدأ صلاح الدين في التنفيذ، ولو أراد تنفيذ الأمر في صحة الخليفة الفاطمي وقوته لفتح الباب أمام اقتتال داخلي بين المسلمين في مصر .
ثم لما مات العاضد بُعيد ذلك بمدة وجيزة ندم صلاح الدين على استعجاله في تحويل الخطبة، وعدم التروي أكثر في الأمر. قال أبو شامة: "وأما ندمُ صلاح الدين، فبلغني أنه كان على استعجال بقطع خطبته وهو مريض، وقال:" لو علمت أنه يموت من هذا المرض ما قطعتها إلى أن يموت."
وقبل أن يموت العاضد لم يجد أكثر رحمة وثقة من صلاح الدين ليستودعه أبناءه ويوصيه بإكرامهم، و على الرغم من الشقة المذهبية بين الطرفين .
يذكر أبو شامة أن أبا الفتوح بن العاضد أخبره "أن أباه في مرضه استدعى صلاح الدين فحضر، قال وأحضرَنا، يعني أولاده وهم جماعة صغار، فأوصاه بنا، فالتزم إكرامنا

---

(1) أبوشامة، "كتاب الروضتين في تاريخ الدولتين"(ص 280- (ص 362-363)،ابن شداد ،النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفة،ص281

واحترامنا، رحمه الله ."
وبناء على وصية العاضد هذه "نقل صلاح الدين أهل العاضد إلى موضع من القصر ووكل بهم من يحفظهم"، كما يروي ابن شداد. وقد أكد أبو شامة حسن معاملة صلاح الدين لأفراد أسرة الخليفة الفاطمي فكتب: "ونقل أهل العاضد إلى مكان منفرد، ووكل لحفظهم، وجعل أولاده وعمومته وأبناءهم في الإيوان في القصر، وجعل عندهم من يحفظهم." ونقل أبو شامة عن أبي الفتوح بن الخليفة العاضد أن صلاح الدين "جعلهم في دار برجوان في الحارة المنسوبة إليه بالقاهرة، وهي دار كبيرة واسعة، كان عيشهم فيها طيبا". وكذلك فليكن الوفاء والمشاعر الإنسانية التي تتجاوز الخلافات المذهبية والطائفية وتتعالى عليها.
ولما مات الخليفة الفاطمي لم يظهر صلاح الدين شماتة ولا غبطة برحيله والتوديع له إلى قبره" كما يقول ابن شداد .فلم ينس صلاح الدين للعاضد أنه عينه وزيرا لمصر، واستودعه ثقته، وحمَّله لواء الدفاع عن مصر ضد الصليبيين.

ساحة فكر لا ساحة معركة

كان صلاح الدين متحيزا للمذهب الشافعي الذي يدين به على حساب المذاهب الأخرى.
وكان إلى ذلك مؤمنا بوحدة الأمة، حريصا على الارتباط بالخلافة العباسية في بغداد التي هي رمز الوحدة الإسلامية رغم ضعفها وخورها.
بينما كان الفاطميون في مصر متعصبين لمذهبهم كما كانوا شديدي المنافسة لسلطة الخلافة في بغداد، في وقت تحتاج الأمة فيه إلى التعاضد في وجه أمواج التتار العاتية القادمة من الشرق، وصولات الصليبيين المدمرة في الشمال والغرب .
لكن صلاح الدين كان يدرك أن الخلاف بين أهل الملة الواحدة يجب أن يتم حسمه في ساحة الفكر، لا في ساحة المعركة، وأن هذا الخلاف مهما تعاظم وتراكم على مر القرون، ومهما تجاوز الفروع إلى الأصول، يظل خلافا داخل البيت الواحد، لا يصلح التعامل معه بغير الحوار المتأسس على الحجة والبرهان.
وبهذه الرؤية الحكيمة الرحيمة غير صلاح الدين وجه مصر من الناحية السياسية و الاجتماعية، دون أن يجر المجتمع المسلم إلى حرب استنزاف طائفي .
وكانت منهجية صلاح الدين هي تغيير المناخ الفكري والفقهي السائد بطريقة مترفقة هادئة دون مواجهة أو ضوضاء، فأسس صلاح الدين مدارس كثيرة في مصر والشام وفلسطين تحمل الفكر والفقه الإسلامي، منها المدرسة الناصرية والمدرسة القمحية والمدرسة السيفية في مصر، ومنها المدرسة الصلاحية في دمشق، ومدرسة بنفس الاسم في القدس.
ولما كان الجامع الأزهر يومها غرة الدولة الفاطمية ومركز أيديولوجيتها وأهم إنجازاتها العلمية، لم يسع صلاح الدين إلى هدمه أو انتزاع قيادته من الفاطميين وأشياعهم من الفقهاء، وإنما انتهج إستراتيجية التفاف حكيمة للتعاطي مع هذه المؤسسة العظيمة .
فنقل صلاح الدين خطبة الجمعة -وهي يومئذ رمز سيادة الحاكم وتأكيد شرعيته- من

الجامع الأزهر إلى الجامع الحاكمي بالقاهرة، والتف عليها بحكمة و روية، دون أن يدخل في مواجهة مفتوحة مع القوى الدينية المرتبطة بالنظام القديم .

مؤاخذة بالفعل لا بالمذهب

وحينما ثار الثوار على صلاح الدين، وحاولوا اغتياله واستعادة السلطة الفاطمية، وبدؤوا الاتصال بالصليبيين، عاملهم صلاح الدين بحزم، طبقا لفعلهم لا طبقا لفكرهم.

يروي ابن العماد الحنبلي في "شذرات الذهب "أن من الثوار على صلاح الدين الذين أرادوا استرداد النظام الفاطمي المنهار الفقيه عُمارة بن علي المذحجي "وكان أديبا ماهرا، لم يزل ماشيَ الحال في دولة المصريين (الفاطميين) إلى أن ملك صلاح الدين فمدحه، ثم إنه شرع في أمور، وأخذ في اتفاق مع الرؤساء في التعصب الفاطميين وإعادة دولتهم، فنُقل أمرهم -وكانوا ثمانية- إلى صلاح الدين فشنقهم في رمضان([1])" وقد نشبت ثورات أخرى عدة تهدف إلى استعادة السلطة الفاطمية، وواجهها صلاح الدين بحزم وقوة. لكن صلاح الدين كان يؤاخذ الناس بفعلهم لا بمذهبهم، فهو لم يقتل على أساس المذهب، وإنما قتل من تآمر لاسترداد حكم فاسد مترهل، عاجز عن حماية الأمة والذب عن حياضها، و من كان مفرق لكلمتها ووحدتها .

وكان من بين هؤلاء المتآمرين أشخاص لا ضمائر لهم، مدوا يد الوصل إلى الصليبيين المتربصين من أجل استعادة نفوذهم في مصر. وقد واجه صلاح الدين الفكر بفكر بديل، والفقه بفقه منافس، كما واجه السيف بالسيف، وهذا هو العدل والحكمة .

دروس للحاضر والمستقبل

---

(1) ابن العماد ،ابو الفلاح عبد الحي الحنبلي ،(ت1809هـ) شذرات الذهب في إخبار من ذهب ،الكتب العلمية ، ،بيروت ،ج2،ص 234

إن تعامل صلاح الدين الأيوبي مع الحكام الفاطميين والفكر الفاطمي في مصر يحمل دروسا عظيمة هذا اليوم، يمكن تلخيص أهمها في الآتي:
أولا: أدرك صلاح الدين بفطرته السليمة أن روابط الولاء والأخوة بين أهل الملة الواحدة لا تنصرم بالخلافات المذهبية والطائفية مهما عظمت. فعمل وزيرا للفاطميين وقاتل الصليبيين تحت رايتهم، دون تمييز بين المذاهب، لأن مشروعه كان استنقاذ أمة بأسرها .

ثانيا: انتهج صلاح الدين منهج الحكمة والرحمة في التعامل مع مخالفيه من الفاطميين، إدراكا منه أن الإسلام بغير حكمة ورحمة اسم بغير مسمى،فرقَّ للخليفة الفاطمي المريض، وجلس للعزاء بوفاته، ووفَّى له بوصيته حول إكرام أبنائه ورعايتهم .
ثالثا: واجه صلاح الدين الفكر المخالف بفكر منافس، وواجه المؤامرات العسكرية بسيف صارم، إدراكا منه أن الفكر يواجَه بقوة الفكر، والجُرم يواجَه بقوة القانون . وليس من العدل أن يتم إزهاق نفس بسبب تبنيها فهما مغايرا للإسلام، ولا حتى بسبب رفضها للإسلام جملة وتفصيلا.
رابعا: اعتمد صلاح الدين طريق الترفق والتدرج في التغيير الفكري الذي ارتآه، لأن الجفاء في الإنكار على المخالفين من المسلمين المتلبسين ببعض البدع، دون لطف أو ترفق، أو اعتبار للمآل والثمرات، يعمق الجرح ويوسع الشرخ، دون أن يصلح الخلل أو يحقق المصلحة المرجوة .
خامسا: كان صلاح الدين رجل عمل لا جدل، مدركا أن الاستغراق في أمور الخلاف والوقوف عندها طويلا استنزاف للذات. فعمل على استنقاذ الأمة من حالة الطوارئ التي تعيشها، بالعمل الإيجابي في ساحة الحرب وفي ساحة الفكر، ولم يستنزف جهده في أمور الخلاف والجدل النظري.
وبهذه الرؤية الحكمية، والروح النبيلة سجل صلاح الدين الأيوبي اسمه في سجل الخالدين، قائدا رحيما بأبناء أمته، حريصا عليهم، يسعى لإصلاح فقههم وفكرهم، ويقدم روحه فداء لأرواحهم، بترفق وتلطف وحكمة ورحمة، لا تعميه الخلافات الجزئية عن رؤية الأمور الكلية وفهم حالة الطوارئ التي عاشتها الأمة في أيامه، كما تعيشها في أيامنا([1]) .

المبحث الثاني :خيانة الأمانة في التراث العربي

(1)محمد بن المختار الشنقيطي، السنة والشيعة.. دروس من صلاح الدين الأيوبي عبر الانترنيت،ص56

لقد وردت خيانة الأمانة في التراث العربي الإسلامي بشكل كثير ، باعتبار العرب المسلمين كانوا متمسكين في القيم الأخلاقية التي دعى إليها الإسلام الحنيف والسنة النبوية الشريفة وفي هذا المبحث سنلتقط بعض الشذرات التراثية من أقوالهم وحكاياتهم وهي ترسم ملامح خيانتهم .

من صور الأمانة في زمن الرسول (ص) :

قال صلى الله عليه وسلم وهو يحكي لأصحابه رضي الله عنهم : " اشترى رجل من رجل عقاراً له ، فوجد الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب ، فقال له الذي اشترى العقار : خذ ذهبك مني ، إنما اشتريت منك الأرض ، ولم ابتع منك الذهب ، فقال الذي باعها : إنما بعتك الأرض وما فيها ، قال : فتحاكما إلى رجل ، فقال الذي تحاكما إليه : ألكما ولد ؟ فقال أحدهما : لي غلام ، وقال الآخر : لي جارية ، قال : أنكحوا الغلام بالجارية ، وأنفقوا على أنفسكما منه ، وتصدقا ([1])"، والجرة : إناء من خزف .

ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجل من بني إسرائيل أنه سأل رجلاً من بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار ، فقال : ائتني بالشهداء أشهدهم ، فقال : كفى بالله شهيدا ، قال : فائتني بالكفيل ، قال : كفى بالله كفيلا ، قال : صدقت ،

فدفعها إليه على أجل مسمى ، فخرج في البحر ، فقضى حاجته ، ثم التمس مركباً يركبها ، يقدم عليه للأجل الذي أجله ، فلم يجد مركباً ، فأخذ خشبة ونقرها ، فأدخل فيها ألف دينار ، وصحيفة منه إلى صحابه ، ثم زجج موضعها ، ثم أتى بها البحر ، فقال : اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلاناً ألف دينار فسألني كفيلا ، فقلت : كفى بالله كفيلا ، فرضي بك ، وسألني شهيداً فقلت : كفى بالله شهيداً ، فرضي بذلك ، وإني جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له فلم أقدر ، وإني استو دعكها ، فرمى بها في البحر ، ثم انصرف ، وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده .

فخرج الرجل الذي كان أسلفه ، ينظر لعل مركباً قد جاء بماله ، فإذا بالخشية التي فيها المال ، فأخذها لأهله حطباً ، فلما نشرها وجد المال والصحيفة . ثم أقدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار ، فقال : والله ما زلت جاهداً في طلب مركبة لآتيك بمالك ، فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه ، قال : هل كنت بعثت إلي شيء ؟ قال : أخبرك أني لم أجد مركباً قبل الذي جئت فيه . قال : فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشية ، فانصرف بالألف دينار راشدا([2])

---

(2)صحيح مسلم ، ج3،ص1345

(1)صحيح البخاري ،ج2،ص801

قال الخليفة أبو بكر (رضي الله عنه): ((الصدق أمانة والكذب خيانة))[1]
أعلن الخليفة أبو بكر (رض) مبدأ أساسياً تقوم عليه خطته في قيادة الأمة وهو :أن الصدق بين الحاكم والأمة هو أساس التعامل، وهذا المبدأ السياسي الحكيم له الأثر الهام في قوة الأمة حيث ترسيخ جسور الثقة بينها وبين حاكمها إنه خلق سياسي منطلق من دعوة الإسلام إلى الصدق.
قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}([2]) ومن التحذير منه قول رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم: ((ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولاينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر))([3]) .
فهذه الكلمات) الصدق أمانة) اكتست بالمعاني، فكأن لها روحاً تروح بها وتغدو بين الناس، تلهب الحماس، وتصنع الأمل، (والكذب خيانة) وهكذا يأبى أبو بكر إلا أن يمس المعاني، فيسمي الأشياء بأسمائها، فالحاكم الكذاب هو ذلك الوكيل الخائن الذي يأكل خبز الأمة ثم يخدعها، فما أتعس حاكم يتعاطى الكذب فيسميه بغير اسمه، لقد نعته الصديق بالخيانة، وأنه عدو أمته الأول .. وهل بعد الخيانة من عداوة .
حقا لازال الصديق يطل على الدنيا من موقفه هذا فيرفع أقواماً ويسقط آخرين . وتظل صناعة الرجال أرقى فنون الحكم، إذ هم عدة الأمة ورصيدها الذي تدافع به عن نفسها ملمات الأيام.
ولا شك أن من تأمل كلمات أبي بكر تلك أصدقته الخبر بأن الرجل كان رائداً في هذا الفن الرفيع، فقد كان يسير على النهج النبوي الكريم.
إن شعوب العالم اليوم تحتاج إلى هذا المنهج الرباني في التعامل بين الحاكم والمحكوم لكي تقاوم أساليب تزوير الانتخابات وتلفيق التهم، واستخدام الإعلام وسيلة لترويج اتهامات باطلة لمن يعارضون الحكام أو ينتقدونهم، ولابد من إشراف الأمة على التزام الحكام بالصدق والأمانة من خلال مؤسساتها التي تساعدها على تقويم ومحاسبة الحكام إذا انحرفوا، فتمنعهم من سرقة إرادتها، وشرفها، وحريتها وأموالها.

الحاكم بين الأمانة والخيانة :

الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام مَعنيّ بإقامة الحق في كل شؤون الدولة الإسلاميّة التي كان يقودها: صغيرها وكبيرها؛ لأن هذه الدولة ينبغي أن تكون مظهر الإرادة الإلهيّة في القسط، وصورةً العدل بين الناس.
وللحاكم الذي تُعهدَ إليه مسؤولية إدارية أو قضائية في هذه الدولة خصائص مرتبطة بالعدل ومقترنة بالحق. من هنا جاء تأكيد الإمام في رسائله على الاختيار الصالح للمسؤولين وفق قيم أساسية تحقّق الواقع الإسلامي المطلوب.
في رسالته التي بَعَث بها إلى (رفاعة) قاضِيه على الأهواز.. يحذّر الإمام عليه السّلام

---

(1) الطبري ،محمد بن جرير ،تاريخ الرسل والملوك ، ط1،،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1407هـ ،،ص238
(2) سورة التوبة ،الآية ،119
(3) صحيح مسلم ،ج1،ص102

من اختيار الخائن لهذه الأمانة الإلهية الخطيرة.
كتب عليه السلام :
((اعلَمْ يا رفاعةُ أنّ هذهِ الإمارةَ أمانة، فمَن جَعَلها خيانةً فعَلَيه لعنةُ اللهِ إلى يومِ القيامة. ومَن استعمَلَ خائناً فإنّ محمداً صلّى الله عليه وآله بَريءٌ منه في الدنيا والآخرة)) ([1]) والإمام عليّ عليه السّلام بصيرٌ بالرجال، نَقّادٌ عارف يميّز حقائق الأمور. وله من بصيرته المتألّهة الثاقبة ما يحقّق الأمن والخير لو أصغِي إلى رأيه، وانقاد الناس إلى نور بصيرته.
و هو عليه السّلام يحذّر مالك الاشتر نمطاً من أصحاب المواقع الاجتماعية والسياسية الذين يتسلّقون عبرها ليكونوا في مواقع القيادة مع كل حُكْم، ومع كل حاكم. ومثل هؤلاء ينبغي ـ في الرؤية العلوية ـ أن يُعزَلوا عن قيادة الجماهير ويُمنَعوا من تقلّد المسؤوليات أو التأثير في المسؤولين، وإن كانت لهم خبرة وبَصرَ بأمور البلاد، ذلك أنّهم يحملون تاريخاً سيّئَ الصيت، ممّا يجعل الخسارة بهم أكبر من الربح.
قال الأمام علي (عليه السلام) من كانت له عند الناس ثلاث وجبت له عليهم ثلاث ، من أحدثهم صدقهم ، وإذا ائتمنوه لم يخنهم ،وإذا وعدهم وفي لهم ، وجب له عليهم إن تحبه قلوبهم وتنطق بالثناء عليه ألسنتهم وتظهر له مؤنتهم ([2]) .
وينقل في تفسير الدر المنثور عن الإمام علي (عليه السلام) أيضا انه قال :
((حق على الإمام إن يحكم بما انزل اللّه وان يؤدي الأمانة , فإذا فعل ذلك نحق على الناس إن يسمعوا له وان يطيعوا وان يجيبوا إذا دعوا))[3] ونطالع في نهج البلاغة أيضا, إن أمير المؤمنين (ع) قال في كتابه إلى والي أذربيجان :
((وان عملك ليس بطعمة ولكنه في عنقك أمانة))([4]) ومن البديهي إن هذه الروايات لا تحجم المفهوم الواسع للآية التي توصي بالمحافظة على جميع الأمانات , بل وكما هو واضح لدينا فإنها تمثل المصداق الواضح للأمانة الإلهية .
ومما لاشك فيه أيضا إن الذي ينظر إلى هذه المناصب بعين الأمانة الإلهية , فان أسلوبه في التعاطي مع هذا الأمر يختلف كثيرا عن ذلك الذي ينظر لها على أنها ملك مطلق له , وكذا الحال بشان الأموال والثروات , فان القرآن الكريم يعبر عنها أيضا بأنها عبارة عن أمانة إلهية بين يدي الناس , موضحا بان المالك الأصلي لها هو اللّه تبارك وتعالى , وهو الذي أودعها بأيدي الناس أياما معدودات , وهو قوله تعالى : (وآمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه)([5])
ومن المسلم به إن صرف الأموال المودعة بعنوان أمانة لدى الإنسان في الموارد

---

(1)القاضي النعمان ، دعائم الإسلام , تحقيق عارف تامر ، الناشر :دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ج2 , ص 531

(2)القرطبي، أبي عمر يوسف بن عبدا لله بن محمد ، بهجة المجالس وانس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس ، تحقيق محمد مرسي الخولي ،دار الكتب لعلمية ،بيروت ،لبنان ، ص574

(3) جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور. ج3 , ص 175.
(4)ابن أبي الحديد، نهج البلاغة ،ج5،ص34
(5)سورة الحديد ، الآية ،7

الخاصة التي يـجيزها صاحب تلك الأموال لا يوجد فيه أية صعوبة , في حين إن الإنسان لو كان هو المالك الأصلي لها, فان صرف تلك الأموال ليس سهلا عليه .
قيل للقمان الحكيم : الست عبد بني فلان ؟ قال بلى قيل فما بلغ بك ماترى قال :- تقوى الله وصدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لايفيد([1])

قال نافع : طاف ابن عمر سبعا وصلى ركعتين فقال له رجل من قريش مااسرع ما طفت وصليت يا ابا عبد الرحمن وخرجت :فقال له ابن عمر انتم اكثر منا طوافا وصياما ،ونحن خير منكم ،نحن نلزم صدق الحديث وأداء الامانه وانجاز الوعد ([2])

قال الشاعر:
إن الأمير إذا استعان بخائن كان الأمير شريكه في المأثم([3])
قال الشاعر
إذ أنت حملت الخئون أمانة فانك قد أسندتها شر مسند([4])
قال الشاعر
تصنع كي يقال له أمين وما معنى التصنع للامانه المصدر([5])
ولم يرد الإله به ولكن أراد به الطريق إلى الخيانة([6])
وقال أخر :
هو الذئب أو للذائب أوفى أمانة وما منهما إلا أذل خئون([7])
انشد ابن إسماعيل لنفسه :
الايرى ألا الدنيا طالبا فيها ديانه
وإذا قيل أمين قد تحلى بلامانه
وقع التحصيل منه بين غدر وخيانة
وقال أخر :
لايخون الأمين شيا ربما تحسب الخؤون أمينا([8])
وقال أخر :
الإرب من تقتده لك ناصحا ومؤتمنا بالغيب غير أمين
حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن عاصم قال : كان عمر ابن الخطاب إذا بعث عاملا يشترط عليه أربعا :

---

(3) القرطبي ،بهجة المجالس ،ص574
(4)المصدر نفسه ،ص574
(3) المصدر نفسه ،ص576
(2)الراغب الأصفهاني ،محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ،تحقيق: عمر فاروق الطباع ، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع،2001،ج1،ص114
(5) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء 169/1
(6) ابن عبد ربه ، العقد الفريد 326/2
(7) القرطبي ،بهجة المجالس ، ص577
(8) المصدر نفسه ، ص578

إلا يركب البراذين ،ولا يلبس الرقيق ،ولايا كل النقي ولا يتخذ بوابا وببناء يبنى بحجارة وجص ،فقال لمن هذا ؟ فذكوا عاملا له على البحرين ،فقال ((أبت الدراهم إلا تخرج أعناقها)) وشاطره ماله ،وكان يقول ((لي على كل خائن أمنيان ، المال والطين)([1])

أن امرأة من قريش كان بينها وبين رجل خصومة فأراد إن يخصمها إلى عمر فاهدت المرأة إلى عمر فخذ جزوز ثم خاصمته إليه فوجه القضاء عليها ،فقال : يامير المؤمنين ،افصل القضاء بيننا كما يفصل فخذ الجزور فقضى عليها عمر وقال إياكم والهدايا ،وذكر القصة ([2])

قال عمر بن الخطاب ،أيها الناس ،اقرؤا القران تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله واني وجدت ماولاني الله إلا بثلاث :أداء الأمانة ،والأخذ بالقوة والحكم بما انزل الله ([3])

ووجدت في كتاب الإمام علي بن أبي طالب (ع) وجهه إلى ابن عباس حين اخذ من مال البصرة ما اخذ):((إني اشركتك في أمانتي ولم يكن رجل من أهلي أوثق منك في نفسي ،فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب ،والعدو قد حرب قلبت لابن عمك ظهر المجن بفراقه من المفارقين وخذلانه مع الخاذلين واختطفت ما قدرت عليه من أموال ألامه اختطاف الذئب الازل دامية المعزى))([4]) حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن جويرية بن أسماء قال : ((إن الرجل ليكون أمينا فإذا رأى الضياع خان)) ([5])

وقرأت في التاج إن ابرويز قال لصاحب بيت المال : ((لا تتعوض بخير شرا ولا برفعة ضعة ولا بسلامة ندامة ولا بأمانة خيانة)) ([6])

وكان يقال :((كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينا للخونة)) ([7])

ذكر إعرابي رجلا خائنا فقال : (أن الناس يأكلون أمانتهم لقما وان فلان يحسوها حسوا) ([8]) .

إما الاسترسال بالخيانة فضعة ،لان بذل الخيانة مهين ،ولقلة الثقة به مستكين.

وقد قيل في منثور الحكم (من يخن يهن)([9])لاتؤخر الأمانة تخان .

وعن أبي عبدا لله الحسين بن علي (عليه السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شارب الخمر إن مرض فلا تعوده وان مات فلا تحضروه وان شهد فلا تزكوه وان خطب فلا تزوجوه وان سألكم أمانة فلا تأتمنوه([10]) .

---

(1) ابن قتيبة الدينوري ،ت ،276عيون الإخبار ، مجلد 1-2 باب كتمان السر وإفشاؤه،ص52

(2) ابن قتيبة ،عيون الإخبار ، المجلد 1- 2 ،ص53

(3) المصدر نفسه ،ص55
(4) المصدر نفسه ،ص57
(5)المصدر نفسه ،ص59
(6) المصدر نفسه ،ص59
(7) المصدر نفسه ،ص59
(8) المصدر نفسه ،ص60
(1)ماجد فخري الفكر الأخلاقي العربي، الأهلية والتوزيع،بيروت ،1978،ص134

(10)العاملي ،محمد بن الحسن (ت1104هـ)وسائل الشيعة ،مؤسسة أل البيت ،قم ،1409هـ،ج25،ص311

وعن أبي عبدا لله الحسين (عليه السلام) :
لا نتظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده فان ذلك شيء اعتاده فلو تركه استوحش لذلك ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته([1]) .

عن الإمام علي عليه السلام من كف غضبه وبسط رضاه وبذل معروفه ووصل رحمه وادي أمانته جعله الله تعالى في نوره الأعظم يوم القيامة ([2])
وعن أمير المؤمنين علي (عليه السلام)انه كتب إلى رفاعه
(أد أمانتك ووف صفقتك ولاتخن من خانك وأحسن إلى من أساء إليك)
وكافئ من أحسن إليك واعف عن ظلمك وادع لمن نصرك وأعط من حرمك وتواضع لمن أعطاك واشكر الله ما أولاك واحمده على ما أبلاك ([3])
وقد ذكر الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)في الفتنه حينما ذكرت الفتنه قال ،إذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفرت أمانتهم وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه قال وحينما سئل (صلى الله عليه وسلم)كيف افعل ذلك جعلني الله فداك قال ألزم بيتك وامسك عليك لسانك وخذ ما تعرف وذر ماتنكر وعليك بأمر خاصة نفسك وذر عنك أمر العامة ([4])
عن علي بن الحسين (عليه السلام)قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه فان لم تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير([5])

في كتاب الدرة الباهرة قال النبي (صلى الله عليه وسلم)
(العلم وديعة الله في أرضه والعلماء أمناؤه عليه فمن عمل بعمله أدى أمانته ومن لم يعمل بعمله كتب في ديوان الخائنين) ([6])

وعن أبي عبدا لله الحسين (عليه السلام)
(ودع رجلا فقال استودع الله (دينك وأمانتك)وزودك زاد التقوى ووجهك الله للخير حيث توجهت) ([7])

وعن أبي عبدا لله الحسين (عليه السلام) قال ،قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :
(كان إذا ودع رسول الله (صلى الله عليه وسلم)رجلا قال استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك ووجهك للخير حيثما توجهت ورزقك التقوى وغفر لك الذنوب)([8])

---

(1) المصدر نفسه ،ج18،ص447
(2)المحدث النوري ،(ت1320هـ)مستدرك الوسائل (مؤسسة آل البيت ،قم، 1408،هـج14،ص5
(3)المصدر السابق ،ج14،ص9
(4)المصدر نفسه ،ج11،ص386
(5) المصدر نفسه ،ج14،ص187
(6) المصدر نفسه ،ج14،ص274
(7) العاملي ،وسائل الشيعة ،ج11،ص407
(8)المصدر نفسه ،ج11،ص407

وعن سبط الطبرسي في مشكاة الأنوار ،نقلا من كتاب المحاسن
عن أبي عبدا لله الحسين (عليه وسلم)قال (أدو الأمانة ولو إلى قاتل الحسين بن علي (عليه السلام))([1])

وعن أبي عبدا لله الحسين (عليه وسلم) قال :
(ثلاثة لابد من أدائهن على كل حال الأمانة والفاجر والوفاء بالعهد إلى البر وبر الوالدين)([2]) .

المبحث الثالث رسائل تراثية في الأخلاق و الحث على الأمانة ونبذ الخيانة

أولا :كتاب الخليفة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)إلى مالك الاشتر عندما ولاه مصر([3])

و قد احتوى على جميع ما يحتاج إليه الوالي بل كل أحد من الأمور الاجتماعية وسياسة الرعية أوردناه بطوله نقلا عن نهج البلاغة وهذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الاشتر في عهده إليه حين ولاه مصر جباية خراجها و جهاد عدوها و استصلاح أهلها و عمارة بلادها ....

التقوى :([4])

أمره بتقوى الله و إيثار طاعته و إتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه و سننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها و لا يشقى إلا من جحودها وإضاعتها و أن ينصر الله سبحانه بيده و قلبه و لسانه فانه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره و اعز من اعزه و أمره أن يكسر من نفسه عند الشهوات و ينزعها عند الجمحات فان النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله.

السيرة الحسنه ([5])

ثم اعلم يا مالك إني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل و جور و ان

---

(1) لمحدث النوري ، مستدرك الوسائل ،ج14،ص10
(2)المصدر نفسه ،ج14،ص10
(2)ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،ج17،ص30-118
(2) المصدر نفسه ،ج17، ص35 [4]
(1) المصدر نفسه ،ج17،ص 38 [5]

الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبـلك و يقولون فيك ما كنت تقوله فيهم و إنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على السن عباده فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح فاملك هواك و شح بنفسك عما لا يحل لك فان الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحبت أو كرهت .

الرعية:([1])
و اشعر قلبك الرحمة للرعية، و المحبة لهم، و اللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم فأنهم صنفان إما أخ لك في الدين و إما نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل و تعرض لهم العلل و يؤتى على أيديهم في العمد و الخطأ.

فأعطهم من عفوك و صفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فانك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك و الله فوق من ولاك، و قد استكفاك أمرهم و ابتلاك بهم فلا تنصبن نفسك لحرب له، فانه لا يدمى لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه و رحمته و لا تندمن على عفو، ولا تبجحن بعقوبة، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت عنها مندوحة، ولا تقولن إني مؤمر آمر فأطاع فان ذلك إدغال في القلب و منهكة للدين، و تقرب من الغير.
الكبر ([2])
و إذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة فانظر إلى عظم ملك الله فوقك و قدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فان ذلك يطامن إليك من طماحك و يكف عنك من غربك و يفيء إليك بما عزب عنك من عقلك و إياك و مساماة الله في عظمته و التشبه به في جبروته فان الله يذل كل جبار و يهين كل مختال.

الإنصاف ([3])
أنصف الله و أنصف الناس من نفسك خاصة اهلك و من لك هوى فيه من رعيتك فانك إن لا تفعل تظلم. و من ظلم عبدالله كان الله خصمه دون عباده و من خاصمه الله ادحض حجته و كان لله حربا حتى ينزع و يتوب. و ليس شيء ادعى إلى تغيير نعمة الله و تعجيل نقمته من إقامة على ظلم. فان الله يسمع دعوة المضطهدين و هو للظالمين بالمرصاد.

العدل ([4])
و ليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق و أعمها في العدل و اجمعها لرضي الرعية فان سخط العامة يجحف برضا الخاصة و ان سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة و ليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء و اقل معونة له في البلاء و

---

[1] (2) بن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،ج17، ص50
[2] (3) المصدر نفسه ،ج17،ص53
(1) بن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،ج17، 63
(2) المصدر نفسه ،ج17،ص 65

اكره للإنصاف و أسأل بالإلحاف و اقل شكرا عند الإعطاء و أبطأ عذرا عند المنع و اضعف صبرا عند ملمات الدهر من أهل الخاصة، و إنما عمود الدين و جماع المسلمين و العدة للأعداء العامة من ألامه، فليكن صفيك لهم و ميلك معهم.

الوشاة : ([1])

ليكن ابعد رعيتك منك و اشنأهم عندك اطلبهم لمعايب الناس فان في الناس عيوبا الوالي أحق من سترها، فلا تكشفن عما غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك و الله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك و أطلق عن الناس عقدة كل حقد و اقطع عنك سبب كل وتر و تغاب عن كل ما لا يصلح لك، و لا تعجلن على تصديق ساع فان الساعي غاش و ان تشبه بالناصحين .

الاستشارة: ([2])

و لا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل و يعدك الفقر، و لا جبانا يضعفك عن الأمور، و لا حريصا يزين لك الشره بالجور فان البخل و الجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله.

الوزير([3])

إن شر وزرائك من كان قبلك للأشرار وزيرا، و من شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة فأنهم أعوان آثمة و إخوان ظلمة و أنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم و نفاذهم و ليس عليه مثل آصارهم و أوزارهم و آثامهم ممن لم يعاون ظالما على ظلمه، و لا آثما على إثمه أولئك أخف عليك مؤونة و أحسن لك معونة و أحنى عليك عطفا و اقل لغيرك إلفا، فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك و حفلاتك ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك و اقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه واقعا ذلك من هواك حيث وقع. من ينبغي ان يجالسهم و الصق بأهل الورع و الصدق، ثم رضهم على ان لا يطروك و لا يبجحوك بباطل لم تفعله فان كثرة الإطراء تحدث الزهو و تدني من العزة.

المحسن و المسيء ([4])

و لا يكونن المحسن و المسيء عندك بمنزلة سواء، فان في ذلك تزهيدا لأهل الإحسان في الإحسان و تدريبا لأهل الإساءة على الإساءة و الزم كلا منهم ما الزم نفسه .

---

(3) المصدر نفسه ،ج17،ص 70
(1) بن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،ج17، ص76
(2) المصدر نفسه ،ج17،ص77 3
(3) المصدر نفسه ،ج17،ص79 4

الإحسان: ([1])

اعلم انه ليس شيء بادعى إلى حسن ظن وال برعيته من إحسانه إليهم و تخفيف المؤنات عليهم، و ترك استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم، فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك فان حسن الظن يقطع عنك نسبا طويلا فان أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده، و ان أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده.

السنة([2])

و لا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة و اجتمعت بها الألفة و صلحت عليها الرعية، و لا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن فيكون الأجر لمن سنها و الوزر عليك بما نقضتها .

العلماء([3])

أكِثر مدارسة العلماء و مناقشة الحكماء، في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك و إقامة ما استقام به الناس قبلك.

طبقات المجتمع: ([4])

اعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض و لا غنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله و منها كتاب العامة و الخاصة و منها قضاة العدل و منها عمال الإنصاف و الرفق ومنها أهل الجزية و الخراج من أهل الذمة و مسلمة الناس، و منها التجار و أهل الصناعات و منها الطبقة السفلى من ذوي الحاجات و المسكنة .

و كل قد سمى الله له سهمه و وضع على حده و فريضته في كتابه أو سنة نبيه(صلى الله عليه وآله و سلم) عهدا منه محفوظا فالجنود بإذن الله حصون الرعية و زين الولاة و عز الدين و سبل الأمن و ليس تقوم الرعية إلا بهم .

ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدوهم و يعتمدون عليه فيما يصلحهم و يكون من وراء حاجتهم ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاء و العمال و الكتاب لما يحكمون و يجمعون من المنافع و يأتمنون عليه من خواص الأمور و عوامها و لا قوام لهم جميعا إلا بالتجار و ذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم و يقيمونه من أسواقهم و يكفونهم من

---

(4) بن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،ج17، ص80 1

(1) المصدر نفسه ،ج17،ص88

(2) المصدر نفسه ،ج17،ص89

(3) المصدر نفسه ،ج17،ص92

الترفق بأيديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم. ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة و المسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم و في الله لكل سعة و لكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه .

الاستعانة بالله تعالى:

ليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله تعالى من ذلك إلا بالاهتمام و الاستعانة بالله و توطين نفسه على لزوم الحق و الصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل.

قادة الجيوش([1])

جنودك انصحهم في نفسك لله و لرسوله و إمامك و أنقاهم جيبا و أفضلهم حلما ممن يبطئ عن الغضب و يستريح إلى العذر و يرأف بالضعفاء و ينبو على الأقوياء و ممن لا يثيره العنف و لا يقعد به الضعف، ثم الصق بذوي المروءات و الأحساب و أهل البيوت الصالحة و السوابق الحسنة ثم أهل النجدة و الشجاعة و السخاء و السماحة فأنهم جماع من الكرم و شعب من العرف .

رعايتهم: ([2])

ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما و لا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به و لا تحقرن لطفا تعاهدتهم به و ان قل فانه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك و حسن الظن بك و لا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالا على جسيمها فان لليسير من لطفك موضعا ينتفعون به و للجسيم موقعا لا يستغنون عنه.

سياسته معهم:

أن يكون جندك همهم واحداً في جهاد العدو فان عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك و إن أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد و ظهور مودة الرعية و انه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم و لا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة أمورهم و قلة استثقال دولهم و ترك استبطاء انقطاع مدتهم فأفسح في آمالهم و واصل في حسن الثناء عليهم و تعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم فان كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع و تحرض الناكل إن شاء الله تعالى ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى و لا تضيفن بلاء امرئ إلى غيره و لا تقصرن به دون غاية بلائه و لا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه .

الرجوع للمصادر الشرعية:

ارجع إلى الله و رسوله ما يشتبه عليك من الأمور فقد قال الله سبحانه و تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله و الرسول) فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه و الرد إلى الرسول الأخذ

---

(1)بن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،ج17، ص99

(2)بن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،ج17، ص110

بسنته الجامعة غير المفرقة .

اختيار القضاة:

ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور و لا تحكمه الخصوم و لا يتمادى في الزلة و لا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه. و لا تشرف نفسه على طمع و لا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه أوقفهم في الشبهات و آخذهم بالحجج و اقلهم تبرما بمراجعة الخصم و أصبرهم على تكشف الأمور و أصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزدهيه إطراء و لا يستميله إغراء و أولئك قليل. ثم اكثر تعاهد قضائه و أفسح له في البذل ما يزيل علته و تقل معه حاجته إلى الناس. و أعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك . فانظر في ذلك نظرا بليغا فان هذا الدين قد كان أسيرا في أيدي الأشرار يعمل فيه بالهوى و يطلب به الدنيا .

اختيار العمال و الولاة: ([1])

ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختبارا و لا تولهم محاباة و أثرة فأنهما جماع من شعب الجور و الخيانة. و توخ منهم أهل التجربة و الحياء من أهل البيوت الصالحة و القدم في الإسلام المتقدمة فأنهم أكرم أخلاقا و اصح أعراضا و اقل في المطامع إشرافا و ابلغ في عواقب الأمور نظرا ثم أسبغ عليهم الأرزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم و حجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك، ثم تفقد أعمالهم و ابعث العيون من أهل الصدق و الوفاء عليهم فان تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة و الرفق بالرعية و تحفظ من الأعوان .

خيانة العمال:

فان أحدا منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدا فبسطت عليه العقوبة في بدنه و أخذته بما أصاب من عمله ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة و قلدته عار التهمة .

الخراج و مالية الدولة:([2])

و تفقد أمر الخراج بما يصلح أهله فان في إصلاحه و صلاحهم صلاحا لمن سواهم و لا صلاح لمن سواهم إلا بهم لان الناس كلهم عيال على الخراج و أهله. و ليكن نظرك في عمارة الأرض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج لان ذلك لا يدرك إلا بالعمارة و من طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد و اهلك العباد و لم يستقم أمره إلا قليلا فان شكوا ثقلا أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو أحالة ارض اغتمرها غرق أو أجحف بها

---

(1) بن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،ج17، ص 115

(2) بن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،ج17، ص117

عطش خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم و لا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم فانه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك و تزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم و تبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمدا فضل قوتهم بما ذخرت عندهم و الثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم و رفقك بهم فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد اجتملوه طيبة أنفسهم به فان العمران محتمل ما حملته و إنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها و إنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع و سوء ظنهم بالبقاء و قلة انتفاعهم بالعبر .

الكتاب و أصحاب الديوان: ([1])

انظر في حال كتابك فول على أمورك خيرهم و اخصص رسائلك التي تدخل فيها مكايدك و أسرارك بأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجترئ بها عليك في خلاف لك بحضرة ملأ و لا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك و إصدار جواباتها على الصواب عنك و فيما يأخذ لك و يعطي منك و لا يضعف عقدا اعتقده لك و لا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك و لا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور فان الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره اجهل ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك و حسن الظن منك فان الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم و حسن خدمتهم و ليس وراء ذلك من النصيحة و الأمانة شيء و لكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثرا و اعرفهم بالأمانة وجها. فان ذلك دليل على نصيحتك لله و لمن وليت أمره .

فنون الكتابة:

اجعل لرأس كل أمر من أمورك رأسا منهم لا يقهره كبيرها و لا يتشتت عليه كثيرها و مهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه ألزمته.

التجار والاحتكار:

استوص بالتجار و ذوي الصناعات و أوص بهم خيرا المقيم منهم و المضطرب بماله و المترفق ببدنه فأنهم مواد المنافع و أسباب المرافق و جلابها من المباعد و المطارح فيبرك و بحرك و سهلك و جبلك و حيث لا يلتئم الناس لمواضعها و لا يجترؤون

(1) بن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،ج17، ص 125

عليها، فأنهم سلم لا تخاف بائقته و صلح لا تخشى غائلته، و تفقد أمورهم بحضرتك و في حواشي بلادك، و اعلم مع ذلك إن في كثير منهم ضيفا فاحشا و شحا قبيحا و احتكارا للمنافع و تحكما في البياعات و ذلك باب مضرة للعامة و عيب على الولاة، فامنع من الاحتكار فان رسول الله(صلى الله عليه وآله) منع منه و ليكن البيع بيعا سمحا بموازين عدل و أسعار لا تجحف بالفريقين من البائع و المبتاع. فمن قارف حكره بعد نهيك إياه فنكل به و عاقبه من غير إسراف.

الفقراء: ([1])

هؤلاء في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين و المحتاجين و أهل البؤسى و الزمنى فان في هذه الطبقة قانعا و معترا و أحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما من بيت مالك و قسما من غلاة صوافي الإسلام في كل بلد فان للأقصى منهم مثل الذي للأدنى و كل قد استرعيت حقه و لا يشغلنك عنهم بطر فانك لا تعذر بتضييع التافه لأحكامك الكثير المهم .

فلا تشخص همك عنهم، و لا تصعر خدك لهم، و تفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون و تحتقره الرجال ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية و التواضع فليرفع إليك أمورهم ثم اعمل فيهم بالأعذار إلى الله سبحانه يوم تلقاه فان هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم فاعذر إلى الله في تأدية حقه إليه، و تعهد أهل اليتم و ذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له و لا ينصب للمسالة نفسه و ذلك على الولاة ثقيل و الحق كله ثقيل و قد يخففه الله على أقوام طلبوا العافية فصبروا أنفسهم و وثقوا بصدق موعود الله لهم .

أصحاب الحاجات و المصالح ([2])

اجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك و تجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذي خلقك و تقعد عنهم جندك و أعوانك من حراسك و شرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متعتع فإني سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله و سلم) يقول في غير موطن لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متعتع ثم احتمل الخرق منهم و عنهم الضيق و يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته و يوجب لك ثواب طاعته.الإعطاء و المنع و أعط ما أعطيت هنيئا و امنع في إجمال و أعذار .

واجباته المباشرة([3])

ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك و منها إصدار حاجات الناس عند ورودها عليك بما تحرج به صدور أعوانك. عدم إدخال عمل يوم في يوم و امض لكل يوم عمله، فان لكل يوم ما فيه .

---

(1) بن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،ج17، ص 130

(1) بن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،ج17، ص 140
(2) المصدر نفسه ،144

أداء الفرائض:

اجعل لنفسك فيما بينك و بين الله أفضل تلك المواقيت و أجزل تلك الأقسام و إن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية و سلمت منها الرعية، و ليكن في خاصة ما تخلص لله به دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصة فأعط الله من بدنك في ليلك و نهارك و وف ما تقربت به إلى الله سبحانه من ذلك كاملا ولا منقوص بالغا من بدنك ما بلغ و إذا قمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفرا ، فان في الناس من به العلة و له الحاجة و قد سالت رسول الله (صلى الله عليه وآله و سلم) حين وجهني إلى اليمن كيف أصلي بهم فقال صل بهم صلاها ضعفهم و كن بالمؤمنين رحيما .

الاحتجاب عن الناس:

و أما بعد هذا فلا تطولن احتجابك عن رعيتك فان احتجاب الولاة عن الرعية شعور بالضيق و قلة علم بالأمور و الاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير و يعظم الصغير و يقبح الحسن و يحسن القبيح و يشاب الحق بالباطل و إنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور و ليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب و إنما أنت أحد رجلين إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق من واجب حق تعطيه أو فعل كريم تسديه أو مبتلى بالمنع فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا يأسوا من بذلك مع إن أكثر حاجات الناس إليك ما لا مؤونة فيه عليك من شكاة مظلمة أو طلب إنصاف في معاملة .

الخاصة والحاشية: ([1])

إن للوالي خاصة و بطانة فيهم استئثار و تطاول و قلة إنصاف في معاملة فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال و لا تقطعن لأحد من حاشيتك و لا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم و عيبه عليك في الدنيا و الآخرة و الزم الحق من لزمه من القريب و البعيد و كن في ذلك صابرا محتسبا واقعا ذلك من قرابتك و خاصتك حيث وقع و ابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه، فان مغبة ذلك محمودة.

جانب إعلامي([2])

وان ظنت الرعية بك حيفا قدم لهم بعذرك و اعدل عنك ظنونهم بإقدامك فان في ذلك رياضة منك لنفسك و رفقا برعيتك و أعذار تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق .

العدو والعهد:

---

(1) بن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،ج17، ص 140

(2) بن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،ج17، ص 166

لا تدفن صلحا دعاك إليه عدوك لله فيه رضى فان في الصلح دعه لجنودك و إراحة من همومك و أمنا لبلادك و لكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فان العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم و اتهم في ذلك حسن النية و ان عقدت بينك و بين عدو لك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء و ارع ذمتك بالأمانة و اجعل نفسك جنة دون ما أعطيت فانه ليس من فرائض الله شيء الناس اشد عليه اجتماعا مع تفرق أهوائهم و تشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود و قد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين فلا تغدرن بذمتك و لا تخن بعهدك و لا تختلن عدوك فانه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي و قد جعل الله عهده و ذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته و حريما يسكنون إلى منعته و يستفيضون إلى جواره فلا خداع فيه، و لا تعقد عقدا تجوز فيه العلل و لا تعولن على لحن القول بعد التأكيد و التوثقة ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق فان صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه و فضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته و أن تحيطه بك من الله طلبة لا تستقبل فيها دنياك و لا آخرتك.

سفك الدماء: ([1])

وإياك و الدماء و سفكها بغير حلها فانه ليس شيء ادعى لنقمة و لا أعظم لتبعة و لا أحرى بزوال نعمة و انقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها و الله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فان ذلك مما يضعفه و يوهنه بل يزيله و ينقله و لا عذر لك عند الله و لا عندي في قتل العمد و إن ابتليت بخطأ و إفراط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بالعقوبة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تودي إلى أولياء المقتول حقهم .

آداب عامة :

إياك و الإعجاب بنفسك و الثقة بما يعجبك منها و حب الإطراء فان ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين.

المن والوعد:

إياك و المن على رعيتك بإحسانك أو التزيد فيما كان من فعلك أو ان تعدهم فتتبع موعدك بخلفك فان المن يبطل الإحسان و التزيد يذهب بنور الحق و الخلف يوجب المقت عند الله و الناس، قال الله سبحانه و تعالى (كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) .

العجلة:

إياك و العجلة بالأمور قبل أوانها أو التساقط فيها عند إمكانها أو اللجاجة فيها إذا

---

(1) بن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،ج17، ص 176

تنكرت أو الوهن عنها إذا استوضحت. فضع كل أمر موضعه و أوقع كل عمل موقعه.

الاستئثار و التغابي:
إياك و الاستئثار بما الناس فيه أسوة و التغابي عما تعنى به مما قد وضح للعيون فانه مأخوذ منك لغيرك و عما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور ينتصف منك للمظلوم .

الحلم: ([1])
املك حمية انفك و سورة حدك و سطوة يدك و غرب لسانك و احترس من كل ذلك بكف البادرة و تأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار و لن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك و الواجب عليك ان تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة أو سنة فاضلة أو اثر عن نبينا(صلى الله عليه وآله) أو فريضة في كتاب الله فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها و تجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا و استوثقت به من الحجة لنفسي عليك لكي لا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها .

الخاتمة:
أنا أسال الله بسعة رحمته و عظيم قدرته على إعطاء كل رغبة ان يوفقني و إياك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه و إلى خلقه من حسن الثناء في العباد و جميل الأثر في البلاد و تمام النعمة و تضعيف الكرامة و ان يختم لي و لك بالسعادة و الشهادة أنا إلى الله راغبون و السلام على رسول الله(صلى الله عليه وآله و سلم) .

و لا بد أن نشير لما ورد أعلاه إن هذا الكتاب ينطوي على معان كثيرة وعميقة تم تبويبها من قبل الباحث وهي معان موجهة للسلوك السوي الشامل والأخلاق الإسلامية وهي شذرات رائعة من سيرة الإمام علي (عليه السلام) وفيما يتعلق بموضوع خيانة الامانه في التاريخ والتراث وكما يلي :

1. يشير الإمام علي (عليه السلام) في كتابه الى مالك الاشتر الى خيانة العمال:

ويشير بموضوعية الى وضع معايير من تثبت خيانته وفق شهادة الشهود فوضعت عليه العقوبة وهي عقوبة خيانة الأمانة فيقول ((فان أحدا منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدا فبسطت عليه العقوبة في بدنه و أخذته بما أصاب من عمله ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة و قلدته عار التهمة)).

(1) بن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،ج17، ص 180

2. وقوله ((لا تخن بعهدك و لا تختلن عدوك فانه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي و قد جعل الله عهده و ذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته و حريما يسكنون إلى منعته و يستفيضون إلى جواره و لا خداع فيه))

ينطوي هذا القول من الكتاب على توجيه حكيم بأهمية الوفاء بالعهود حتى للأعداء والأمانة في التنفيذ ،والالتزام ،فلا يغدو الوالي بذمته ولا يخون بعهد ((وافوا بالعهد أن العهد كان مسؤولا))([1]) ويدخل في العهد كل ما أمر الله به ونهي عنه ، وقال الله تعالى ((والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون))([2])

والأمانة والعهد يجمع كل مايحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه قولا وفعلا ،وهذا يعم معاشرة الناس والمواعيد وغير ذلك ،والأمانة أعم من العهد ،وكل عهد فهو أمانة فيما تقدم فيه قول أو فعل أو معتقد ، ويقول الله تعالى : ((الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق))([3])

وقال الرسول الكريم (ص) ((أد الأمانة إلى من اتئتمك ولاتخن من خانك))([4]) ويقول الله عزوجل ((إن الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات إلى أهلها))([5])

ثانيا -رسالة الإمام الحسن البصري إلى الخليفة عمر بن عبدالعزيز في صفة الإمام العادل([6])

كتب الحسن البصري {رحمه الله } الى الخليفة عمر بن عبد العزيز بصفته الامام العادل :-

اعلم يا أمير المؤمنين، أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل ، و قصد كل جائر ،وصلاح كل فاسد ، و قوة كل ضعيف ، و نصفت كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على إبله ، الرفيق بها ، الذي يرتاد لها أطيب المراعى ، و يذودها عن مراتع الهلكة ، و يحميها من السباع ، و يكنها من أدى الحر و القرّ . والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده ، يسعى لهم صغارا ، ويعلمهم كبارا ، يكتسب لهم في حياته ، ويدخر لهم بعد مماته . والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها ، حملته كرها ، ووضعته كرها ، وربته طفلا تسهر بسهره ، وتسكن بسكونه ، ترضعه تارة وتفطمه أخرى، وتفرح بعافيته ، وتغتمّ بشكايته ،والإمام العادل يا أمير المؤمنين وصى اليتامى ، وخازن

---

(1) سورة الإسراء ، الآية 34
(2) سورة المؤمنون ،الآية، 8 ،وسورة المعراج ،الآية 32
(3)سورة الرعد ،الآية 20
(4) السلمي ،سنن الترمذي ،ج3،ص564
(5)سورة النساء الآية 85
(6) ابن عبد ربة الأندلسي، العقد الفريد ،بيروت ، دار الكتاب العربي ،1983،المجلد الأول ص34-36

المساكين ، يربى صغيرهم ، ويمون كبيرهم. والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوارح ، تصلح الجوارح بصلاحه ، و تفسد بفساده . والإمام العادل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده ، يسمع كلام الله ويسمعهم ، وينظر إلى الله ويريهم ، وينقاد إلى الله ويقودهم . فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله {عز وجل} كعبد ائتمنه سيده ، وستحفظه ماله و عياله ، فبدد المال وشرد العيال ، فأفقر أهله وفرق ماله.

و اعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث و الفواحش ، فكيف إذا أتاها من يليها و أن الله أنزل القصاص حياة لعباده ، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده، فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر .

و أعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلا غير منزلك الذي أنت فيه ، يطول {فيه} وجودك ، و يفارقك أحباؤك ، يسلمونك في قعره فريدا وحيدا . فتزود له ما يصحبك { يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه} وذكر يا أمير المؤمنين{إذا بعثر ما في القبور . وحصل ما في الصدور } ، فالأسرار ظاهرة، والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. فالآن يا أمير المؤمنين وأنت في مهل قبل حلول الأجل ، وانقطاع الأمل . لا تحكم {يا أمير المؤمنين} في عباد الله بحكم الجاهلين ، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين ، فإنهم لا يرقبون في مؤمن ، فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك، وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك . ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك، ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك. لا تنظر إلى قدرتك اليوم ، ولكن انظر إلى قدرتك غدا وأنت مأسور في حبائل الموت ، و موقوف بين يدى الله في مجمع الملائكة {النبيين} والمرسلين ، وقد عنت الوجوه للحى القيوم .إني يا أمير المؤمنين، فأنزل كتابي إليك كمداوى حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة . والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

ينطوي هذا الكتاب على توجيهات أخلاقية وإدارية وهو كتاب شامل للأخلاق وفي قوله تعالى ((إن الله يأمركم إن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس إن تحكموا بالعدل إن الله كان سميعا بصيرا))([1]) مما يفيد تأدية كل الأمانات إلى أهلها وفي مقدمتها ولاية أمور المسلمين إلى من هم اكفياء لها قادرون على ضبطها وعلى حسن إداراتها وإقامة العدل ... ولهذا بين رسول الله (ص)إن الإمام العادل هو أول السبعة الذين يضمهم الله في ظله يوم لأضل ألا ظله ([2]) .

---

(1) سورة النساء ،الآية 58

(2) روي البخاري ومسلم عن أبي هريرة ،قال :قال رسول الله (ص)((سبعة يظلهم الله في ظله يوم لأضل الاضله، : أمام عادل ،وشاب نشأ في عباد ة الله ،ورجل معلق بالمسجد أذا خرج منه حتى يعود إليه ،ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ،ورجل ذكر الله

والأمانة في الإدارة ركن أساسي من أركان العمل القائم على أخلاقيات التعامل ،لان الأمانة من الفروع الخلقية لحب الحق وإيثاره وهي صفة تنم عن سلوك سوي للفرد الذي يعف عما ليس له به حق حتى وان تهيئة له الفرص .ومجالات الأمانة ([1])منها الأمانة في الأموال والمعارف والعلوم والشهادة والقضاء والكتابة والمجالس والإسرار والولاية ،وقد قال الله تعالى((والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون))([2]) ، و(يأيها الذين امنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وانتم تعلمون))([3]) .

ثالثا- وصية طاهر بن الحسين إلى ابنه عبدا لله ([4])

عندما ولى طاهر ابنه عبدا لله بطلب من المأمون أرسل إليه يوصيه في ولايته كان من وصيته:

أن يتقي الله و يخشاه و يلزم العدل في رعيته و يعاملهم بالحسنى.

أن لا يتهم أحدا زورا ما لم يتثبت من صدق ما يقال له، فلا يأخذ الناس بالظن و التهمة، و أن يحسن الظن بأصحابه.

أن ينظر في أمور الرعية بنفسه و يباشر مسائل إمارته دون اتكال على احد و أن يباشر عماله فلا يهملهم.

إقامة حد الله في الخارجين عن الدين و المعتدين على حدود الله و ما حرم فلا يتهاون و لا يؤخر عقوبة لما في ذلك من تفريط.

بذل الأموال في إصلاح أمور الرعية و إعطائهم حقوقهم و عمارة المدينة، حيث أن ادخار الأموال في الخزائن لا يثمر.

تفقد أمور الجند و الدواوين و صرف الأرزاق عليهم كي لا يجوروا على الرعية.

اخذ الخراج من أصحابه و عدم الإسراف فيه، فلا يفعل كبعض الولاة الذين اخذوا الجزية من الموالي المسلمين.

أن يجعل في كل مدينة عاملا أمينا ينقل له أخبار المدينة و سيرة عماله فيطلع على أحوال الرعية و ما يصيبهم.

عدم المن على الرعية بمعروف فعله و أن لا يقبل إلا الوفاء في أمور الخلافة.

اعلم إن القضاء من الله تعالى بالمكان الذي ليس فوقه شيء من الأمور ،لأنه ميزان الله الذي تعدل عليه أحوال الناس في الأرض ،وبإقامة العدل في القضاء والعمل تصلح الرعية وتؤمن السبل وينتصف المظلوم .. ولا ياخذك في احد من رعيتك محاباة ولا مجاملة ،ولا لو مة لائم ،وتثبت وراقب وانظر وتفكر وتدبر واعتبر وتواضع لربك ..

خاليا ففاضت عيناه ،ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال :إني أخاف الله ،ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمنينه،صحيح مسلم ،ج2،ص715

(1) محمد محمد ناشد ،الفكر الإداري في الإسلام ،مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ،دبي ،1997،ص489

(2) سورة المؤمنون ،الآية 8 ،سورة المعراج ،الآية 32

(3) سورة الأنفال ،الآية 27

(4)محمد كرد علي ،الإسلام والحضارة العربية ،القاهرة ،دار الكتب المصرية ،1936،ص2-223-228 بتصرف

إن كتاب طاهر ابن الحسين لولده فد شمل مكارم الأخلاق والشمولية تأتي من الأخلاق العربية الأصيلة المستمدة من القران الكريم والسنة النبوية والتجربة الحياتية .

إن تأكيد العدل في القضاء في الإسلام هو مصداق لقوله تعالى ((أن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل))([1])

إن من ابرز الحكم والتوجيهات التي تضمنها كتاب طاهر بن الحسين تحتاج إلى سفر كبير للشرح والتعليق وإبراز المعاني والحكم ومنها :

1. أللالتزام بتقوى الله وخشيته ومراقبته والمحافظة على الرعية في الليل والنهار.
2. الالتزام بالفرائض والسنن
3. الاقتصاد في الأمور كلها
4. أن يكثر مشاورة الفقهاء وان يأخذ عن أهل التجارب وذي العقل والرأي والحكمة

انه قد جمع الكثير من إطراف الحكمة والبصيرة وهو ذو مضمون تربوي وسلوكي

رابعا: كتاب أبو يوسف رحمه الله إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد) ([2])

هذا الكتاب هو جزء من مقدمة كتاب الخراج لأبي يوسف القاضي إلى هارون الرشيد بناء على طلبه ،كي يعمل في جباية الخراج والعشور والصدقات وقد جاء النص في بداية مقدمة كتاب الخراج على النحو التالي

يا أمير المؤمنين، إن الله وله الحمد قد قلدك أمراً عظيماً: ثوابه أعظم الثواب، وعقابه أشد العقاب. قلدك أمر هذه الأمة فأصبحت وأمسيت وأنت تبني لخلق كثير قد استرعاك الله وائتمنك عليهم، وابتلاك بهم وولاك أمرهم، وليس يلبث البنيان - إذا أسس على غير التقوى - أن يأتيه الله من القواعد فيهدمه على من بناه وأعان عليه. فلا تضيعنَّ ما قلدك الله من أمر هذه الأمة والرعية، فإن القوة في العمل بإذن الله. لا تؤخر عمل اليوم إلى غد، فإنك إذا فعلت ذلك أضعت، إن الأجل دون الأمل، فبادر الأجل بالعمل، فإنه لا عمل بعد الأجل. إن الرعاة مؤدون إلى ربهم ما يؤدي الراعي إلى ربه. فأقم الحق فيما ولاك الله وقلدك ولو ساعة من نهار، فإن أسعد الرعاة عند الله يوم القيامة

---

(1)سورة النساء ،الآية، 58

(2) ابو يوسف ،يعقوب بن إبراهيم ، الخراج ، القاهرة ،المطبعة السلفية ، الطبعة السادسة ، 1397هـ ص3-6

راع سعدت به رعيته، ولا تزغ فتزيغ رعيتك. وإياك والأمر بالهوى والأخذ بالغضب. وإذا نظرت إلى أمرين أحدهما للآخرة والآخر للدنيا، فاختر أمر الآخرة على أمر الدنيا، فإن الآخرة تبقى والدنيا تفنى. وكن من خشية الله على حذر، واجعل الناس عندك في أمر الله سواء القريب والبعيد، ولا تخف في الله لومه لائم. واحذر فإن الحذر بالقلب وليس باللسان، ومن يتق الله يقه. واعمل لأجل مفضوض، وسبيل مسلوك، وطريق مأخوذ، وعمل محفوظ، ومنهل مورود؛ فإن ذلك المورد الحق والموقف الأعظم الذي تطير فيه القلوب، وتنقطع فيه الحجج لعزة ملك قهرهم جبروته، ينتظرون قضاءه، ويخافون عقوبته وكأن ذلك قد كان. فكفى بالحسرة والندامة يومئذ في ذلك الموقف العظيم لمن علم ولم يعمل، يومٌ تزل فيه الأقدام، وتتغير فيه الألوان، ويطول فيه القيام، ويشتد فيه الحساب. يقول الله تبارك وتعالى في كتابه: (وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون) وقال الله تعالى (هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين) وقال الله تعالى (إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين) وقال الله تعالى (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار) وقال الله تعالى (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها)، فيا لها من عثرة لا تُقال، و يا لها من ندامة لا تنفع، وإنما هو اختلاف الليل والنهار: يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود، ويجزي الله كل نفس بما كسبت إن الله سريع الحساب. فاللهَ فإن البقاء قليل والخطب خطير والدنيا هالكة وهالك من فيها، والآخرة هي دار القرار. فلا تلق الله غداً وأنت سالك سبيل المعتدين، فإن ديان يوم الدين إنما يدين العباد بأعمالهم ولا يدينهم بمنازلهم. وقد حذرك الله فاحذر، فإنك لم تخلق عبثاً، ولن تترك سدى. وإن الله سائلك عما أنت فيه وعما عملت به، فانظر ما الجواب واعلم أنه لن تزول غداً قدما عبد بين يدي الله تبارك وتعالى إلا من بعد المسألة فقد قال صلى الله عليه وسلم: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن علمه ما عمل فيه، وعن عمره فيم أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسده فيما أبلاه)، فأعدد يا أمير المؤمنين للمسألة جوابها، فإن ما عملت فأثبتَّ فهو عليك غدا يقرأ، فاذكر كشف قناعك فيما بينك وبين الله في مجمع الأشهاد. وإني أوصيك يا أمير المؤمنين بحفظ ما استحفظك الله، ورعاية ما استرعاك، وأن لا تنظر في ذلك إلا إليه وله. فإنك إن لا تفعل تتوعر عليك سهولة الهدى، وتعمى في عينك وتتعفى رسومه ويضيق عليك رحبه، وتنكر منه ما تعرف، وتعرف منه ما تنكر، فخاصم نفسك خصومة من يريد الفلَج لها لا عليها، فإن الراعي المضيع يضمن ما هلك على يديه مما لو شاء رده عن أماكن الهلكة بإذن الله، وأورده أماكن الحياة والنجاة، فإذا ترك ذلك أضاعه وإن تشاغل بغيره كانت الهلكة عليه أسرع وبه أضر، وإذا أصلح كان أسعد من هنالك بذلك، ووفاه الله أضعاف ما وفى له. فاحذر أن تضيع رعيتك فيستوفي ربها حقها منك ويضيعك بما أضعت أجرك، وإنما يدعم البنيان قبل أن ينهدم. وإنما لك من عملك ما عملت فيمن ولاك الله أمره، وعليك ما ضيعت منه، فلا تنس القيام بأمر من ولاك الله أمره فلست تُنسى. ولا تغفل عنهم وعما يصلحهم فليس يُغفل عنك. ولا يضيع حظك، من الدنيا في هذه الأيام والليالي، من كثرة تحريك لسانك في نفسك بذكر الله تسبيحاً وتهليلاً وتحميداً، والصلاة على رسوله نبي الرحمة وإمام

الهدى صلى الله عليه وسلم. وإن الله بمنه ورحمته جعل ولاة الأمر خلفاء في أرضه، وجعل لهم نوراً يضيء للرعية ما أظلم عليهم من الأمور فيما بينهم وبين ما اشتبه من الحقوق عليهم. وإضاءة نور ولاة الأمر إقامة الحدود، ورد الحقوق إلى أهلها بالتثبت والأمر البين. وإحياء السنن التي سنها القوم الصالحون أعظم موقعاً، فإن أحياء السنن من الخير الذي يحيا ولا يموت. وجور الراعي هلاك الرعية، واستعانته بغير أهل الثقة والخير هلاك للعامة. فاستتمَّ ما آتاك الله يا أمير المؤمنين من النعم بحسن مجاورتها، والتمس الزيادة بالشكر عليها، فإن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه العزيز (لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد). وليس شيء أحب إلى الله من الإصلاح، ولا أبغض إليه من الفساد، والعملُ بالمعاصي كفر النعم. وقلَّ من كفر قوم قط النعمة ثم لم يفزعوا إلى التوبة إلا سلبوا عزهم، وسلط الله عليهم عدوهم. وإني أسأل الله يا أمير المؤمنين الذي منَّ عليك بمعرفته فيما أولاك أن لا يكلك في شيء من أمرك إلى نفسك، وأن يتولى منك ما تولى من أوليائه وأحبائه؛ فإنه وليُّ ذلك والمرغوب إليه فيه.

وقد كتبت لك ما أمرت به وشرحته وبينته، فتفقهْهُ وتدبره وردد قراءته حتى تحفظه، فإني قد اجتهدت لك في ذلك ولم آلُك والمسلمين نصحاً ابتغاء وجه الله وثوابه وخوف عقابه. وإني لأرجو - إن عملتَ بما فيه من البيان - أن يوفر الله لك خراجك من غير ظلم مسلم ولا معاهَد، ويصلح لك رعيتك فإن صلاحهم بإقامة الحدود عليهم، ورفع الظلم عنهم والتظالم فيما اشتبه من الحقوق عليهم، وكتبت لك أحاديث حسنة، فيها ترغيب وتحضيض على ما سألت عنه، مما تريد العمل به إن شاء الله. فوفقك الله لما يرضيه عنك، واصلح بك، وعلى يديك).

<u>ينطوي هذا الكتاب على الكثير من النصائح والإرشادات الأخلاقية :</u>

1. **الحكم مسؤولية وأمانة واختبار ،وعلى الحاكم واجب البناء والعمل ،وان يؤسس ذلك على التقوى ،وان يحافظ ما استحفظه الله ويرعى ما استرعاها لله.**
2. **الايؤخر عمل اليوم إلى الغد ،وليبادر بالعمل ،فالأجل اقرب من الأمل .**
3. **يجب إن الايزيغ الراعي فتزيغ الرعية ،وان يحذر الأمر بالهوى أو الأخذ بالغضب .**
4. **على الحاكم إن يقيم الحدود ويرد الحقوق إلى أهلها ،وان يرفع الظلم عن الناس وليس شيء أحب إلى الله من الإصلاح ولا ابغض إليه من الفساد ،والعمل بالمعاصي هو كفر بالنعم يؤدي إلى زوالها.**

الفصل الرابع
خيانة الامانه في القانون العراقي

المبحث الأول : خيانة الأمانة في القانون العراقي
المبحث الثاني :أركان جريمة خيانة الأمانة

المبحث الأول : خيانة الأمانة في القانون العقوبات العراقي

لقد تطرق قانون العقوبات العراقي بشكل مفصل في بعض مواده عن جريمة خيانة الأمانة بشكل مستفيض لكون هذه الجريمة ما لها من أبعاد اجتماعيــة و اقتصادية على المجتمع بشكل عام و الفرد بشكل خاص و يمكن تقسيم المبحث الى فرعين ، الفرع الأول يتطرق الى التطور التاريخي لجريمة خيانة الأمانة في العراق و الفرع الثاني يتطرق الى الطبيعة القانونية لجريمة خيانة الأمانة .

الفرع الأول : التطور التاريخي لجريمة خيانة الأمانة

كان العراق جزءا من الإمبراطورية العثمانية وكان من الطبيعي أن تحكمه القوانين التي تصدرها الحكومة العثمانية بما فيها الجزاء العثماني لعام 1859 ،لقد عالج هذا القانون جريمة الخيانة في المادة 236 منه وجاء فيه ((من أعطى فتسلم ما كان لغيره من الأموال والأشياء والنقود والتحاويل والسندات المتضمنة كل نوع من التعهدات والإبراء ونحو ذلك سواء كان قد تسلمه بطريق الأمانة والوكالة أو على وجه الاستخدام بأجر أو بدونه ليريه أو ليستعمله على صورة معينة أو ليحفظه وبالجملة كل من وجد في يده شيء من ذلك فيكتمه لمنفعته أو لمنفعة غيره أو بدله أو تصرف فيه وتمكنه واستهلاكه أو جسر على فعل أخر يعد تعديا أو أبى تسليمه لمن يلزم فانه يحبس شهرين إلى سنتين ([1])

وعندما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها وتمخضت عن تجزئة الدولة العثمانية ،أصبح العراق بلدا مستعمرا من قبل بريطانيا بعد إن احتلته في بداية الحرب وقامت لسلطات المحتلة بإلغاء القوانين العثمانية وأصدرت قوانين أخرى غيرها ومن بين هذه القوانين قانون العقوبات البغدادي الصادر في 1918/11/21 والنافذ في 1919/1/1.

عالج هذا القانون جريمة خيانة الأمانة في المواد 273و274 و275 و276 تحت عنوان الاختلاس وخيانة الأمانة وبين أركانها وعقوبتها ثم أورد في المادة 274 حكما خاصا اعتبر فيه المالك الذي يتصرف بسوء نية في حالة المحجوز عليه قضائيا أو إداريا إذا عهدت إليه بصفته حارسا أو سلم إليه من الحار مرتكبا لجريمة خيانة الأمانة وكذلك المالك الذي يتصرف بماله المرهون إذا ائتمنه عليه المرتهن ،

ثم بين في المادة 275حكم جريمة خيانة الأمانة من شخص ينقل الأشياء في الطرق البرية والمائية أو صاحب المخزن يقوم بحفظ الأشياء أو كاتب أو خادم بالنسبة لما سلمه إليه مستخدمه أو شخص نعين من قبل المحكمة بالنسبة لما عهدت إليه رقابته أو إدارته أو ارتكبها صيرفي أو سمسار أو محام بالنسبة للأموال المسلمة إليهم وهذه جميعا صور مشددة العقوبة لجريمة خيانة الأمانة وحدد المشرع في المادة 276 حكم من يتعامل مالا مملوكا للغير انتقلت إليه حيازته بطريقة الصدفة أي المال الضائع([2])

---

(1)المادة 236 من قانون الجزء العثماني

(2)قانون العقوبات البغدادي الملغي

وفي عام 1969 اصدر المشرع العراقي قانون العقوبات الجديد رقم 111 لسنة 1969 والذي الغي بموجبه قانون العقوبات البغدادي وبين المشرع في هذا القانون إحكام جريمة خيانة الأمانة في المادة 453حيث ورد تعريفا مختلفا عن التعريف الذي أورده قانون العقوبات البغدادي وحدد أركان تلك الجريمة وعقوبتها وذلك في المادتين 454 ،455 ، ...الخ([1]) .

الفرع الثاني : الطبيعة القانونية لجريمة خيانة الأمانة

هنالك أوجه شبه كثيرة مابين جريمة خيانة الامانه والعديد من جرائم الأموال في العديد من عناصرها كجريمة السرقة خاصة ، والاحتيال وجريمة اختلاس الأموال العامة ،وجريمة غصب الأموال ،فلم تكن التشريعات القديمة تتميز بينها ،وذلك لعدم وصول الفكر القانوني حينها إلى الحد الذي يمكن معه وضع حدود فاصلة مابين الجرائم وابتداء من شريعة حمو رابي الذي يعد من يستلم شيئا على سبيل الامانه بدون شهود يعد سارقا ويعاقب بعقوبة السرقة ،فقد نصت المادة السابعة منه على ((إذا اشترى السيد ، أو استلم على سبيل الامانه فضة ، أو ذهبا أو دقيقا ،أو أمة أو ثورا ،أو شاة ،أو حمار ،أو أي شيء أخر من يد ابن سيد ،أو رقيق سيد بدون شهود فان ذلك السيد يعتبر سارقا ويجب إن يعدم)) [2]

في حين أن المادة 112 منه كانت تستلزم التعويض المالي في بعض الحالات التي تعد اليوم من قبيل خيانة الامانه ،حيث تنص على انه ((أذا توجه رجل برحلة أو أعطى رجلا أخر فضه آو ذهب ،أو بضاعة منقوله ليحملها إلى منزله فلم يفعل ،واحتفظ بها لنفسه كان للمالك إن يقاضه من اجل ما أعطاه ،ولم يسلمه لمنزله))[3]

وألزم بان يؤدي إليه خمسة أمثال من جميع ما أعطاه ، في حين آن القانون الروماني مثلا لم يكن يعرف سوى جريمة السرقة ،والتي كان يقصد بها اختلاس المال المنقول المملوك للغير بقصد إضافته إلى ملك السارق([4]) أما الأفعال التي تدخل ألان في نطاق تجريم خيانة الامانه فلم تكن تستوجب الأرفع الدعوى المدنية للمطالبة بالتعويض على اعتبار أنها أفعال لأتخل بالنظام العام ([5])

غير أن الرومان وعند حلول العصر العلمي وبسبب من تطور الفكر القانوني لديهم توسعوا في فكرة السرقة بحيث أصبحت تشمل بعض صورخيانه الامانه، فقد أصبحت السرقة تشمل إضافة إلى الاختلاس خفية ،من المنتفع أو الدائن المرتهن وسرقة الاستعمال ([6])

---

(1)قانون العقوبات العراقي رقم 111لسنة 1969وتعديلاته

(2)صفاء مهدي الطويل ،جريمة خيانة الامانه في القانون العراقي ،دراسة مقارنه ،رسالة مقدمة إلى جامعة بغداد ،1982 ،ص9

(3)المرجع نفسه ،ص10

(4)محمد عبد المنعم وعبد المنعم البد راوي ،مبادئ القانون الروماني تاريخه ونظمه ،مطبعة دار الكتاب العربي ،مصر،ص500

(5)حيدر عبد الملك ، الموسوعة الجنائية ،ج3 ، مطبعة الاعتماد ،القاهرة ،1936 ،ص303

(6)صبيح بشير مسكوني ، القانون الروماني ، مطبعة شفيق ،بغداد ،ص 422

بحيث أصبح يعد سارقا الدائن المرتهن، أو المودع لديه الذي يستعمل الشيء فقط دون أن تكون لديه تملكه ،وقد أشار جوستنيان إليها في كتابه النظم عند ما قال لاتتحق السرقة في صورة اختلاس الشيء الملوك للغير بنية تملكه فحسب بل أنها بوجه عام تتحقق بالتبدل في الشيء على خلاف رغبة صاحبه فالدائن المرتهن إذا استعمل الشيء المرهون ،والوديع إذا استعمل الشيء المودع لديه ،فان كليهما مرتكب لجريمة السرقة ،وكذلك في عارية الاستعمال ،إذا استعمل المستعير الشيء استعمالا مخالفا لما أعير له من اجله ([1]).

أما القانون الفرنسي القديم كان يعتبر تملك الشيء المسلم على سبيل الأمانة نوعا من أنواع السرقة ،إلا إن القانون الفرنسي الصادر عام 1790 فقد فرق لأول مرة بين جريمة خيانة الأمانة والسرقة ولكن لم يعاقب على خيانة الأمانة إلا إذا كان الشيء قد سلم على سبيل الوديعة ، كما إن قانون العقوبات الفرنسي الصادر عام 1810 اعتبر تسليم الشيء إلى عامل مأجور لاستعماله في أمر معين كالوديعة ثم أضاف قانون 1832الى ذلك الإجارة والوكالة والعمل غير المأجور ثم أضاف قانون 1863 الرهن وعارية الاستعمال))([2]).

ولقد اهتمت الشرائع السماوية ،وفي مقدمتها الشريعة الإسلامية سواء في القران الكريم أو السنة النبوية إلى جانب اجتهاد الصحابة والفقهاء المسلمين الذي استطاعوا وضع الحدود الفاصلة مابين جريمتي السرقة ،وخيانة الامانه ،وذلك من خلال أنفاقهم على تعريف السرقة بأنها اخذ أموال الغير خفية ،وبينة تملكه دون أن يكون مؤتمنا عليه ([3]).

وكانت السرقة من الحدود التي تستوجب أقامة الحد على مرتكبيها في حين ن عقوبة خيانة الأمانة هي التعزير بدلا من قطع اليد وذلك تحرزا لكون الجاني قد استلم ،ما ائتمن عليه بموجب عقد من عقود الامانه وهي قويه تأديبية بمعنى الضرب دون الحد([4])

فحفظ الامانه واجب أخلاقي ،وديني أوصى به الله تعالى ،ورسوله الكريم وقد جاء في الأحكام السلطانية للما وردي انه لأتقطع يد من يخون الامانه كأن يجحد العارية ،أو الوديعة .

لان شرط الحرز متوفر فضلا على عدم توفر ركن الاختلاس ،أي اخذ المال خفية وهذا هو رأي الشيعة الأمامية ([5]).

أما من وجهة نظر الفقه المدني الإسلامي فقد حصر الأمانات في الأتي :

---

(1)صفاء مهدي الطويل ،جريمة خيانة الامانه في القانون العراقي ،المرجع السابق ،ص9

(2)جندي عبد الملك ، المرجع السابق ،ص303

(3)احمد فتحي بهنسي ،العقوبة في الفقه الإسلامي ،دراسة فقهية متحررة ،مصر ،ص78

(4)محمد ابن بكر الرازي ،مختار الصحاح،دار الرسالة ،الكويت ،ص429

(5)عبد العزيز عامر ،التعزير بالشريعة الإسلامية ، الطبعة الثالثة ،1957،ص188

1. الوديعة
2. العارية
3. اللقطة
4. مال الوقف بيد المتولي
5. مال اليتيم الوصي
6. مال المأجور بيد الأجير
7. المستأجر فيه بيد الأجير
8. المبيع باطلا بيد المشتري
9. المال المقبوض على سوم النظر
10. مال المضاربة بيد المضارب
11. مال الشركة بيد الشريك
12. المال المستحصل بطريق الوكالة بيد الوكيل
13. مال بيت الموصى له الانتفاع به
14. مال بيت المال بيد المسؤول عنه
15. المال الذي أدخلته الصدقة بيد الغير([1])

لقد قام الفقهاء المسلمون بوضع الفروق بين جريمتي السرقة وخيانة الأمانة ويظهر ذلك من تعريفهم لجريمة السرقة على أنها خذ مال لغير خفية وبنية تملكه دون أن يكون مؤتما عليه ([2]) وان عقوبة جريمة خيانة الأمانة في التشريع الإسلامي هي التعزير وليس قطع اليد كما هو الحال في السرقة ،حي ان الجاني قد تسلم ما وئتمن عليه بعقد من عقود الأمانة فيكون هناك قصور في الحرز فقد جاء في الإحكام لسلطانية للما وردي انه لايقطع من يخون الأمانة كمن يجحد العارية أو الوديعة لان شرط الحرز غير متوفر فضلا عن عدم توافر

ركن السرقة وهو اخذ المال خفية وهذا ما ذهب إليه الشيعة الأمامية أيضا ،وكذلك ورد في فتح القدير لكمال ابن الهمام بأنه (لأقطع على خائن ولا خائنه وعلل ذلك بقصور الحزر لأنه قد كان في الخائن)([3])

وذهب بعض الفقهاء المسلمون ومنهم احمد بن حنبل وإسحاق إلى أقامة الحد على جاحد العارية وقطع يده،واستدلوا بذلك على حديث الرسول روته عائشة حيث قالت فيه (كانت امرأة مخزومية تسعير المتاع وتجحده فأمرا لنبي (ص) بقطع يدها فاتي أسامة بن زيد أهلها فكلموه فكلم أسامة النبي (ص) فقال النبي (ص) يااسامة لأراك تتكلم في حد من حدود الله ثم قام النبي (ص) خطيبا فقال إنما هلك من كان قبلكم انه إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعتها ([4])

---

(1) منير القاضي ،شرح المجلة ،ج2 ، 1947،ص151
(2)عبد العزيز عامر ، التعزير في الشريعة الإسلامية ،ط3 ،1957،ص188
(3) عبد العزيز عامر ،التعزير في الشريعة الإسلامية ،ص188
(4)صفاء مهدي ،جريمة خيانة الأمانة في القانون العراقي ،ص91

وقد تصدى جمهور الفقهاء إلى هذا الرأي ومنهم لحنفية وعدوه مخالفا للأصول لان المعار مأمون وانه لم يؤخذ بغير إذن فضلا انه لم يؤخذ من حرز ولايمكن معاقبة جاحد العارية بالقطع واستدلوا على ذلك بان القران الكريم والسنة أوجها القطع على السارق والجاحد للعارية ليس بسارق([1]).

إن الحديث عن الطبيعة القانونية لجريمة خيانة الأمانة يوجب علينا الرجوع إلى نص المادة (20) من قانون العقوبات التي قسمت الجرائم عادية وأخرى سياسية وكذلك المادة (21/أ/6) اعتبرت جريمة خيانة الأمانة من الجرائم المخلة بالشرف كالسرقة والاختلاس والتزوير والاحتيال والرشوة حتى ولو ارتكبت بباعث سياسي وكذلك القرار الصادر من مجلس قيادة الثورة المنحل ذي لرقم 609في 12/8/ 1987 كما وإنها من لجرائم العمدية التي عبر عنها المشرع ضمن مواد التجريم بعبارة (سوء القصد) والتي اختلف الشراح في كونها قاصرة على القصد العام وهو الرأي الراجح أم أنها تعني وجوب توافر قصد خاص إلى جانب القصد العام .

كما وقسمت الجرائم من حيث السلوك الإجرامي المكون لها إلى عدة تقسيمات ومنها جرائم وقتية وأخرى مستمرة وقد اجمع الفقهاء على إن جريمة خيانة الأمانة هي من الجرائم الوقتية التي تتم بمجرد تتغير الأمين لصفته حيازته على الرغم من أنها بطبيعتها تستلزم حيازة المال الجاني ، إلا إن أساس العقاب هو السلوك ألجرمي ((الاستعمال والتصرف)) وليس استمراره الحيازة على اعتبار انه ليس من عناصر الجريمة وهو لا يشكل كذلك جريمة مستقلة ، فهو لا يسأل عن جريمة حيازة الأشياء المستحصلة عن جريمة الواردة في المادة 460 ق ع

حتى لو أخرجها بعد انتهاء ،محكومتيه عن جريمة خيانة الأمانة ([2])

فهي تبدأ وتنتهي بفعل مادي لحظة القيام به([3]) هذا إلى جانب إمكانية قيام الجريمة بفعل الامتناع سلبا أو إيجابا المتمثل في الاستعمال والتصرف([4])

غير إن القول بهذا يؤدي إلى صعوبة تحديد تاريخ وقوع الجريمة لوجود المال ابتداءاً بيد الجاني ،ولا يمكن الاستدلال عليه بحصول فعل مادي من جانب المتهم يصلح إن يتخذ دليل ضده وان تعين تاريخ وقوع الجريمة هو وقوع الجريمة هو من الأمور الموضوعية التي تخضع لتقدير محكمة الموضوع على أن تبين قناعتها في ذلك على الواقع الفعلي الذي يثبت لديها بما توفر في الدعوى من أدلة وليس على اعتبارات قانونية ،نظرية بحته ولأتعرض قرارا للطعن ([5]) ،

وان تاريخ تعين هذا التاريخ لا يتوقف على تاريخ مطالبة المجني عليه الرسمية أو غير الرسمية للجاني بإعادة المال إليه .

هذا وان دراسة الطبيعة القانونية للجريمة يدعو إلى التساؤل كذلك عن إمكانية

---

(1)احمد فتحي بهنسي ،العقوبة في الفقه الإسلامي،ص146

(2)حميد السعدي ،شرح قانون العقوبات ،ج3 ،جرائم الاعتداء على الأموال ،دراسة مقارنه ،ط2،،بغداد ،1976،ص186

(3)القاضي عبود التميمي ،محاضرات ألقيت على طلبة المعهد القضائي والمسحوبة على رونيو لسنة 96-1997

(4)قرار محكمة استئناف بغداد بصفتها التميزية بالعدد 695 ،جنح ،997،أعلام 610في 1997/7/22 غير منشور

(5) جندي عبد الملك ،الموسوعة الجنائية ،ج3 ،مطبعة الاعتماد ،القاهرة ،1936، ص319،318

تحقيق الشروع فيها أم أنها تقع تامة أو أن لا تقوم أساسا والشروع حسب ما جاء في نص المادة (30) من ق ع ((البند بتنفيذ فعل يقصد ارتكاب جناية أو جنحة إذا أوقف أو خاب أثره لسبب لأدخل لإرادة الجاني فيه)) إما إذا عدل الفاعل من تلقاء نفسه فلا يعد شرعا في الجريمة))([1]).

وقد ثار خلف حول هذا الاتجاه على أساس أن أي مظهر خارجي لنية الجاني في تملك المال ،وحرمان مالكه منه يكفي لقيام الجريمة وبالتالي لا يشترط لتحققها خروج المال بالفعل من حيازة الأمين([2]).

في حين إن قابلية إي جريمة للشروع من عدمه لا علاقة لها بنية الجاني لان القصد الجنائي في الشروع هو ذاته في الجريمة التامة ،فهو يتحدد بالسلوك الإجرامي أي بالمظهر الخارجي ،وعلى هذا الأساس كان للشراح عدة أراء فهناك من ذهب إلى وجوب التميز بين صورتي الركن المادي للجريمة ،ففي حالة التصرف بالمال فان أي فعل يأتيه الجاني تكون دلالته قاطعة على تغير نيته وبالتالي تكون أمام جريمة تامة ، مثال ذلك إن مجرد عرض الجاني للمال المؤتمن عليه للبيع يخضعه للمسؤولية عن الجريمة ، وبالتالي من الصعوبة تصور الشروع في التصرف([3]).

أما أذا كان الفعل في صورة الاستعمال فان الشروع يمكن تحقيقه في هذه الصورة ([4]).

في حين ذهب البعض إلى عدم إمكان تتصور الشروع مطلقا ،على اعتبارات مجرد اتجاه الجاني أي تعتبر الحيازة من حيازة كاملة يكفي لقيام الجريمة التامة ،وليس هناك حاجة للقيام بفعل مادي للدلالة عليه ، إما موقف القضاء العراقي فقد قضت محكمة تمييز العراق يتحقق الشروع في جريمة خيانة الأمانة بشأن قضية وجد فيها المتهم وجد فيها المتهم عند تفتيشه في الباب الرئيسة وقد أخفى الأدوات ([5]).

إما الفقه المصري فان الرأي السائد لديهم هو إن الشروع غير متصور وفقا للبنيان القانوني لجريمة خيانة الأمانة لذات الأسباب التي استدل بها الشروح العراقيين القائلين بذلك إلا إن الرأي الراجح ((والذي تميل إليه)) هو انه بالإمكان الاستدلال على ذلك بوجوب التميز بين حالتين حالة ما إذا كان السلوك أو الفعل قابل للتجزئة فالشروع متصور إما إذا كانت الواقعة لا تقبل التجزئة فلا يتصور الشروع مطلقا([6]).

وهناك موضوع أخر هو الاشتراك في الجريمة فنجد أنها ليست من الجرائم الصعبة التي تحتاج إلى اشتراك أكثر من جاني لارتكابها ولكي نكون إمام حالة الاشتراك بموجب المواد (47و48 و49) ق .ع لابد من قيام الشريك بفعل الجاني يتدخل فيه الجريمة بإحدى صور الاشتراك الواردة في المادة (48) سواء التحريض أو المساعدة

---

(1)علي حسين الخلف وسلطان الشاوي ،المبادئ العامة في العقوبات ،مطابع الرسالة ،الكويت،1982،ص156-157

(2) مامون سلامة ،قانون العقوبات ،القسم الخاص ،ج2 ،جرائم الاعتداء على الأشخاص والأموال ، دار الفكر العربي،1982،ص286

(3)رشيد على الكيلاني ،مسالك قانون العقوبات ،مطبعة التفيض الأهلية ،بغداد ،1940،ص419

(4)مصطفى كامل ،شرح قانون العقوبات ،مطبعة المعارف ،بغداد ،1939،صص240

(1)عباس الحسني وكامل السامرائي ،الفقه الجنائي في قرارات محاكم التميز،جرائم الاعتداء على لأموال ،م3 ،مطبعة الإرشاد،1969،ص387،تاريخ القرار 10/4

(6) رءوف عيد ،جرائم الاعتداء على الأشخاص والأموال ،ص421-422

أو الاتفاق وإلا لا يعد شريكا مع اشترط توافر سوء القصد من الشريك في الجرائم العمدية ([1]).
وقد قضت محكمة استئناف بغداد بصفتها التميزية ((وحيث إن هذه المادة توجب سوء القصد في هذا الفعل ،ولذا كان على المحكمة المميز حكمها التأكد من وجود هذا الشرط عن طريق الاطلاع على الدعوى البدائية و الاضبارة التنفيذية المتعلقة بالحجز للتأكد من وجود هذا الشرط عن طريق الاطلاع على الدعوى البدائية و الاضبارة التنفيذية المتعلقة بالحجز للتأكيد عما إذا كان المتهمين المذكورين أو احدهما على علم بوقوع الحجز))([2])

إلى جانب توافر سوء القصد أي القصد الجنائي لابد من توافر أركان الجريمة للقول بتحقق الاشتراك وان إثبات كل هذا إن كان هذا إن كان هو في الأساس صعب بصدد الفاعل الأصلي فان إثبات ذلك من جانب الشريك يظهر لنا أصعب وأدق وأكثر تعقيدا ([3]).
وكما نصت المادة (50) من ق ع على إن عقوبة كل من ساهم في الجريمة سواء بصفة فاعل أو شريك هي واحدة ما لم ينص القانون على خلاف ذلك ([4])
وقد يعاقب الشريك بالعقوبة المقررة في القانون ولو كان الفاعل الأصلي غير المعاقب قانونا بسبب عدم توافر سوء القصد لديه وقد بحثت المواد ((54/52/51) من ق ع الظروف المادية والشخصية المخففة والمشددة وأثرها في عقاب المساهم أي شريك .
لقد حاول الفقهاء إعطاء تعريف لجريمة خانة الأمانة من واقع النصوص لتشريعية ،ألا أنهم لم يتفقوا على تعريف معين ،فلكل واحد منهم أسلوبه الخاص في الصياغة القانونية حيث نجد أن اغلب هذه التعاريف تكون سهلة الفهم لدى المطلع في المجال لقانوني الانها تثير (مشكلة قانونية مهمة يصعب فيها الفصل بين جريمة خيانة الأمانة وجريمتي السرقة والجرائم الأخرى التي تقع على الذمة المالية لأنها تشترك في كثير من عناصرها)([5]).
ففي مجال التعاريف التي أوردها الفقه والقانون في العراق فقد ذهبوا إلى تعريف جريمة خيانة الأمانة بقولهم ((أن يعهد للشخص أو يسلم إليه بطريقة من الطرق شيئا منقولا للغير لغرض معين فيسئ التصرف فيه بان يستعمله أو يتصرف فيه بسوء نية أو لفائدة شخص أخر بطريقة مخالفة للغرض الذي عهد به إليه أو سلم له من اجله حسبما هو مقرر قانونا أو حسب التعليمات الصريحة أو الضمنية الصادرة ممن عهدا وسلم هذا)([6]).

---

(1) حميد السعدي ،مرجع سابق ، ص187
(2) قرار محكمة استئناف بغداد بصفتها التميزية بالعدد 614 ،جنح ،997 أعلام 596 ،في 1997/7/13
(3) حميد السعدي ،مرجع سابق ،ص586
(4) قرار محكمة استئناف بغداد بصفتها التميزية بالعدد 195 ،جنح ،997 أعلام 177 ،في 997/2/25
(5)محمد إبراهيم زيد ، قانون العقوبات – القسم الخاص ،مطبعة أطلس ،1974،ص370
(6) علي حسين الخلف ،، بحث في جريمتي السرقة وخيانة الأمانة ،بغداد ،مطبعة الزهراء ، 1967 ،ص220

ومنهم من نجده يعطي تعريفا أخر بقوله ((بأنها انتهاك شخص حق ملكية شخص أخر عن طريق خيانة الأمانة التي أودعت فيه))[1].
وذهب كاتب أخر في تعريف جريمة خيانة الأمانة ((بأنها استيلاء شخص على منقول يحوزه بناء على عقد مما حدده القانون عن طريق خيانة الثقة التي أودعت فيه بمقتضى هذا العقد))[2].
أما تعريف جريمة خيانة الأمانة حسبما نص عليه التشريع العراقي سواء كان ذلك في قانون العقوبات البغدادي أو العراقي فنجد بأنهما وان اتفقا في المضمون إلا إنهما اختلافا في الصياغة القانونية فقد نصت المادة 273 من قانون العقوبات البغدادي ((كل من عهد إليه منقول مملوك للغير بأي كيفية أو لفائدته أو لمنفعته أو فائدة شخص أخر أو تصرف فيه بطريقة مخالفة للغرض الذي عهد إليه أو سلم له من اجله حسب ما هو مقرر قانونا أو حسب التعليمات الصريحة والضمنية الصادرة ممن عهد إليه أو سلم هذا الشيء))[3] .
أما قانون العقوبات العراقي رقم 111 لسنة 1969فقد أورد فصلا كاملا لجريمة خيانة الأمانة في المواد 453 إلى 454 منه معالجا لهذه الجريمة من حيث تعريفها ،فقد نصت المادة 453 ق.ع.ع على مايلي ((كل من اوئتمن على مال منقول مملوك للغير وعهد به إليه بأية كيفية كانت أو سلم له لأي غرض كان فاستعمله بسوء قصد لنفسه أو لفائدته شخص أخر أو يتصرف به بسوء قصد خلافا للغرض الذي عهد إليه أو سلم له من اجله حسب ما هو مقرر قانونا أو حسب التعليمات الصريحة أو الضمنية الصادرة ممن سلمه إياه أو عهد إليـــه))[4].

المبحث الثاني : أركان جريمة خيانة الأمانة

عالج المشرع العراقي إحكام جريمة خيانة الأمانة في المواد (453- 455) عقوبات حيث نصت المادة (453) من قانون العقوبات العراقي على مايلي:
(كل من أوتمن على مال منقول للغير أوعهد به إليه بأية كيفية كانت أو سلم له لأي غرض كان فاستعمله بسوء تصرف لنفسه أو لفائدته أو لفائدة شخص أخر أو تصرف فيه بسوء قصد خلافا للغرض الذي عهد إليه اوسلم له من اجله حسب ما هو مقرر أو حسب التعليمات الصريحة أو الضمنية الصادرة ممن سلمه إياه أو عهد به إليه يعاقب بالحبس أو الغرامة ([5]) .
أن جريمة خيانة الأمانة تقوم على أربعة أركان هي :

1. الركن المادي : والذي يتمثل باستعمال المال والتصرف به .

---

(1)جبرائيل البناء ، شرح قانون العقوبات البغدادي ،القسم الخاص ،مطبعة الرشيد ،1949، ص232
(2)عباس الحسني ، شرح قانون العقوبات العراقي وتقديريه ،مطبعة العاني ، 1974، ص229
(3)حميد السعدي ، النظرية لجريمة السرقة ، مطبعة الزهراء ،1986 ، ص16
(4)وزارة العدل ، قانون العقوبات
(5) محمد زكي العبيدي ،جريمة خيانة الأمانة وجريمة الاختلاس وموقف القضاء العراقي ،بحث منشور، مجلس العدل ،ص6

2. محل الجريمة :وهو المال المنقول المملوك للغير .
3. التسليم .
4. الركن المعنوي كالقصد الجنائي .
وستناول كل ركن في فرع مستقل .

الفرع الأول – الركن المادي

عبر المشرع العراقي في المادة (453)عن الركن المادي بقوله (إذا استعمله أو تصرف به) وبذلك بتحقيق الركن المادي في إحدى الصور .

الصورة الأولى : وتمثل في استعمال المال المسلم إليه و يمكن توضيح ذلك بما يلي :-

أولا: ويقصد به استخدام الشيء فيما يكون قابلا للحصول على منافع كركوب السيارة أو استعمال الإله فالاستعمال صورة من صور الركن في خيانة الأمانة ويعني الاستعمال وهو ما لايصدر ألا من المالك نظرا لما يترتب عليه من استنزاف قيمة الشيء كلها أو بعضها وان كان لايدل على اتجاه نية المؤتمن إلى حبس الشيء نهائيا عن صاحبه وعدم رده إليه أي إن نية الجاني في الاستعمال تنصب على قيمة الشيء فقط دون مادته حيث أن الجاني ينوي رد الشيء إلى حالته ولكن بعد إن يكون قد استخدمه على نحو يجرده من قيمته كلها أو بعضها ([1]) .

ثانيا: تقوم الجريمة بمجرد استعمال الجاني للمال المؤتمن عليه ، أو استعماله بما يخالف مقتضى الأمانة .

ثالثا: ينتقد هذا الاتجاه بأنه إذا انصرف معنى الاستعمال إلى معناه العادي وهو الانتفاع بالمال دونه نية تملكه ([2]) .

الصورة الثانية – وهي التصرف ويقصد به كل فعل يخرج به الفاعل المال المسلم له من حيازته كلا أو بعضا وإدخاله في حيازة الغير وذلك ببيعه أو هبته أو المقايضة عليه أو الايصاء به أو أجراء أي حق عيني متفرع عن الملكية ، كالرهن مثلا والتصرف يقع بكل فعل يترتب عليه إخراج الفاعل للمال من حيازته وإدخاله في حيازة شخص أخر بأية وسيلة كانت وبذلك يتضح الفرق بينه وبين الاستعمال الذي يقوم به والذي يقصد الانتفاع بالشيء فقط دون تغيرملكيتة أي دون تنصرف إرادته إلى نقل حيازته التامة من مالكه إلى الفاعل أو أي شخص أخر . ويستوي إن تعود الفائدة من التصرف على الجاني نفسه وعلى غيره فالأمين الذي يهب الشيء المؤتمن عليه للغير يعد مرتكبا لجريمة خيانة الأمانة لأنه قام بعمل لايمكن إن تأتيه إلا مالك الشيء كما يستوي إن يقع التصرف على المال كله أو على جزء من ([3])

---

(1) ماهر عبد شويش شرح قانون العقوبات ،القسم الخاص ،دار الكتب للطباعة والنشر ،الموصل ،1988،ص311
(2)المرجع نفسه ، ص7
(3)ماهر عبد شويش شرح قانون العقوبات نص313

الفرع الثاني – ركن محل الجريمة

لاتقع جريمة خيانة الأمانة ألا على مال ذي طبيعة مادية فلا تصلح محلا لهذه الجريمة ،الأموال المعنوية كالأفكار والابتكارات والمنافع والاطلاع على سر اكتشاف براءة الاختراع أو إفشاء هذه الإسرار إلى شخص أخر فلا يعتبر مرتكبا لجريمة خيانة الأمانة ويشترط إن يكون المال الذي تقع عليه الجريمة منقولا([1])

الفرع الثالث- ركن التسليم

إن للتسليم أهمية في بناء كيان هذه الجريمة حيث لايتصور إن يقوم الأمين باستعمال المال المتصرف به ألا اذكان المال في حيازته قبل ارتكاب الجريمة ،ولا يكون في حيازته إلا إذا كان قد سلم إليه ،وتنتفي هذه الجريمة إن لم يحصل التسليم ،فصاحب المعمل الذي يختلس الأموال التي يخصمها من رواتب العمال والمستخدمين عوضا عن يضعها في صندوق التامين الاجتماعي ولا يخضع للنص العقابي الذي يجرم خيانة الأمانة لعدم حصول التسليم من قبل العمال إلى رب العمل للمبالغ التي سوف يدفعها للتامين والأمر واحد في نظر القانون سواء احصل التسليم من قبل المجني عليه أو من قبل شخص أخر غيره([2])

الفرع الرابع - الركن المعنوي القصد الجنائي

لايكفي القيام بجريمة خيانة الأمانة استعمال الفاعل المال المسلم له أو التصرف به خلافا لمقتضى الأمانة بل لابد من وفر قصد جنائي ،أي انصراف إرادة الجاني إلى ارتكاب الواقعة الجرمية والعلم بارتكابها ،وعليه فان جريمة خيانة الأمانة كسائر الجرائم الأخرى العمدية تتطلب القصد الجنائي .

أما اذكان يعتقد عندما أتى فعله انه يتصرف في مال يعود له نفسه فلا تقوم جريمة خيانة الأمانة ، كما يجب إن يتصرف علم الجاني إلى انه يتصرف أو يستعمل مالا موجودا صرف حيازته في حيازته الناقصة بناءا على احد عقود الأمانة .

فالمشرع العراقي اشترط توافر القصد العام ونجد ذلك في نص المادة (453) من قانون العقوبات في قوله ((فاستعمله بسوء القصد لنفسه أو لفائدته شخص أخر أو تصرف به بسوء قصد)) فلابد أذا من توافر سوء القصد في الحالتين ،في حالة استعمال الفاعل المسلم له وفي حالة التصرف به .

---

(1) محمد زكي العبيدي ،جريمة خيانة الأمانة وجريمة الاختلاس وموقف القضاء العراقي ،بحث منشور، مجلس العدل ،ص9

(2) حسن صادق المرصفاوي ، المرصفاوي في قانون العقوبات ،ص466

والقصد الجنائي كما عرفته الفقرة الأولى من المادة ((33)) من قانون العقوبات العراقي هو (توجيه الفاعل إرادته إلى ارتكاب الفعل المكون للجريمة هادفا إلى نتيجة الجريمة التي وقعت أو أية نتيجة جرميه أخرى)([1])

هذا وان دراسة الطبيعة القانونية للجريمة يدعوا الى التساؤل كذلك عن إمكانية تحقق الشروع فيها أم أنها إما إن تقع تامة ،أو إن لاتقوم أساسا ،والشروع حسب ما جاء في نص المادة ((30))ق.ع ((البدء بتنفيذ فعل بقصد ارتكاب جناية ،أو أجنحة إذا أوقف اوخاب أثره لسبب لأدخل لإرادة الجاني فيه ...)) إما إذا عدل من تلقاء نفسه فلا يعد شارعا في الجريمة ([2])،وقد ثار خلاف حول هذا على أساس إن أي مظهر خارجي لنية الجاني في تملك المال ،وحرمان مالكه منه يكفي لقيام الجريمة وبالتالي لايشترط لتحققها خروج المال بالفعل من حيازة الامين ([3]) في حين أن قابلية أي جريمة للشروع من عدمه ،لا علاقة لها بنية الجاني لان القصد الجنائي في الشروع هو ذاته في الجريمة التامة ،فهو يتحدد بالسلوك الإجرامي أي بالمظهر الخارجي،وعلى هذا الأساس كان للشراح عدة مواقف فهنالك من ذهب الى وجوب التمييز بين صورتي الركن المادي للجريمة ،ففي حالة التصرف في المال ،فان أي فعل يأتيه الجاني تكون دلالته قاطعه على تغيير نيته ،وبالتالي نكون إمام جريمة تامة ،مثال ذلك أن مجرد عرض الجاني للمال المؤتمن عليه للبيع يخضعه للمسؤولية عن الجريمة ([4]) وبالتالي فمن الصعوبة تصور الشروع في التصرف إما إذا كان الفعل في صورة الاستعمال ،فان الشروع يمكن تحققه من هذه الصورة ([5])في حين ذهب البعض الى عدم إمكان تصور المشروع مطلقا ،على اعتبار إن مجرد اتجاه أرادة الجاني الى تغير من حيازة ناقصة ،أو عارضة الى حيازة كاملة يكفي لقيام الجريمة التامة ،وليس هناك حاجة للقيام بفعل مادي للدلالة عليه ز

أما موقف القضاء العراقي فقد قضت محكمة تمييز العراق بتحقيق الشروع في جريمة خيانة الأمانة بشان قضية وجد فيها المتهم عند تفتيشه في الباب الرئيسي وقد أخفى الأدوات ([6]) .

<u>أن ابرز ملاحظاتنا عن الجانب القانوني يمكن إبرازها وكما يلي:</u>

1. أن المشرع العراقي كان قد اخذ بالقصد الجنائي العام لتحقيق قيام الجريمة وهو العلم والإرادة . كما أن القصد الجنائي في هذه الجريمة لايتحقق بمجرد تصرف المتهم في المال المسلم إليه بل تتطلب فيه تملكه وحرمان صاحبه.
2. أن المشرع لم يستلزم حصول ضرر بالمجنى عليه لتحقيق هذه الجريمة .

---

(1) محمد زكي العبيدي ،جريمة خيانة الأمانة وجريمة الاختلاس وموقف القضاء العراقي ،بحث منشور، مجلس العدل ،ص14

(2) علي حسين الخلف وسلطان الشاوي ،المبادئ العامة في قانون العقوبات ،مطابع الرسالة ،الكويت ،بغداد ،1982،ص156-157

(3) مأمون محمد سلامة ،قانون العقوبات ،القسم الخاص ،ج2،جرائم الاعتداء على الأشخاص والأموال ،1982 ،1983،دار الفكر العربي ،ص286،287

(4)رشيد عالي الكيلاني ،مسالك قانون العقوبات ،ط3مطبعة التفيض ،1940،ص419

(5)مصطفى كامل ،شرح قانون العقوبات ،القسم الخاص ،مطبعة المعارف ،بغداد ،1940،1939ص240

(2)عباس الحسني وكامل السامرائي ،الفقه الجنائي في قرارات محاكم التمييز ،جرائم الاعتداء على الأموال ،المجلد الثالث ،مطبعة الإرشاد بغداد1969،ص387،القرار 1994/10/4

3. كذلك نلاحظ إن المشرع العراقي بين صورتين للركن المادي في جريمة خيانة الأمانة وهما صورة الاستعمال والتصرف في حين أن هنالك صورا أخرى لهذا الركن كالاستهلاك والتملك والإتلاف

الخاتمة

بعد إن أنجزنا فصول الأطروحة لموضوعنا خيانة الأمانة في تاريخ الحضارة الإسلامية لابد من الإشارة إن خيانة الأمانة تتسم بالشمولية في تناولها لمفاصل الحياة عامة وحياة الإنسان الملتزم بمبادئ الإسلام الحنيف والسنة النبوية الشريفة .

أن الأمانة في ديننا الحنيف تحتل مكان الصدارة من جملة الأخلاق والسلوك في أعلى مراتبها والوفاء من أهم الصفات بالأمانة ومن اخص ميزاتها فليس من الأمانة أن يخلف الرجل بعهده ولا يفي به والأمانة ضد الخيانة وحسبنا أن يصف الله سبحانه وتعالى دعائم الدين وتكاليفه بالأمانة، ونجد في القران الكريم آيات تحث على الأمانة وتحذر من الخيانة .

وكذلك أحاديث الرسول الكريم(صلى الله عليه وسلم) تسير بنفس الاتجاه الذي سار عليه القران الكريم ، حيث نجد أن هذه الأحاديث كانت واضحة وصريحة في تبيان الآثار السلبية للخيانة على المجتمع الإسلامي ، وكذلك فإنها بينت الأثر الايجابي للتحلي في الأمانة لما تجلبه من خير وصلاح للمجتمع عموما .

لقد تعددت أنواع الأمانة وأخذت إبعاد واسعة لتشمل كل شيء في حياتنا.

أما الخيانة فهي بالمقابل تقف بالضد منه إما معطياتهما على المستوى الاجتماعي هي مسألة الاعتماد وكسب ثقة الناس، ونعلم أنّ الحياة الاجتماعية مبنية على أساس التعاون والتكاتف بين أفراد المجتمع لحل

المشاكل والتخفيف من تحدّيات الواقع والظروف القاهرة والاستفادة الأفضل من مواهب الحياة والطبيعة، ولهذا فإنّ مسألة الثقة والاعتماد لها دور أساس في تأصيل هذا المفهوم الاجتماعي .

لقد أثيرت الشبهات حول شخصيات تاريخية معروفة ونالت اهتمام المؤرخين القدماء والمحدثين فوصفهم القدامى بالخيانة وظلت سمعتهم مقرونة بالخيانة وبعض الشخصيات وصفت بالأمانة والجهاد والبطولة ووصفها مؤرخون بالخيانة وانطلاقا من هذا التناقض والمفارقة بين الخيانة والأمانة يظل الجدل قائما بالرغم من توفر قرائن الخيانة والبراءة في ذات الوقت .

لقد وردت خيانة الأمانة في التراث العربي الإسلامي بشكل يثير الإعجاب وبجدية ملتزمة ، باعتبار العرب كانوا متمسكين في القيم الأخلاقية التي دعى إليها الإسلام الحنيف والسنة النبوية الشريفة
لقد وجدنا شذرات تراثية منها أن الإمارةَ أمانة، فمَن جَعَلها خيانةً فعَلَيه لعنةُ اللهِ إلى يومِ القيامة. ومَن استعمَلَ خائناً فإنّ محمداً صلّى الله عليه وآله بَريءٌ منه في الدنيا والآخرة وقد جاءت الرسائل التي بعثها الخلفاء والفقهاء والأمراء دليلا على حرص هؤلاء على أهمية اختيار الأمناء من العمال وكيفية اختيار هؤلاء من اجل خدمة الرعية .
وقد عالج المشرع العراقي أحكام جريمة خيانة الأمانة في المواد 453-455 من قانون العقوبات العراقي ،حيث نصت المادة 453 من القانون .
((كل من اؤتمن على مال منقول مملوك للغيراوعهد به إليه بأي كيفية كانت أو سلم له لأي غرض كان فاستعمله بسوء تصرف لنفسه أو لفائدة شخص أخر أو تصرف فيه بسوء قصد خلافا للغرض الذي عهد إليه أو سلم له من اجله حسب ماهو مقرر أو حسب التعليمات الصريحة أو الضمنية الصادرة ممن سلمه إياه أو عهد به إليه يعاقب بالحبس أو الغرامة)) .

التوصيات

1. (ةنامألا) من أهمّ الفضائل الأخلاقية والقيم الإسلامية والإنسانية والتي وردت كثيراً في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وقد أولاها علماء الأخلاق والسالكون إلى الله تعالى أهميّة كبيرة على مستوى بناء الذات والشخصية، وعلى العكس من ذلك (الخيانة) التي تعدّ من الذنوب الكبيرة والرذائل الأخلاقية في واقع الإنسان وسلوكه الاجتماعي.
2. من القرآن الكريم استوحي الباحث من آياته الحكيمة ما يلقي الضوء على صفة الأمانة والخيانة في حركة الإنسان والمجتمع.نّ «الأمانة» وردت في القرآن الكريم مرّات متعددة بصورة مفردة أحياناً وبصورة جمع أحياناً أخرى.حيث وردت 16 مرة
3. أمّا ما ورد من الأحاديث الشريفة عن النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) والأئمّة المعصومين(عليهم السلام)فإنّه يحكي عن الأهميّة البالغة لهذه المسألة حيث وردت الأمانة تارة بعنوان أنّها من الأصول والمبادئ الأساسية المشتركة بين جميع الأديان السماوية، وتارة أخرى بعنوان أنّها علامة للإيمان، وثالثة بعنوان أنّها سبب نيل الرزق والثروة والثقة والاعتماد لدى الناس وسلامة الدين والدنيا والغنى وعدم الفقر وأمثال ذلك، وفيما يلي نختار من هذه الروايات الشريفة ما يتضمّن هذه المعاني والمفاهيم العميقة.
4. عندما نتحدّث عن الأمانة فإنّ أغلب الناس يتبادر إلى أذهانهم الأمانة في الأمور المالية، ولكن كما تقدّم في تفسير الآيات الواردة عن الأئمّة المعصومين(عليهم السلام) أنّ الأمانة لها مفهوم واسع جدّاً بحيث تستوعب جميع المواهب الإلهيّة والنعم الربانيّة على الإنسان.هذه النعم الإلهيّة المندرجة في مفهوم الأمانة تشتمل على مصاديق لا تعد، فهي ترد بالنسبة إلى القرآن الكريم والإسلام والإيمان والولاية وحتّى إلى أقل النعم والمواهب المادية والمعنوية.لأحاديث الشريفة التي تؤكد على أنّ الأمانة تورث الغنى، وأنّ الخيانة تورث الفقر ناظرة إلى الأمانة المالية والمادية، ولكنّ الآية الشريفة وبعض الروايات التي تشير إلى عرض الأمانة على السموات والأرض لا تقصد الأمانة المادية والمالية قطعاً بل تمتد أبعد من ذلك وتنظر إلى الأمانات المعنوية.

5. نزعة التسامح والإنسانية : تتجلى صورة النزعة الإنسانية في الحضارة الإسلامية من خلال طريقتين الأولى رسالة الإسلام التي جاء بها القرآن الكريم وحدث الرسول صلى الله عليه وسلم بها والثانية هي ماورثة العرب من الأخلاق الحميدة التي رواها لنا التراث العربي , ولقد ذكرت العديد من الألفاظ في القران الكريم والسنة النبوية والتي تحث على الإنسانية وتدعوا إليها في كل زمان ومكان , فعن معاذ بن جبل أنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أوصيك بتقوى الله , وصدق الحديث , ووفاء العهد , وأداء الأمانة , وترك الخيانة , وحفظ الجار , ورحمة اليتيم , ولين الكلام , وبذل السلام , وحفظ الجناح) , وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على التواصل والمبادرة الإنسانية حيث قال : أفضل الفضائل أن تصل من قطعك , وتعطي من حرمك , وتصفح عمن ظلمك) , فالحضارة الإسلامية حضارة إنسانية ملائمة لفطرة الإنسان وخصائصه المتعددة ومسايرة لتطلعاته وقادرة على تلبية حاجاته , فهو في نظر الإسلام كائن حي خلقه الله تعالى واختاره من بين المخلوقات جميعا ليكون خليفة الله في أرضه لأنه مؤهل للتكليف الإلهي والمسئولية , وقد أرسل إليه الرسل كي يهدونه إلى سواء السبيل , بل وقد نظر الإسلام إلى غير المسلمين من أهل الذمة نظرة تسامح وأعطاهم حقوقهم وقد أثنى العديد من المؤلفين المسلمين على العلماء والكتاب من أهل السنة وهو مالم تعرفه أوروبا .
(ولا يزال الغرب يدعي أن أول من أعلن حق الإنسان في الحرية والإخاء والمساواة وأنه واضع حقوق الإنسان , وما أشد جرأة هؤلاء وهؤلاء على الحقائق , فلقد سبقهم الإسلام بأجيال وقرون إلى إعلان حقوق الإنسان وتأييدها وحمايتها , وما بالكم بدين حرر المرأة من جور الرجال
6. وحرر العامل من ظلم صاحب العمل , وحرر الرقيق والخدم من العبودية والهوان , وحافظ على حق الإنسان في الحياة والأمن , وحقه في الملكية , وفي الكرامة الإنسانية , وفي تكوين الأسرة , وفي الاشتراك في إدارة شئون الدولة , ودعا إلى العدالة بأجلى معانيها , وإلى الإخاء بأصدق مدلولاته , وإلى الحرية الكاملة , والمساواة الشاملة , والاشتراكية العادلة , وحمى أتباع الأديان الأخرى , وجعل لهم مال لمسلمين وعليهم ماعليهم من واجبات وحقوق , شعاره في ذلك الآية الكريمة < يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى , وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا , إن أكرمكم عند الله أتقاكم , فلقد كان أفلاطون وأرسطو من فلاسفة اليونان يقرران حرمان العمال والصناع والموالى من الحقوق المدنية , لانحطاط مايمارسونه من مهن , وكان غيرهما يضع الرقيق والحيوانات في منزلة سواء , فأين هذا من سماحة الإسلام وسمو مبادئه , التي سوت بين الناس جميعاً)
7. إن دراسة التاريخ الإسلامي وفق نظرة علمية مجردة ورؤية إنسانية متفتحة خالية من التعصب والمذهبية هي السبيل الوحيد للنقد والتحليل والاستنتاج

للتاريخ وإعادة كتابته ضمن هذا الإطار يكشف الكثير من الحقائق عن المتهمين بجريمة خيانة الأمانة في تاريخنا الإسلامي

8. –أن دراستنا لموضوعة خيانة الأمانة في التاريخ الإسلامي ،اظهرت لنا معطيات أساسية هي :

1. دراسة الأساس الذي بنيت عليه هذه المسألة .
2. التحري عن القائل (عن ميوله الكتابية والمذهبية)
3. .الشخصية التي يعالج أمرها .
4. دراسة الأوضاع الداخلية والخارجية وحيثيات الموضوع من جميع جوانبه

6-إن التذرع باختلاق الفتن الطائفية والمذهبية وتحميل الحاضر وزر الماضيين لهو من اكبر الأسباب الداعية لانشغال المسلمين والإنسانية ككل عن خلق الوحدة الوطنية وهذه دعوة إشادة بمثل هذه الأقلام المنصفة كالدكتور الغامدي لكي يتجاوز المسلمون على اختلاف مشاربهم أسباب الفرقة والتطاحن التي مل منها إنسان الحاضر الساعي إلى التقدم والباحث عن الإنصاف وينشغلوا ببناء الحاضر والبحث عن أسباب التآلف والوحدة والتسامح والعمل سوية لدرء المخاطر المحدقة بالإنسانية ككل .

9- لقد أثارت شخصيات تاريخية معروفة اهتمام المؤرخين القدماء والمحدثين فوصفهم القدامى بالخيانة وظلت سمعتهم مقرونة بالخيانة وبعض الشخصيات وصفت بالأمانة والجهاد والبطولة ووصفها مؤرخون بالخيانة وانطلاقا من هذا التناقض والمفارق

10_أن جريمة خيانة الأمانة من الجرائم العمدية التي يجب توافر فيها القصد الجنائي العام دون القصد الجنائي الخاص الذي يمثل في نيته ،وهذا واضح من خلال نص القانون ومن خلال أركان ضرورة عدم تحميل القضاء واجب التقضي عن هذا القصد الخاص مما يؤدي الى صعوبة إثباته وبالتالي إفلات عدد كبير من الجناة من قبضة العدالة

11-أن إثبات جريمة خيانة الأمانة في القانون العراقي هو إثبات مزدوج حيث تخضع إثبات ركن التسليم الى وسائل الإثبات المدنية المنصوص عليها في قانون الإثبات ،أما الركن المادي والقصد الجنائي فيخضعان للقواعد العامة في قانون الإثبات الجنائي.

المصادر والمراجع

القران الكريم

1. ابن أبي الحديد (ت656هـ)شرح نهج البلاغة قم ،1404هـ .
2. ابن الأثير ،عز الدين ابو الحسن على ابن أبي الكرم (ت630هـ) الكامل في التاريخ ،أبو الفداء عبدا لله القاضي ،دار الكتب العلمية ،ج10،بيروت ،1995 .
3. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، طبعة دار الكتب العلمية لعام 1403هـ
4. ابن خلكان ،شمس الدين احمد بن محمد (ت681هـ)وفيات الأعيان إنباء أبناء الزمان ،تحقيق، أحسان عباس،دار الثقافة،ج2 بيروت ،1388هـ - 1968م .
5. ابن شداد ،القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع (ت 632هـ) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفة، (سياسة ، صلاح الدين الأيوبي ،دار الفكر للطباعة ،(بيروت ،د.ت)
6. ابن شاكر الكتبي، محمد (ت764هـ ،1362) فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس ، بيروت لبنان ،مطبعة دار صادر .
7. ابن الطقطقي ،محمد بن علي بن طباطبا(ت709هـ) الفخري في الآداب السلطانية ،المطبعة الرحمانية ،(القاهرة ،1927م) .
8. ابن عبد ربة الأندلسي،أبو عمر بن محمد الأندلسي (ت328هـ،940م) العقد الفريد ،بيروت ، دار الكتاب العربي ،1983،المجلد الأول .
9. ابن العديم ،كمال الدين عمر بن احمد بن جبر (ت660هـ) بغية الطلب بتاريخ حلب ،تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ،1988 .
10. ابن العماد ،ابو الفلاح عبد الحي الحنبلي ،(ت1809هـ) . شذرات الذهب في إخبار من ذهب ،دار الكتب العلمية،ج2 ،بيروت ،عددا لاجزاء 8 ابن قتيبة ،ابو محمد عبدا لله بن مسلم (ت276هـ،889م) .

11. ابن ماجه، محمد بن يزيد القز ويني (ت275هـ)
السنن ،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،دار الفكر بيروت .
12. أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي،(ت،235هـ) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار،تحقيق، كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد،ج6، الرياض، 1409هـ .
13. البيهقي ،احمد بن الحسين بن علي (ت458) سنن البيهقي ،تحقيق محمد عبد القادر عطا،مكتبة دار الباز،ج9،مكة المكرمة ،1414هـ-1994م .
14. أبي بكر ،محمد بن احمد القرطبي (ت671هـ) تفسير القرطبي ،تحقيق احمد عبد العليم البردوني ،دار الشعب،ج12 ،القاهرة 1372هـ .
15. الصدوق ،آبى جعفر محمد بن علي بن بابويه القمى(381هـ) معاني الإخبار طهران .
16. أبي عوانه الاسفرائيني (ت316هـ)مسند أبي عوانه ،تحقيق أيمن الدمشقي ،دار المعرفةج3 ،بيروت .
17. أبو حاتم ، البستي ،محمد بن حبان بن أحمد التميمي،(ت 354 هـ) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان،تحقيق، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ج10،بيروت، 1414 – 1993م،ط2،عدد الاجزاء18 .
18. أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الازدي ،(275هـ)، السنن ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،دار الفكر ،الطبعة بلا ،سنة الطبع .
19. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي (ت732هـ ،1331م) المختصر في إخبار البشر ،بيروت ،مطبعة دار الكتاب ،1381هـ ،1961 .
20. أبي شامة ، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، (ت665هـ). الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية

، ،تحقيق إبراهيم الزيبق ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،1997، القسم الثاني من الجزء الأول .
21. الأزدي ،سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني ،(ت، 275هـ) سنن أبي داود،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر .
22. أبو الفضل أحمد بن محمد، الميداني،(ت518) مجمع الأمثال، تحقيق: سعيد اللحام، دار الفكر، 2002 .
23 . أبو يعلى ،احمد بن المثنى (ت307هـ) ،مسند أبو يعلى ،تحقيق ،حسين سليم،دار المأمون للتراث ،ج4 ،دمشق ،1404هـ، 1984م .
24. أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم (182هـ) الخراج ،المطبعة السلفية ،القاهرة ، 1397هـ .
25. البخاري ، محمد بن إسماعيل الجعفي ،ابو عبدا لله (ت256) الجامع الصحيح ،تحقيق مصطفى الديب ،بيروت ،1407هـ - 1987م الأدب المنفرد ،تحقيق ،محمد فؤاد عبد الباقي ،دار البشائر الاسلامية ،بيروت ،ط3 ،1409هـ-1989م .
26. الترمذي ،محمد بن عيسى ،ابو عيسى السلمي (ت279) (سنن الترمذي)تحقيق احمد محمد شاكر وآخرون ،دار إحياء التراث العربي،ج5 ،بيروت .
27. الشيباني ، احمد بن حنبل ،ابو عبد الله (ت241)، مسند احمد ،مؤسسة قرطبة ،ج2،مصر .
28. التويسركاني ،السيّد حسين شيخ الإسلامي هداية العلم في تنظيم غرر الحكم تحقيق عبدا لواحد محمد الامدي ،قم ،1389 .
29. الحموي ،يا قوت الحموي(ت 626هـ ،1228م) معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الاديب ، تحقيق مرجليون ، مطبعة هندية ط1 ، 1342هـ 1923، مصر.

30. الحنبلي ،ابو الفرج عبد الرحمن بن رجب، (ت750هـ) جامع العلوم والحكم ،دار المعرفة،ج1، ،بيروت ،1408هـ .
31.الحاكم ،محمد بن عبدا لله بن حمدويه النيسابوري ،ابو عبدا لله (ت405) المستدرك على الصحيحين ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،الطبعة بلا ،عدد الاجزاء4 .
32. الحافظ ابن حجر العسقلاني، هو شهاب الدين أحمد (ت852هـ) ، فتح الباري شرح صحيح البخاري تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب ،دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة بلا ، 1379هـ -1959م عدد الأجزاء 12 .
33. الحويزي ،الشيخ عبد علي بن جمعة الحويزي(ت،1112هـ)، تفسير نور ، طهران .
34 .الخازن ،عبد الرحمن ابوجعفر الخازني ((ت،1155م)، ميزان الحكمة، طبعه ونشره السيد فؤاد جميعان ، بيروت 1981 .
35. الخطيب البغدادي، أبو بكر احمد بن علي (ت463هـ،1070م) موضح أوهام الجمع والتفريق، دار الكتب العلمية، ج2 .
36. الدار قطني ، على بن عمر بن احمد (ت385هـ) سنن الدار قطني ،تحقيق عبدالله المدني ،دار المعرفة ،ج3،بيروت 1386هـ،1966م .
37. الدينوري ،ابن قتيبة محمد عبدا لله بن مسلم ،(ت ،276) عيون الإخبار ،مطبعة دار الكتب المصرية ،القاهرة ،1925م .
38. الدارمي عبدالله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي،(ت،255هـ) سنن الدارمي،تحقيق فواز أحمد زمرلي , خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي ،ج2، بيروت، 1407هـ.
39. الدهلوي ،فخر الحسن(ت911هـ) شرح سنن ابن ماجة ،قديمتي كتب خانة ،ج1،كراتشي .

40. الذهبي ،محمد بن احمد بن عثمان (ت748) العبر في خبر من غبر ،تحقيق صلاح الدين المنجد ،مطبعة حكومة الكويت ،ج3، ط2،الكويت 1948 سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارناؤوط ومحمد العرقوسي ،مؤسسة الرسالة،ج2 ،بيروت ،1413هـ .
41.الفخر الرازي ، محمد ابن بكر بن عبد القادر (ت666هـ،1267م) ،تفسير فخر الرازي أو التفسير الكبير،تحقيق محمد رضوان الداية ،ط1،الناشر دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع ج1990،10 .
42 . رشيد الدين فضل الله (ت718هـ) جامع التواريخ (فارسي معرب)، القاهرة ،1960 .
43 . الزر كلي ، خير الدين الإعلام، ط3 ، بيروت ،1396، 1976 .
44 .سبط ابن الجوزي، شمس الدين ، ابو المظفر يوسف (ت654هـ) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (حيدر أباد ،1951) .
45. السفريني ، محمد بن احمد الحنبلي (ت1188هـ) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ،بيروت ،سعيد بن منصور ،(ت227هـ) سنن سعيد بن منصور ،تحقيق سعد بن عبدالله بن عبد العزيز ،دار النشر العصيمي ،ج5،الرياض ،1414هـ .
46. الشافعي ،احمد بن علي ،(ت852هـ) الإصابة،تحقيق على محمد البجاوي ،دار الجيل، ج6،،بيروت 1412هـ،1992م .
47. الشافعي ، احمد بن حجر الشافعي (ت852هـ) فتح الباري ،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الطائي،دار المعرفةج11 ،بيروت ،1379هـ .
48. الشوكاني ، محمد بن علي الشوكاني (ت1255هـ) نيل الاوطار ،دار الجبل ،ج6، بيروت ،1973 .

49 .الأصفهاني ،الراغب محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ،تحقيق: عمر فاروق الطباع ، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع،2001،ج1 .
50.الأصفهاني،العماد،عماد الدين محمد بن محمد بن حامد (ت597هـ)،الفتح القسي في الفتح القدسي ،تحقيق محمد محمود صبح ،الدار القومية ، القاهرة ،1965 .
51.الصفدي ،خليل بن أبيك (ت 764هـ ، 1362م)الوافي بالوفيات ،تحقيق محمد بن محمد ومحمد إبراهيم ،بيروت ،مطبعة دار النشر ،ط2 ، 1381هـ ، 1961م .
52.الطبري،محمد بن جرير بن يزيد (ت310هـ)،جامع البيان في تفسير القران ،دار الفكر بيروت ،1405هـ -1984م تاريخ الرسل والملوك ، ط1،،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1407هـ .
53.الطبراني ، ابو القاسم سليمان بن احمد بن أيوب (ت360) المعجم الكبير ،تحقيق حمدي عبد المجيد السفلي ،مكتبة العلوم والحكم ،الموصل ،ط2 ،ج1404،2هـ 1983م ، المعجم الأوسط ،تحقيق :طارق بن عوض الله بن محمد ،دار الحرمين ،القاهرة ، الطبعة بلا 1415هـ - 1994م المعجم الصغير،تحقيق محمد شكور ومحمد الحاج ،المكتب الإسلامي ،بيروت ،عمان 1985،1405هـ .
54.العاملي ،محمد بن الحسن (ت،1104هـ) وسائل الشيعة ،مؤسسة ال البيت ،قم،1408هـ .
55. العجلوني ،إسماعيل بن محمد (ت1162هـ) كشف الخفاء،تحقيق احمد القلاش ،مؤسسة الرسالة ،ج2بيروت ،1405هـ .
56. العسقلاني ، حمد بن علي العسقلاني (ت852هـ) فتح الباري تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،ومحب الدين الطائي ،دار المعرفة ج10،بيروت 1379هـ .

57. الغزالي ،أبو حامد محمد، إحياء علوم الدين ،دار الكتاب ج2اللبناني ،بيروت ،2001 .
58. القاضي النعمان ،دعائم الإسلام , تحقيق عارف تامر ، الناشر :دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع .
59. القرطبي، أبي عمر يوسف بن عبدا لله بن محمد بهجة المجالس وانس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس ، تحقيق محمد مرسي الخولي ،دار الكتب لعلمية ،بيروت ،لبنان .
60. القرطبي ،محمد بن احمد ،(ت671هـ)،تفسير القرطبي،تحقيق احمد عبد العليم البردوني ،دار الشعب ج2،القاهرة ،1372هـ.
61. القشيري ،مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري،(ت261) صحيح مسلم ،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،دار إحياء التراث العربي ج1،بيروت .
62. القضاعي ،محمد بن سلامة بن جعفر ،(ت454هـ) مسند الشهاب ،تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي ،مؤسسة الرسالة ج1،بيروت ،1407هـ،1986م .
63. الكليني ، ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحق (ت329هـ) الكافي ،تحقيق علي اكبر غفاري مطبعة حيدري ، إيران ،1388هـ .
64. مالك بن انس (ت،179هـ) موطأ مالك،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،دار إحياء التراث العربي ج2 ،مصر .
65. المروزي ،عبدا لله بن المبارك (ت181هـ) الزهد لابن المبارك ،تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي ،دار الكتب العلمية ج1،بيروت .
66. المروزي ، نعيم بن حماد أبو عبد الله، كتاب الفتن،تحقيق سمير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد، ج1، لقاهرة، 1412هـ .
67.المباركفوي،محمد عبد الرحمن ،(ت1353هـ) تحفة الاحوذي ،دار الكتب العلمية ،ج7،بيروت .

68. الماوردي ،أبو الحسن على بن حبيب البصري (450هـ) أدب الدين والدنيا،تحقيق سمير مصطفى ،الناشر المكتبة العصرية ،الدار النموذجية ،ط1 سنة النشر2001 .
69.ألمجلسي ، محمد باقر (ت1110) بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، مؤسسة الوفاء بيروت ،1403هـ .
70. المقريزي ، احمد بن علي (ت 845هـ ، 1441م) الخطط المقريزي ،المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار،لبنان 1967-1968، مختصر كتاب الوتر تحقيق إبراهيم محمد علي ،محمد عبدالله،مكتبة المنار ج1،الأردن ،1413 .
71. المناوي ،عبد الرؤوف ،فيض القدير،المكتبة التجارية الكبرى ج1،مصر،1356هـ .
72. المنذري ، عبد العظيم بن عبد القوي أبو محمد،(ت 656هـ) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف،تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية،ج3 ،بيروت،1417هـ .

73. النسائي ، احمد بن شعيب ، ابو عبد الرحمن (ت303هـ) السنن الكبرى،تحقيق عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن،،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ج6 ،1411هـ-1991م .
74. النمري ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر (ت، 463هـ) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ,محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلاميةج20، المغرب، 1387هـ .
75. النوري ،المحدث (ت1320هـ) مستدرك الوسائل ،مؤسسة أل البيت ،قم ،1408هـ .
76. النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري (ت261) صحيح مسلم ،،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي،بيروت .

77. النيسابوري ، محمد بن عبدا لله أبو عبدا لله الحاكم (ت405) المستدرك على الصحيحين،تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية،ج2 ط1 بيروت، 1411 – 1990، الطبعة الأولى .
78. النووي ،ابوزكريا يحيى بن شرف (ت676هـ) شرح النووي على صحيح مسلم ،دار إحياء التراث العربي ج3،بيروت ،1392هـ .
79. الهيثمي ، علي بن أبي بكر (ت، 807 هـ) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الريان للتراث ,دار الكتاب العربي،ج4، القاهرة , بيروت، 1407هـ .
80. ياقوت الحموي ، شهاب الدين ، ابو عبدا لله الحموي الرومي ، (ت626هـ - 1229م) معجم لبلدان ،بيروت ،دار صادر ، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب الى معرفة الاديب ، تحقيق مرجليون ،مصر ، مطبعة هندية ط1 ، 1342هـ .

المراجع الحديثة

1. أحمد بن فارس بن زكريا معجم مقاييس اللغة بتحقيق وضبط: عبد السلام هارون طبعة اتحاد الكتاب العرب 2003 .
2. احمد أمين بك شرح قانون العقوبات الأهلي ،القسم الخاص ،القاهرة ،1924 .
3. احمد فتحي بهنسي العقوبة في الفقه الإسلامي ،دراسة فقهية متحررة ،مصر .
4. أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد من كتاب أخلاق النبي (ص)في القران والسنة .

5. جبرائيل البناء شرح قانون العقوبات البغدادي ،القسم الخاص ،مطبعة الرشيد ،1984 .
6. جلال الدين السيوطي الدر المنثور في التفسير بالمأثور. ج3 .
7. جندي عبد الملك ،الموسوعة الجنائية ،ج3 ،مطبعة الاعتماد ،القاهرة ،1936 .
8. جورج طرابيشي ،معجم الفلاسفة، بيروت ،1977 .
9. حسن ألامين ،صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين،ط2،ج1،دار الجديد ،2000 .
10. حسن صادق المرصفاوي ،جرائم المال ، مطبعة النهضة ، القاهرة ،1957،1956 .

11. حيدر عبد الملك الموسوعة الجنائية ،ج3 ، مطبعة الاعتماد ،القاهرة ،1936 .
12. حميد السعدي ،النظرية لجريمة السرقة ، مطبعة الزهراء ،1986 .
13. حميد السعدي ،شرح قانون العقوبات ،ج3 ،جرائم الاعتداء على الأموال ،دراسة مقارنه ،ط2،،بغداد ،1976.
14. رشيد عالي الكيلاني ،مسالك قانون العقوبات ،ط3مطبعة التفيض ،1940.
15. رؤوف عبيد ،جرائم الاعتداء على الأشخاص والأموال ، ط6، دار الفكر العربي ،1974 .
16. سعد بن حذيفة الغامدي ،سقوط الدولة العباسية ودور الشيعة بين الحقيقة والاتهام دار ابن حذيفة – الرياض ، السعودية .
17. صبيح بشير مسكوني ،القانون الروماني ، مطبعة شفيق ،بغداد .

18. صفاء مهدي الطويل ،جريمة خيانة الامانه في القانون العراقي ،دراسة مقارنه ،رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بغداد ،1982عباس إقبال تاريخ مفصل إيران ،1480 .
19. عباس الحسني، شرح قانون العقوبات العراقي وتقديريه ،مطبعة العاني ، 1974 .
20. عباس الحسني وكامل السامرائي ،الفقه الجنائي في قرارات محاكم التميز،جرائم الاعتداء على لأموال ،م3 ،مطبعة الإرشاد،1969،ص387،تاريخ القرار 10/4 .
21. الشيخ عبد علي بن جمعة الحويزي،تفسير نور الثقلين - المتوفى سنة 1112هجرية في خمس مجلَّدات،طهران .
22. الفقه الجنائي في قرارات محاكم التميز،جرائم الاعتداء على لأموال ،م3 ،مطبعة الإرشاد،1969،ص387،تاريخ القرار 10/4 .
23. عبد العزيز عامر،التعزير بالشريعة الإسلامية ، الطبعة الثالثة ،1957 .
24. الدكتور عبد الوهاب المسيري ،الموسوعة اليهودية ،
25. عبود التميمي ،محاضرات ألقيت على طلبة المعهد القضائي والمسحوبة على رونيو لسنة 96-1997 .
26. علي حسين الخلف ،بحث في جريمتي السرقة وخيانة الأمانة ،بغداد ،مطبعة الزهراء ، 1967 .
27. علي حسين الخلف وسلطان الشاوي ،المبادئ العامة في قانون العقوبات ،مطابع الرسالة ،الكويت ،بغداد ،1982 .
28. مأمون محمد سلامة ،قانون العقوبات ،القسم الخاص ،ج2،جرائم الاعتداء على الأشخاص والأموال ،دار الفكر العربي،1982 ،1983 .
29. ،جرائم المال ، مطبعة النهضة ، القاهرة،1957،1956 .
30. ماهر عبد شويش ،شرح قانون العقوبات ،القسم الخاص ،دار الكتب للطباعة والنشر ،الموصل ،1988،

31. محمد إبراهيم زيد ،قانون العقوبات – القسم الخاص ،مطبعة أطلس ،1974 .
32. محمد بن المختار الشنقيطي، السنة والشيعة.. دروس من صلاح الدين الأيوبي، عبر الانترنيت .
33. محمد الرميحي، مجلة العربي، العدد 426، أيار 1994م .
34. محمد زكي العبيدي ،جريمة خيانة الأمانة وجريمة الاختلاس وموقف القضاء العراقي ،بحث منشور، مجلس العدل .
35. محمد كرد علي ،الإسلام والحضارة العربية ،القاهرة ،دار الكتب المصرية ،1936 .
36. محمد عبد المنعم وعبد المنعم البد راوي ،مبادئ القانون الروماني تاريخه ونظمه ،مطبعة دار الكتاب العربي ،مصر .
37. محمد محمود مصطفى، شرح قانون العقوبات ،القسم الخاص ،دار مطابع الشعب 1964، ط5 .
38. محمد محمد ناشد ،الفكر الإداري في الإسلام ،مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ،دبي ،1997 .
39. ماجد فخري ،الفكر الأخلاقي العربي، الأهلية والتوزيع،بيروت .
40. مصطفى كامل ،شرح قانون العقوبات ،القسم الخاص ،مطبعة المعارف ،بغداد ،1940،1939 .
41. منير القاضي ،شرح المجلة ،ج2 ، 1947 .
42.أبو محمد جمال هاني بن علي لشيخ ناصر الدين الألباني(1420هـ،1999) صحيح الجامع، دار الكتب العلمية ،بيروت .
43 .ول ديورانت ،قصة الحضارة ،ترجمة زكي نجيب محمود ،القاهرة ، مطبعة التأليف والترجمة ،1968 .

المصادر الأجنبية

W. Thomas Arnold, The Preaching of Islam: a History of the Propagation of the

Muslim Faith , 2nd ed. (London: Constable and Co. Ltd, 1913), 279–80. ...

القرارات

1. قرار محكمة استئناف بغداد بصفتها التميزية بالعدد 614 ،جنح ،997 أعلام 596 ،في 1997/7/13( ) .

2. قرار محكمة استئناف بغداد بصفتها التميزية بالعدد 195 ،جنح ،997 أعلام 177 ،في 997/2/25 ( ) .

3. المادة 422 من قانون العقوبات الأردني( ) .

4. المادة 236 من قانون الجزء العثماني ( ) .

5. قانون العقوبات البغدادي الملغي ( ) .

6. قانون العقوبات العراقي رقم 111لسنة 1969وتعديلاته

الجرائد

جريدة (الشرق الأوسط) السعودية التي تصدر من لندن، العدد الصادر بتاريخ 1995/5/26

المجلات

مجلة (الثقافة) العدد 462

مجلة الرسالة العدد 110

Abstract

Secretariat were not deficient in understanding the performance of the top funds and meeting the commitments, but nine Easts and Wests, it is abundant tree unification, and the fruit mature faith, and shadow in the air drag, and the intake of the traveler. Is the precious pearl, and the essence of pure and genuine in the hands of the metal cutter Nabil He said peace be upon him: (people metals), and said: (Secretariat struck root in the hearts of men and then they learned from the Koran and then they learned of the year) () said: (minerals Arabs asking? choice in ignorance choice in Islam if Vgahoa) He said: (Kabul hundred people could hardly find the deceased)! ()

The establishment of the Secretariat of the law of God in the self-bound and in the lives of people (who to them in the Occupied establish worship and pay Zakat and ordered the Propagation of Virtue and forbidden). Vasalah secretariat, if it is lost Abd what else lost
The stability of the secretariat mentioned, and loyalty to His order, peace be upon him, and the permanence of the debt to another age,

The objectives of the search had come by:

1. Study dishonesty in the Holy Quran and the Prophet's noble
2. In-depth knowledge of the types of secretariats and treason within the framework of doctrinal and legitimately
3. Guiding light on the study of dishonesty in history and the Arab-Islamic heritage
4. Tasilih study of the legal framework for dishonesty criminalized and punishable in Iraqi legislation

The thesis contains four chapters and an introduction and conclusion and a list of sources and references.
Included first chapter of the thesis secretariat in the Koran where thesis focused on the Quranic verses that urged the Secretariat have been repeated word Secretariat in the Koran 16 times where noted thesis to mention the people of the secretariat and dishonesty in the war and sanction all combined with treason Quranic verses
In the second thesis has referred to the secretariat in the Prophet's noble chatter
In the latter thesis focused on linguistic and literary content of dishonesty within dishonesty in the language and literature
Chapter II of the Secretariat is the Secretariat in dealing with many of worship and deposits, function and blessings and peace-keeping body

and the scientific secretariat.
The third chapter was entitled dishonesty in history and the Arab heritage
It was composed of three is the first admonishing some pictures secretariat and treason in history The selection of two had generated interest of coffee Alaalghemi was accused of betraying the secretariat upon entering Baghdad when Hulagu was minister of the latest Khalifa Almstasm Alabasin successors.
The second is personal Salahuddin Ayyubi was a hero and legend thus described historians.
We have been in this thesis study these figures between the concept of treason and the secretariat, and important question in this thesis is the son Alaalghemi traitor to the secretariat? Is Salahuddin traitor to the secretariat?
These questions will be answered according to historical evidence to be presented by researcher
The second thesis, dishonesty in the Arab-Islamic heritage guarantees images Secretariat time the Holy Prophet and the ruling .. Between the secretariat and treason as well as fragments heritage in dishonesty.
The thesis was the third contains messages heritage in ethics and urged the Secretariat and the renunciation of treason, and most of these messages First: Book Caliph, Imam Ali bin Abi

Talib (peace be upon him) to the owner Alastr when the rulers of Egypt, as well as a letter to the Imam Hassan Basri Omar Khalifa bin slave to Aziz in a forward just as well as the guardian Tahir bin Hussein to his son a slave to God, as well as Abu Yusuf book God's mercy to the faithful Haroon Rashid)

Chapter IV was entitled dishonesty in the Iraqi Penal Code Ezra to dishonesty in law in Iraq and the Arab countries, including Egyptian law and the Lebanese and Syrian, Kuwaiti and Tunisian, Sudanese and Yemeni and Jordanian and historical evolution of the crime of dishonesty in Iraq and then study the legal nature of the crime of dishonesty and elements of the crime dishonesty is the cornerstone physical corner and the place of crime and extradition corner and criminal intent, the most prominent Mullah Houdanta the legal aspect can be highlighted and then Conclusion recommendations, sources and references and I Conclusion

The research methodology adopted by the researcher is systematic and descriptive take traditional analytical nature-based events and compared to comment.

As previous studies for research are many and varied as taking the moral character and indicative, religious and narrative sometimes,

The search has distinguished from previous studies including:

Vatcef inclusiveness and diversity cover research between the Koran and talk Sharif

The language and Arabic literature as well as taking into consideration by the researcher and historical heritage

The legal aspect addressed by the research in some detail and distinction.

The difficulties that have confronted it is the scarcity of sources and references on the nature of this issue and the security situation that we are living in Baghdad, which prevented Thrki scientifically access to sources of research